المجلس الأعلى للثقافة

حسن نصر الدين

الأجانب في الجامعة المصرية

إهــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

المجلس الأعلى للثقافة

الأجانب فى الجامعة المصرية

حسن نصر الدين



٢٠٠٨

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

نصر الدين، حسن

الأجانب فى الجامعة المصرية، تأليف: حسن نصر الدين.

القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٨

٣٦٨ ص؛ ٢٤ سم.

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٩٦٧٦

الترقيم الدولي : 0 - 737 - 437 - 977

طُبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.

Tel.: ٢٧٣٥٢٣٩٦ Fax: ٢٧٣٥٨٠٨٤.

المحتويات

إهداء

إلى الذين استحالت أعمارهم

شموعًا

أضاءت ما حولها

فبددّت ظلمات الجهل...

مقدّمــة

لقد ظلّت الجامعة المصريّة جنينًا فى أحشاء مصر طوال قرن من الزمان، ولحظة المخاض امتدّت لتصل لأكثر من سبع سنوات من ١٩٠٠ وحتى ١٩٠٧، فكان فى كل ذلك علامات على مولود قادر على البقاء، بل والنمو، وقد كانت الجامعة المصريّة ذلك المولود.

تَهيَّأ للجامعة المصريّة منذ أول يوم رياسة من نوع غير عادىٍّ تمثّلت فى الأمير أحمد فؤاد، الذى قضى طفولته الأولى بمصر ثم تلقى تربيته وثقافته فى أوروبا وتعلّم لغاتها ولمس تطوُّرها فجاءت الجامعة صدًى لتركيبة رئيسها الأمير "همزة وصل بين الشرق والغرب، بين جنوب البحر وشماله". وكما كان الأمير نفسه مزيج ثقافتين، كانت الجامعة بُوتقة تلاقَت فيها الثقافات وتعدَّدت فيها مصادر المعرفة.

ونشط الأمير ليهيِّئ لجامعته أسباب النجاح فابتعث الطــلاّب ليتعلمــوا فى أوروبا ليعودوا فيقوموا بواجبهم فى الجامعة، ولكنه وانتظارًا لتربيــة جيــل مــن المصريّين قادر على النهوض بما حُمِّل من أمانة وكُلِّف به من رســالة، أرســل إلى أوربا يطلب منها بعضًا من رُوَّادها ونفرًا من أساتذتها لِيَقْدموا إلى قاعات الدرس فى الجامعة الوليدة يبثُّوا فيها معارفهم ويمدُّوا أيديهم لناشئة مصر بــالعلم والثقافــة... فأجابته بلدان أوربا وأرسلت إليه وإليها علماءها وأساتذتها وأمدَّته بمدد من عندها وأعانته بما يحتاجه.

ومع هؤلاء العلماء وأولئك الأساتذة يمضى هذا الكتاب يتتبع خطــاهم فى كليات الجامعة المصريّة.

ونشير إلى أننا سنستعمل كلمة "الجامعة المصريّة" للدلالة على الجامعة منــذ كانت أهلية وحتى قبيل تسميتها "جامعة القاهرة" كى لا نربك القــارئ بتغيُّــر الألفاظ، فالسياق التاريخىّ معروف.

وقبل أن نبدأ فى الحديث عن الأساتذة الأجانب فى الجامعة المصريّة نشير إلى أن هذا لا يعنى التقليل من شأن رُوّاد مصر الذين حملوا المشعل فأضــاءوا الحيــاة وكانوا هم أنفسهم ثمرةً من ثمار أولئك الأساتذة الأجانب، فظلُّوا طوال قرن مــن الزمان–هو عمر الجامعة– يرسمون الطريق ويحدِّدون الاتجاه ويحافظون علــى نهــج الجامعة "نقطة تتلاقى فيها الثقافات".

وبعدُ، أتوجه بخالص الشكر إلى كل من آمن بفكرة هذا الكتاب، وســاعد على أن يخرج إلى النور، وأخصُّ بالشكر الأستاذ الدكتور/ عمــاد أبــو غــازى، والصحفىّ الكبير حلمى النمنم، كما أشكر الأستاذ محمود عبد الرازق لجهــده فى المراجعة اللغوية، وأشكر الأستاذ الدكتور طارق على محمد شرف وكيــل كليــة الهندسة، والأستاذ الدكتور/ جمال عبد الناصر مدبولى وكيل كلية العلوم، والأستاذ الدكتور/ شريف شاهين المشرف العامَّ على المكتبة المركزيَّة، وفريق العمل معه، لِمَا أبدوه من روح علميَّة خالصة، ولا أنسى المهندس هشام الشاذلى لمعونته الفنِّــيَّة. وأرجو أن يلقى هذا العمل قبولاً لدى القارئ الكريم وأن يضيف إليه.

الفصل الأول
فِى الطَّرِيقِ إلَى الْجَامِعَةَ

كان مولد الجامعة المِصْرِيَّة حدثًا داويًا، لَهُ ما بعده كما كان لَهُ كذلك ما قبله، فقد كان هَذَا الحدث مَفْرِقَ طريقٍ بكل ما تعنيه هَذِهِ الكلمة من معنًى.

وفى الطريق -الطويلة- إِلَى الجامعة المِصْرِيَّة محطات كثيرة تستحقّ كل منها كتابًا قائمًا بذاته، ولا يتسع المقام هنا، ولذلك سوف نركّز حديثنا عَلَى الملامح العامَّة لكلّ محطَّة فى هَذِهِ الطريق، وقد اخترنا حدثًا كبيرًا، أو قُل إن شئت اختارَنا هَذَا الحدث وفرض نفسه علينا فرضًا ليكون هُوَ بداية الطريق الَّتِى كانت الجامعة المِصْرِيَّة من أكبر محطّاتها، ونعنى بذلك وصول بونابرت وجنوده، والأهم وعلمائه، أرضَ مصر عام ١٧٩٨.

أى أن الطريق الممهِّدة للجامعة المِصْرِيَّة استغرقت مائة عام تقريبًا (أكثر قليلاً)، وهى فترة تُعَدُّ فى عمر الأمم والشعوب يومًا أو بعض يوم[1]، فإذا ما كان البناء كبيرًا يكون الإعداد لَهُ طويلاً.

فمنذ قدوم بونابرت بطموحاته[2] -وأطماعه- وآماله، ومنذ انتشرت مجموعات علمائه الشباب فى كل بقاع مصر، يدرسون ويبحثون ويسجّلون البِنْية المجتمعيَّة المِصْرِيَّة وإعادة تركيب لَهَا من جديد وفق نسق مغاير وسريع التحوُّل والتطوُّر، ممَّا ظهرت آثاره فى كل مناحى الحياة الثقافيَّة والإداريَّة والسياسيَّة والتعليميَّة عبر عقود قرن من الزمان.

---

(١) اخترنا وصول حملة نابليون إِلَى أرض مصر لتكون نقطة الانطلاق فى الطريق المؤدية إِلَى الجامعة لأنها فى نظرنا كانت هِىَ -ومنذ مائة عام- مفرق طريق فى تاريخ مصر، وإن لم تكُن هِىَ أول التقاء لأوروبّا بالديار المِصْرِيَّة، فهناك الكثيرون من الرحالة الذين زاروا مصر. راجع عَلَى سبيل المثال: Voleny, 1821; Carre, 1932.

(٢) Charles - Roux, 1910, p. 20.

فلم يحدث من قبل أن اصطحب قائد عسكرىّ (ممتطيًا صهوة جواده ليغزو بلدًا) اصطحب معه قرابة المائة والسبعين من الباحثين (ما يُطلَق عليهم العلماء)، بعضهم فعلاً من كبار العلماء فى تخصُّصاتهم منهم جاسبار مونج وبيرتوليه وسكان-هيير وغيرهم(٣).

كان بونابرت حريصًا عَلَى إضفاء البعد العلمىّ والفنِّىّ عَلَى حملة مصر، وكان يشعر أنه يحمل معه لمصر مشروعًا حضاريًّا، فقد اشترى مكتبة كاملة اشتملت عَلَى أكثر من خمسمائة وخمسين مؤلَّفًا مهمًّا، كما حمل رجاله معهم موادَّ للطباعة بثلاث لغات: الفرنسيَّة والعربيَّة واليونانيَّة، ومعملاً كيميائيًّا ومكتبة فى علوم الطبيعة ومكتبة فى علوم التاريخ الطبيعىّ، ومرصدًا وتجهيزاتٍ علميَّة وفنيَّة أخرى(٤). وهؤلاء اختارهم صديق بونابرت مونج عالم الرياضيَّات الشهير وهم من خرِّيجى كلية الهندسة والفنون والكوليج دو فرانس ومتحف التاريخ الطبيعى وأساتذة أعضاء بالمعهد العلمىّ.



وكان أول قرارات نابليون فى يوم ٢٢ أغسطس ١٧٨٩ هُوَ تأسيس "معهد مصر" عَلَى غرار المعهد القومى الفرنسى الَّذِى يفتخر نابليون أنه عضو به، فهل كان يشعر أنه يؤسِّس لعمل سيكون أهمَّ وأبقى آثار حملته عَلَى مصر؟(٥)

(٣) Charles - Roux, 1936, P.20.

(٤) سوليبه، ١٩٩٨- ص ٣٤.

(٥) Ezran, 1994, P. 59.

وانتظم أعضاء هَذَا المعهد فروعًا بحسب العلوم والأعمال الَّتِى انقطعوا لَهَا أو توفروا عليها: الرياضة والهندسة، والفلك، والميكانيكا، والكيمياء، وطبقات الأرض، والمعادن، والنباتات، وحياة الحيوان، والطب والجراحة، والصيدلة، والاقتصاد السياسيّ، والآثار القديمة، وهندسة المعمار، والتصوير، والرسم، وهندسة الريّ، والطرق والجسور، والهندسة الجغرافيَّة، والهندسة البحريَّة والميكانيكيَّة، والنقش، والحفر، والأدب، والموسيقى. وطلبة مدرسة الهندسة العليا والطباعة العربيَّة والفرنسيَّة، وأعضاؤها كثيرون عَلَى رأسهم سبعة: مونج وبرتوليه وجوفواسان- هيلير وكوستاز وديجنت وكافريللى وأندريوس. واختار نابليون قصر حسن كاشف شركس بالناصريَّة مقرًّا للمجمع العلميّ، وألحق به القصور المجاورة لسكن أعضاء المجمع وبعثة العلوم والفنون(٦).

نقول: إن أعضاء هَذَا المعهد وهم بسبيلهم لاقتلاع الأحجار الضخمة من مكانها بهدف إعادة تركيبها وانتزاع العقول من الرءوس لإعادة صياغتها، قاموا بعقد ٦٢ اجتماعًا، ودرسوا أكثر من ٣٠٠ بحث، وعرضوا أبحاث فرق العمل بالقاهرة والدلتا والصعيد. وفى البداية لم يُلقِ علماء المعهد بالاً إِلَى علم المصريّات الَّذِى لم يكُن موجودًا آنذاك لأن مرسوم نابليون نصّ بشكل غامض عَلَى: "دراسة تاريخ مصر". ولكن بالتدريج زاد الاهتمام بالآثار المِصْرِيَّة. ففى عام ١٧٩٩ يكتشف الضابط بير بوشارد -التلميذ القديم بمدرسة الهندسة والفنون، والَّذِى اختاره مونج ضمن أفراد البعثة- حجر رشيد ليلتفت اهتمام أعضاء المعهد بقوَّة

---

(٦) الرافعى- ١٩٩٨، ص١١٧-١١٨.

وبشدَّة إِلَى مصر القديمة[٧]، وليُولَد عقب ذَلِك علم المصريّات، ليزيد من الحراك العلميّ والثقافىّ عَلَى أرض مصر.

وكانت دعوة بونابرت لمثقّفى وعلماء مصر من الأزهريِّين لزيارة المعهد ومنهم المؤرخ الجبرتى ليقفوا بأنفسهم عَلَى الفجوة الكبيرة الَّتِى تفصلهم عن أوروبّا فى مجال العلوم وليتبنَّوا هم الدعوة إِلَى ضرورة التغيير والتقدُّم.

ثم يغلق المعهد المِصْرِىّ أبوابه عام ١٨٠٢ مع مغادرة الحملة لمصر، بعد أن غرس فى تربتها بذرة مصر الحديثة وعلم المصريّات[٨].

وصف مصر:

منذ شهر يناير ١٧٩٩ ينطلق لويس كوستاس لعمل مؤلّف ضخم يحتوى عَلَى كل ما يتعلق بمصر من كل ألوان المعارف، وقاد هَذَا العمل فورييه تحت إشراف بونابرت ثم كليبر ثم مينو الَّذِى طلب أن تكون عملاً واحدًا عَلَى طريقة الموسوعات. كتب مقدِّمته فورييه بمساعدة جاك جوزيف شامبليون فى جرينوبل، وهَذَا الأخير شقيق جان فرنسوا شامبليون مؤسِّس علم المصريّات[٩]. وظهر الجزء الأول من هَذَا العمل عام ١٨٠٩ "بناءً عَلَى أوامر جلالة نابليون الأكبر".

نذكر فقط بأن العمل فى هَذَا المؤلف الضخم بدأ عام ١٨٠٣ وانتهى فى عام ١٨٢٨ بعد ٢٥ عامًا من العمل الشاقّ. ظهرت الطبعة الأولى من هَذَا العمل فى تسعة أجزاء من الحجم الكبير واثنَى عشَرَ جزءًا من الصور والرسومات وتسعمائة لوحة،

---

(٧) Ezran, o.c., P.61-2.

(٨) Ibid, P. 62-3.

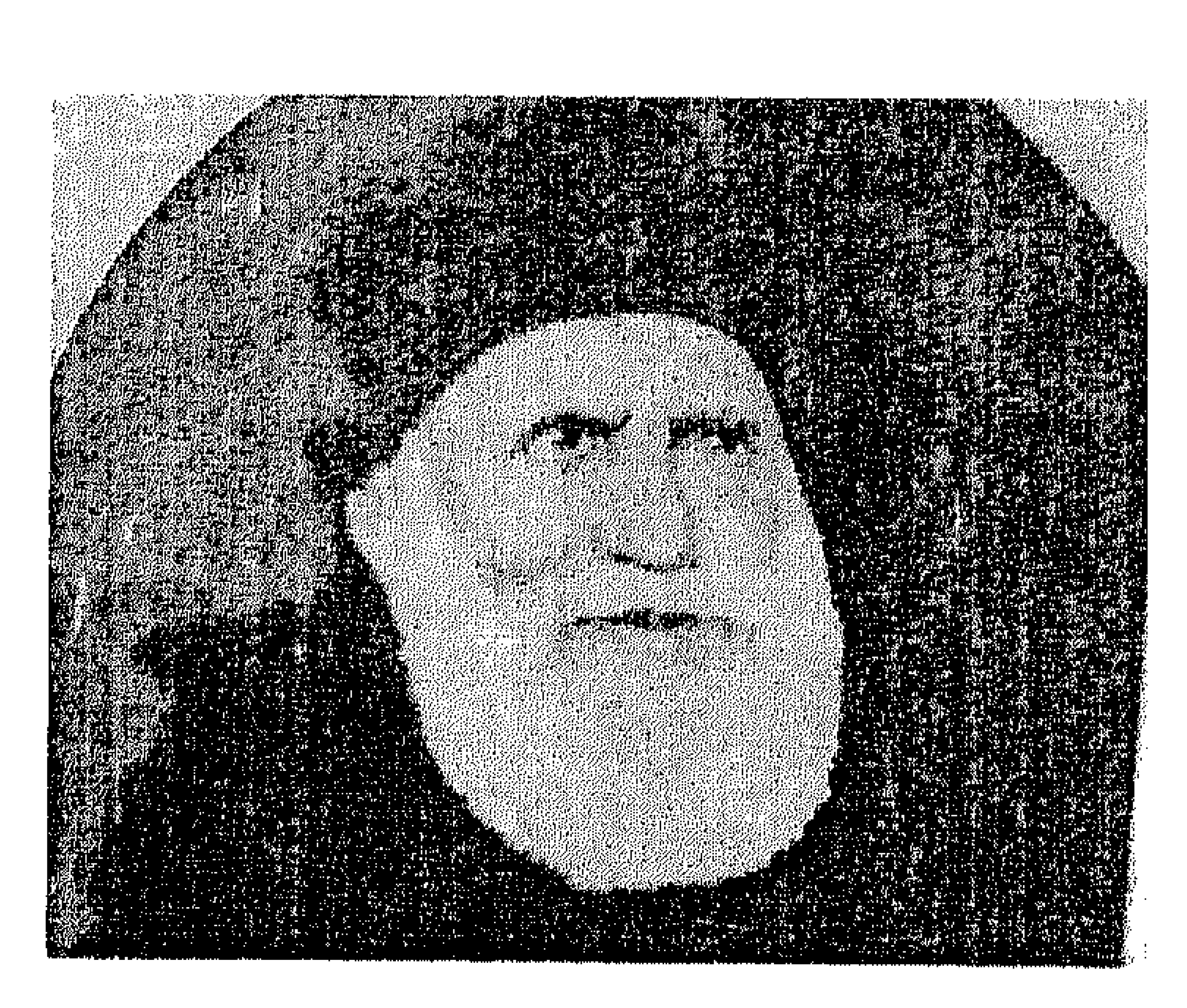
(٩) Lacouture, 1988, P.110, Ezran, o. c., P. 73-4.

كان وراء هَذَا العمل أربعمائة شخص: رسّامون ونحّاتون وجغرافيُّون. وأُهدِىَ العمل بالتوالى إِلَى نابليون الأول ولويس الثامن عشر وشارل العاشر.

لَقَد مهّد كتاب "وصف مصر" الطريق لتحديث مصر عن طريق وصف دقيق ومفصِّل لحالتها، وأشار وحدّد ما يجب عمله خلال القرن التاسع عشر، ثم هُوَ كذلك وضع أسس صداقة وطيدة فرنسيَّة-مصْرِيَّة وتعاون مشترك سيتمّ بين البلدين فى المجال الاقتصادىِّ والفنِّىِّ والثقافىِّ والعلمى(١٠).

ومنذ فكِّ رموز اللغة المِصْرِيَّة القديمة عام ١٨٢٢ بعد محاولات بواسطة جان فرنسوا شامبليون يزداد تعلُّق فرنسا بمصر وتفتح فرنسا آفاقًا جديدة من المعرفة أمام المصريّين بعد ولادة علم المصريّات، وتمدّ جذورهم إِلَى أغوار بعيده فى عمق التاريخ.

محمَّد علِىّ:



ألبانى الأصل، وُلد عام ١٧٦٩ فى قولة (ميناء بمقدونيا عَلَى بحر إيجة)، وفى أثناء فترة شبابه المبكّرة تعرَّف عَلَى تاجر فرنسى وتوطّدت صداقة الرجلين، ومنذ تلْكَ اللحظة أصبحت مشاعر محمَّد علِىّ تتجه نحو فرنسا، أصبح

---

(١٠) Ezran, o.c, P. 76-7.

هواه فرنسيّا، ومن بعده أسرته حَتَّى إن الجامعة المِصْرِيَّة ستُنشأ فى ذَلِك المحضن الفرنسى وإن كانت مصر تخضع للاحتلال البريطانى، كما سنرى لاحقًا.

تختاره صفوة مثقّفى وعلماء مصر حاكمًا عليها ١٨٠٥[١١] ويعترف به الباب العالى، وساعدته فرنسا فى ذَلِك، وكان يستقبل قنصل فرنسا بمصر المسيو دوليسبس والد فرديناند دوليسبس الَّذى حلّ محلّه دروفيتى عام ١٨٠٣[١٢]، وكان لِهَذَا الرجل تأثيره الكبير عَلَى محمَّد علِىّ الَّذى كان يستشيره فيما يتعلق بصلاته بالقوى العظمى الأوروبّيَّة، كما كان لسباستيانى سفير بونابرت فى إستانبول[١٣]، فأصبح لفرنسا تأثيرها فى الإقليم كله.

أراد محمَّد علِىّ أن يُكوِّن طبقة من المثقَّفين والإداريِّين المتعلِّمين لتحلّ محلّ رجال الدين الذين يديرون دفّة المصالح بمصر، يريد موظَّفين شبابًا علمانيين. يريد إنشاء مدارس للطب والزراعة ومعاهد فنِّــيَّة وعسكريَّة، ومن ثم فى حاجة إِلَى خبراء أوروبِّيِّين.

فى بداية القرن التاسع عشر كانت اللغة الإيطاليَّة هِىَ الأكثر شيوعًا، ولكن عام ١٨٢٠ ترك محمَّد علِىّ الإيطاليَّة لصالح اللغة الفرنسيَّة، لغة الدبلوماسيَّة الدوليَّة، ومن أجل الإسراع بإحداث التطوير المبتغَى أرسل أبناء أثرياء مصر فى بعثات تعليميَّة إِلَى فرنسا ليتعلموا فى أكبر مدارس العاصمة، وكان جومار فى استقبالهم فى باريس، وهو -كما نعلم- من قُدامَى حَمْلة بونابرت، وهو الآن مدير البعثة

---

(١١) Ibid., P. 76-7.

(١٢) وهو رجل عسكرىّ من أصل إيطالىّ حارب ضمن جيش بونابرت فى إيطاليا.

(١٣) روبيرسوليه- مصر ولع فرنسى، ص ٨٢-٨٣.

المصْرِيَّة فى فرنسا ويشرف عَلَى دراسة وعمل هؤلاء الطلاَّب المصريّين القادمين لإتمام دراسات جامعيَّة ثم العودة لكى يتبوَّءوا مراكز وظيفيَّة عُلْيَا فى بلدهم، واعترافًا من محمَّد علِىّ بخدماته أنعم عليه بلقب بك(١٤). وجومار هُوَ الَّذِى اقترح عَلَى محمَّد علِىّ منذ عام ١٨١٢ خطَّة لتمدين مصر عن طريق التعليم(١٥).

نحن هنا بصدد نظام جديد للتعليم وُضعت أسسه فى عهد محمَّد علِىّ ليكون بديلاً عن نظام التعليم التقليدىّ فى الكتاتيب ومدارس المساجد الَّتِى تفتقر إِلَى النظام والمنهجيَّة والتى لا تَهْتَمُّ غالبًا سوى بالموضوعات الدينيَّة واللغة(١٦).

نقول: سوف تحدث تغييرات كبيرة فى آفاق المصريّين ومعارفهم مع ابتعاث محمَّد علِىّ لأفراد من الأُمَّة يتلقَّون تعليمهم بالخارج ويعودون ليعلِّموا أبناء وطنهم ما تعلَّموه هم فى معاهد الغرب وبخاصَّة فرنسا.

وكان اهتمام محمَّد علِىّ بالتعليم من أجل الإفادة منه فى الإدارات المختلفة ولا سيما فى الجيش، أى هُوَ تعليم فى خدمة الدولة ولا ينظر إِلَى مصلحة كل الشعب، عَلَى الأقلّ فى هَذَا الوقت(١٧). ومن ذَلِك أنه فكَّر فى إنشاء مدرسة للطبِّ عام ١٨٢٥ ثم مدرسة للقابلات بعدها بخمس سنوات(١٨)، وهَذَا وغيره جعل المؤرِّخين الفرنسيِّين يرون فيه امتدادًا لنابليون بونابرت(١٩)، ويُنظر إِلَى برنامجه

---

(١٤) Tulard, 1989, P. 973.

(١٥) Louca, 1970, P. 33.

(١٦) Abbas, 2002, P. 90 f.

(١٧) Marsot, 2002, P.8-10.

(١٨) فهمى- ١٩٩٩، ص٤٤-٤٥.

(١٩) Ezran, 1998, P. 81.

الصِّحِّيّ عَلَى أنه برنامج أفاد مصر وساعدها عَلَى التخلُّص من ظلمات خيَّمَت عليها لقرون عِدَّة[٢٠].

أخذ محمَّد علِيّ عن أوروبّا علومها ونُظُمَها التعليميَّة واستدعى منها النظام والمدرِّسين لمدارسه والضباط والمدرِّسين لجيشه، ولم يكُن مندوحة من اعتماده عَلَى الأوروبّيين لبراعته وسبقهم فى ذَلك.

وتعدّدت بعثات المصريّين إِلَى أوروبّا وكانت الأولى عام ١٨١٣ إِلَى إيطاليا والثانية إِلَى إيطاليا كذلك، أمَّا الثالثة -وهى الأهمُّ- فكانت سنة ١٨٢٦ إِلَى فرنسا، وكان عدد أعضائها أربعين، ومعهم إمامٌ للصَّلاة هُوَ رفاعة الطهطاوى[٢١].

ونحن لا زلنا نرصد الطريق الموصلة إِلَى الجامعة المِصْرِيَّة وكيفيَّة تكوين جيل قادر عَلَى التفكير فى هَذَا المطلب العلمىّ، ولن يكون إلاّ بعد انقضاء عقود وعقود من السنين.

نقول: عاد معظم أعضاء البعثة سنة ١٨٣١ و١٨٣٣، ومن مشاهير هَذِهِ البعثة آرتين بك الَّذى عُيِّن فى عضويَّة شُورَى المدارس، ورفاعة رافع المذكور منذ قليل الَّذى أصبح مدير مدرسة الألسن، ثم توالت البعثات إِلَى فرنسا وبخاصَّة البعثات الطبيَّة[٢٢].

نقول: نجحت تِلْكَ البعثة إِلَى فرنسا مِمَّا جعل محمَّد علِيّ يرسل أكثر من مائة طالب إِلَى باريس ويَقِفُ البعثاتِ إِلَى البلدان الأخرى، وكان قصد محمَّد علِيّ

---

(٢٠) عبد الكريم- ١٩٣٨- ص٢٦٦.

(٢١) نفس المرجع- ص٤٢٢-٤٣٢.

(٢٢) لورنس- ١٩٩٧- ص٦٤.

تعليمَ الأفراد وكذلك تكوين أساتذة من بينهم ينشرون العلم بمصر وينهضون بها[٢٣].

ثم أنشأ محمَّد علِيّ مجلسًا أعلى للمعارف عام ١٨٣٦ مؤلَّفًا من نخبة من أولئك الطلبة وبعض علماء الفرنسيِّين، تَرَأَّسه مصطفى بك مختار، وهو أول وزير معارف فى تاريخ مصر، وبما أن كل أعضاء ذَلِك المجلس الأعلى كانوا قَد تربَّوا بفرنسا تربيتهم كلها، سواء فى ذَلِك الفرنسيُّون أو غيرهم، فإن نزعاتهم كانت فرنسيَّة تمامًا، ومن ثم لا نجد غرابة فى إدخال طَرق التعليم الفرنسيَّة إِلَى البلاد[٢٤].

لعلنا نلاحظ هَذَا الحراك والتدافع الثقافىّ والتلاقح المعرفى الَّذِى مكَّن مصر بعد أقلّ من نصف قرن من الزمان من دخول نابليون مصر من تكوين مجلس للمعارف يضمُّ من أبنائها الكثير ويرأسه وزير مِصْرِىّ.

ولقد استصدر المجلس الأعلى إذنًا منه بإدخال العنصر المِصْرِىّ فى المدارس بكثرة، وفتح عدَّة مدارس ابتدائيَّة وثانويَّة فى القطر عمومًا، يعلِّم فيها مدَّة ثمانى سنوات عَلَى نسق الليسيهات الفرنسيَّة، العلوم الآتية: القرآن، والكتابة، واللغة العربيَّة، واللغة التركيَّة، واللغة الفرنسيَّة، ومبادئ الرياضيَّات، ومبادئ التاريخ، ومبادئ الجغرافيا، والرسم.

واكتسبت اللغة العربيَّة مساحة عَلَى حساب اللغة التركيَّة الَّتِى تراجعت كثيرًا. نذكّر بأن الفرنسيِّين الذين عملوا كخبراء ومدرِّسين فى حكومة محمَّد علِىّ

---

(٢٣) عن هَذَا الموضوع راجع: Marsot, 1984.

(٢٤) الأيوبى- ١٩٩٦- ص١٧٢-١٧٣.

لعبوا دورًا مهمًّا فى تشكيل النسق التعليمىّ العامّ المسيطر[٢٥]، وقد تأثروا فى ذَلك بما حدث عندهم من تطور فى نظم التعليم فى المراحل التعليميَّة والسِّنِّيَّة المختلفة[٢٦].

وأُسِّسَت المدارس الابتدائيَّة فى أنحاء القطر المصْرِىّ ما بين عام ١٨٣٣ و١٨٣٨، أمَّا المدارس الثانويَّة والعالية والخصوصيَّة الَّتِى أُسِّسَت فى عهد محمَّد علِىّ فقد أُنشئَت ما بين عامَى ١٨٢٤ و١٨٣٦، وتوقف معظمها عقب الحرب الَّتِى نشبت بين مصر وتركيا[٢٧].

وطلبوا مساعدة علماء الأزهر لتعميم التعليم باللغة العربيَّة، وساعدهم خرِّيجو المدارس المؤسَّسة عام ١٨١٦ والتى كانت تعلِّم العلوم الدُّنْيَوِيَّة كالتاريخ والرياضيَّات والجغرافيا والهندسة.

كوَّن هؤلاء هيئة تعليميَّة فى القُطر كان فيها الكفاية فى ذَلك الوقت، وانضمَّ إِلَى هؤلاء وأولئك طَلَبة البعثات العلميَّة العائدون، وأسهموا بترجماهم ومؤلَّفاهم فى رفع مستوى العمليَّة التعليميَّة.

ثم أدخلوا تعديلاً بسيطًا حيث جعلوا الطلاَّب المبعوثين يؤهَّلون أولاً فى المدارس المِصْرِيَّة قبل السفر اقتصادًا للوقت والمال، فلم يعُد يُبعَث المتخرِّج فى المدارس المِصْرِيَّة الخاصَّة بعد إكمال تعليمه وإتقان لغة البلد الأجنبىّ. ونذكر هنا إنشاء مدرسة مِصْرِيَّة فى باريس جعلت إدارتها تحت رئاسة مِصْرِىّ يُسَمَّى استفان

(٢٥) Abbas, 2002, P. 91.

(٢٦) Ibid., P. 93.

(٢٧) الأيوبى- مرجع سابق- ص١٧٥-١٧٦؛ Abbas, o.c., P. 93-4.

بك، وأسندت وكالتها إِلَى نائب اسمه خليل أفندى تشيراكيان، وكُلِّف ضبَّاط معيَّنون من لدن وزارة الحربيَّة الفرنسيَّة بمراقبة سَيْر الدروس فيها، وأُرسِلَ إليها فى بادئ الأمر أربعون تلميذًا منهم حليم وحسين ولد محمَّد علىّ باشا وأحمد وإسماعيل ولدا إبراهيم باشا... وسرعان ما تبيَّن عدم جدارتها وأُغلقَت عام ١٨٤٨[٢٨]، وكان إبراهيم باشا قَد تُوُفِّيَ قبلها بقليل وخلفه عباس باشا الأول الَّذى قلب نظام التعليم فى المدارس رأسًا عَلَى عقب وأغلق المدارس نظرًا إِلَى ما رآه من جهل الأساتذة والطلاَّب ولم يُبْقِ إلاّ عَلَى مدرسة واحدة لتخرِّج ضباط البَرِّيَّة والبحريَّة ومهندسين عسكرِيِّين ومدنيِّين، ثم عاد وفتح مدرسة الطب، وتمنَّى طرد الأجانب وإحلال مصريّين محلّهم.

وسعيد باشا، رغم ميله إِلَى الغرب وعقليَّتهم فقد كان قليل الرغبة فى تعليم الفتيان من رعيَّته، فهو يقول لكونج بك السويسرى مربِّيه الخاصِّ: "دعهم فى جهلهم، فالأمة الجاهلة أسلس قيادًا فى يدَى حاكمها"!

فألغى وزارة المعارف العموميَّة، كما ألغى معظم الوزارات وألحق إدارة التعليم بدائرته الخاصَّة أو بوزارة الحربيَّة، لكنه عاد فأظهر اهتمامًا عظيمًا بمدرسة الطب دون غيرها، فوضع لَهَا نظامًا جديدًا واحتفل بافتتاحها عَلَى هَذَا النظام احتفالاً كبيرًا تحت رياسة أدهم باشا وزير الداخليَّة وبحضور شيخ الإسلام وعلماء الدين والهيئات الرسمية الغربية فى ١٠ سبتمبر ١٨٥٦.

---

(٢٨) الأيوبى- مرجع سابق- ص١٨٠-١٨١. وعن هَذِهِ المدرسة الَّتِى أنشئت عام ١٨٤٤ وكان بها بعثة من سبعين طالبًا من الحربيَّة والألسن والطبِّ، راجع: Abbas, 2002, P. 97-8.

وأظهر اهتمامه بالمدارس الأجنبيَّة المؤسسة فى البلاد بمعرفة الإرساليَّات المذهبيَّة، ومن ذَلِك أنه وهب بناية مصر للإرساليَّة الأمريكيَّة عام ١٨٥٥ وهى سنة قدومها إِلَى مصر، وساعد عَلَى توطيد أقدامها فى القطر، وأكرم أول مدرسة إيطاليَّة حكوميَّة تأسست فى عهده. ولم يهمل التعليم العسكرىّ فاهتم بمدرسة القلعة الإعداديَّة وأعاد تنظيمها وجعل عَلَى رأسها رفاعة بك رافع. وفيما عدا ذَلِك ساءت حالة التعليم عَلَى العموم فى عهد سعيد وآلت إِلَى البوار، ممَّا جعل يعقوب آرتين يقول: "إنه يمكن اعتبار المدَّة ما بين سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٦٣، فيما يختصُّ بالتعليم العامِّ والمعارف العموميَّة كأنها معدومة"[٢٩].

ولا ننسى دور رفاعة رافع الطهطاوى فى تغيير الكثير من المفاهيم لدى مواطنيه بعد عودته من باريس وإنشاء مدرسة الألسن وكتابه "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" وتعليمه عَلَى يد جومار ولقاءه بالمستشرق وعالِم المصريّات سلفستر دو ساسى، فهو -أى رفاعة- كما يعتبر أنور لوقا وسيطًا ثقافيًّا بارزًا بين ثقافتين، فهو[٣٠] وحده أثَّر فى أجيال وجعلها تقفز عقودًا إِلَى الأمام.

وفى عهد إسماعيل: انقسمت حركة التعليم إِلَى خمسة أقسام:

الأول: ما كان منها فى المدارس الَّتِى أنشأتها الحكومة وقامت بالإنفاق عليها.

والثانى: ما كان منها فى مدارس المساجد والأوقاف والكتاتيب القديمة.

والثالث: ما كان منها فى مدارس أفراد من الهيئة الاجتماعيَّة الإسلاميَّة.

---

(٢٩) الأيوبى- مرجع سابق- ص١٨٦-١٨٧، آرتين- ١٨٩٤- ص٩٢.

(٣٠) Louca, 2002, P.59-69.

والرابع: ما كان منها فى مدارس الطوائف الشرقيَّة غير المسلمة.

والخامس: ما كان منها فى مدارس الجاليات الأجنبيَّة.

عَهِد إسماعيل إِلَى أدهم باشا -أرمنىّ- وزير المعارف بعد مصطفى بك مختار، فأسَّس مدرستين فى القاهرة والإسكندريّة، عَلَى أرقى مستوًى، وتُعَلِّم العربيَّة والفرنسيَّة والإنجليزيَّة والألمانيَّة والجغرافيا والرسم الخطى والحساب العادىّ والحساب العالى والقرآن حَتَّى الفرقة الرابعة ثم التركيَّة باقى السنوات، وبهما قسمان: داخلىٌّ وخارجىٌّ(٣١).

وفى عام ١٨٧٥ أنفقت الحكومة ٧٥ ألف جنيه مِصْرِىّ عَلَى التعليم العامِّ، وأنشأت نحو ٣٨ مدرسة مدنيَّة من كل التخصصات والمستويات، انتظم بها نحو خمسة آلاف (٥٠٠٠) طالب(٣٢)، وإن كان رءوف عباس يذكر رقم خمسة آلاف وخمسمائة طالب(٣٣)، ويضاف إِلَى هَذَا الرقم طلاَّب المدارس العسكريَّة وهم نحو ١٨٠٠ طالب ونفقاتهم من وزارة الحربيَّة، ولكن نفقات الدولة عمومًا بلغت نحو ستة ملايين (٦٠٠٠٠٠٠) جنيه مِصْرِىّ، منها خمسة وسبعون ألفًا مخصَّصة للمدارس(٣٤).

قرَّر إسماعيل سنة ١٨٦٥ إنشاء مدرسة للفنون والصنائع فوضع نوبار باشا نظامها بمساعدة فنِّىٍّ فرنساوىّ يُسَمَّى مونييه، ولَمَّا أصبح شريف باشا ناظرًا

---

(٣١) الأيوبى- مرجع سابق- ص١٨٧-١٨٨، Abbas, 2002, P. 96.

(٣٢) Delanoue, 1982, P. 320.

(٣٣) Abbas, 2002, P. 97.

(٣٤) كانت القروض المخصَّصة للتعليم العامِّ صغيرة، وهَذِهِ الأرقام أوردها دور بى وآرتين بى وهيوارت-دن وعزت عبد الكريم.

للمعارف أتَمَّ المشروع وافتتح المدرسة سنة ١٨٦٧ تحت إدارة فرنسىٍّ خبير يُقال لَهُ المسيو إلواجى جون الَّذى أَلَّف قاموسًا فرنسيّا إنجليزيًّا عربيًّا للمصطلحات المستخدَمة. ثم أُنشئَت مدارس فنِّـــيَّة وصناعيَّة أخرى ومدارس أوَّليَّة وإعداديَّة، ثم كان أن أنشأوا مدرسة هندسيَّة كبرى عُرفت باسم "مدرسة البوليتكنيك" وأُحضِرَ إليها الأساتذة من فرنسا ومن ضمنهم المسيو جليون دانجلار، وساعدهم أساتذة مصريُّون ممن تعلَّموا فى فرنسا.

ولتعميم التعليم ونشْره بين أفراد الأُمَّة عَهِد إسماعيل إِلَى عَلِىّ مبارك ناظر المعارف والأشغال العموميّة بوضع لائحة تنظِّم المدارس معًا وتقسمها إِلَى ثلاثة أقسام: ابتدائيَّة وثانويَّة وعالية، خلاف المدارس الخاصَّة، بالإضافة إِلَى الاهتمام بمدارس المديريات (المحافظات)، أى الاهتمام بالتعليم خارج العاصمة وبين طبقات الفقراء الذين كان عَلِىّ مبارك واحدًا منهم، وصعد بفضل مواهبه وقدراته[٣٥].

وكانت مدرسة البوليتكنيك -الْمُهَنْدِسْخَانَة- فى العبَّاسيَّة ثم نُقلت إِلَى درب الجماميز فى سراى الأمير مصطفى فاضل شقيق الخديوى، وكان تلامذتها ستِّين وكلها داخليَّة يتعلمون لمدَّة ستِّ سنوات.

وعندنا إحصائيَّة عن المدارس وأنواعها وعددها عام ١٨٧٥، وهو أفضل أعوام حكم إسماعيل:

- ٧ مدارس عليا أو خاصَّة وكلها بالقاهرة: ٦٩ مدرِّسًا، ويتلقى التعليم بها ٣٥٦ تلميذًا.

---

(٣٥) ومثله محمد البقلى، ومثلهما نادرًا ما نجده، فكل رجال الإدارة العليا من الأقلِّيات، أو المقربين من البلاط. انظر: Delanoue, 1982, P. 324.

- مدرستان تجهيزيَّتان (عادة ما تُسَمَّى ثانوية وتؤهِّل للمدارس العليا): واحدة بالقاهرة وبها ٣٤ مدرِّسًا و١٩٢ تلميذًا، والأخرى بالإسكندريّة.

- مدرستان ابتدائيَّتان: واحدة بالقاهرة وبها ٣٤ مدرِّسًا و٥٣٩ تلميذًا. وهى المدرسة الشهيرة المعروفة باسم "المبتديان"، والأخرى بالإسكندريّة ويدرِّس بها (مع التجهيزيَّة بالإسكندريّة) ٢١ مدرِّسًا وعدد تلاميذها (مع التجهيزيَّة) ٢٩٨ تلميذًا.

وكل هَذِهِ المدارس السابقة الذكر ترعاها الحكومة من ناحية المأكل والمشرب والملبس والمبيت والمصروفات.

- ٧ مدارس فى مدن الأقاليم: ويُصرف عليها جزئيًّا من الأوقاف ومن ديوان المدارس، ومستواها يختلف من مدرسة إِلَى أخرى، فهى مدارس إعداديَّة يدرِّس بها ٥٦ معلمًا وينتظم بها ١١٣٣ تلميذًا.

- ٢٢ مدرسة إعداديَّة بالقاهرة: ١٨١ مدرِّسًا و٢٤٨٠ تلميذًا (وهنا مدرسة دار العلوم بها ٨ أساتذة و٣٥ طالبًا).

وإجمالى المدرِّسين ٣٩٥ مدرِّسًا، وإجمالى عدد التلاميذ ٥٠٠٠ تلميذًا، والمدارس الأخرى لغير المسلمين والمدارس الأجنبيَّة بها ٤٣٨ مدرِّسًا و٩٠٠٠ تلميذ، منهم ٥٠٠ تلميذ مسلم أيضًا.

والكتاتيب بلغ عددها ٤٦٨ كُتَّابًا يدرِّس بها ٤٨٨١ فقيهًا ويتعلم بها ١١٢٠٠٠ تلميذ، بينما يدرِّس بالجامع الأزهر ٣٢٥ أستاذًا، ويتلقى العلم به ١١١٠٠ طالب. ومدرسة الجامع الأحمدى بطنطا به ٣٦١ مدرِّسًا و٣٨٣٠ طالبًا، وجامع إبراهيم باشا بالإسكندريّة: ٦٥ مدرِّسًا و٤١٣ طالبًا. إجمالى أعداد الأساتذة بالمساجد الكبرى: ٤٢٦ والطلاَّب ١٥٣٤٣ طالبًا. وهَذَا يشير إِلَى أن الأزهر كان لا يزال يحتفظ بمكانته أمام النظام التعليمىّ الجديد، ولِهَذَا أسبابه، وهى توغل الأزهر بين أفراد الشعب خصوصًا فى القرى، وكذلك التصوُّف الَّذِى انتشر وأصبح لَهُ مكانته، ومن جهة أخرى العجز الواضح فى عدد المدرِّسين والطلاَّب فى المدارس الجديدة والتى تستعين بالعلماء من الأزهر لتدريس اللغة العربيَّة(٣٦).

ومدرسة الطب عام ١٨٧٦ كان يدرِّس بها -دراسة داخليَّة- ١٩٥ طالبًا، أساتذهم من المصريّين الذين درسوا فى أوروبّا.

واستدعى إسماعيل المسيو دور من سويسرا (وهو متخصص فى التعليم وحركته)، وأنعم عليه برتبة البكوية، وعيَّنه مفتشًا عامًّا للمعارف وكلّفه بتنظيمها وتوسيع نطاقها عَلَى النمط الإفرنجىّ، ورتَّب مجلسًا أعلى للإشراف عَلَى شئون المدارس. أجرى دور تعديلات عَلَى بعض المدارس العليا الموجودة، فحوَّل مدرسة الإدارة إِلَى مدرسة للحقوق وشرع ناظرها المسيو فيدال يعلِّم القانون الرومانىّ والقانون الفرنساوىّ والمقارنة بينهما وباقى الشرائح لتكوين قضاة لهم القدرة عَلَى

(٣٦) Delanoue, o.c., P. 320-21.

الجلوس عَلَى منصات القضاء المختلط، كما جعل مدرسة اللغات معهدًا لتخريج مترجمين، وكإضافة قسم طب بيطرىّ إِلَى مدرسة الطب[٣٧].

لا ننسى أن الإصلاح المدرسىّ فى عهد إسماعيل تناول كذلك الأزهر والمعاهد الدينيَّة الأخرى فألزم الشيوخ المتخرجين فيها بتأدية امتحانات واعتراف الحكومة بهم، وكان هناك مدارس المساجد والأوقاف ومساجد الهيئات الاجتماعيَّة الإسلاميَّة.

ها نحن قَد قطعنا ثلاثة أرباع الطريقة تقريبًا، رصدنا هَذَا التحوُّل الهائل فى المجتمع المِصْرِىّ منذ مجىء نابليون ثم محمَّد علىّ وأسرته، يتحول من مجتمع جُلُّه من غير المتعلمين والمتعلمون فيه من الأزهريِّين، إِلَى مجتمع مُقبِل عَلَى العلم، بل مطالَب به ومتنافس عليه، ووجدنا فئات من المصريّين (عَلَى باشا مبارك والبقلى) يتقلدون المناصب الكبرى، ويتعلمون عَلَى يد الأجانب فى ديارهم أو فى مصر نفسها ويفيدون منهم فوائد كبرى.

المجتمع الآن مهيَّأ لخطوة أخرى لم تكُن تخطر عَلَى بال أحد منذ نصف قرن من الزمان مثلاً، وهى إنشاء مدرسة للبنات! كل ما كان موجودًا هُوَ مدرسة للقابلات تابعة للدولة وتأسست عام ١٨٣٦ عَلَى يد محمَّد علىّ[٣٨]، ونسجِّل هنا أن المشجِّع عَلَى إنشاء هَذِه المدرسة هُوَ كلوت بك (مؤسِّس مدرسة الطبِّ ومصلحة الصحَّة) الَّذِى لم يحبِّذ الداية التقليديَّة وأراد تخريج قابلات متعلمات تعليمًا

---

(٣٧) الأيوبى- مرجع سابق- ص١٩٣.

(٣٨) Delanoue, o.c., P. 321.

جيِّدًا(٣٩)، ولكن واجهت القائمين عَلَى أمر هَذِهِ المدرسة مشكلة عدم وجود طالبات يرغبن فى دخول هَذِهِ المدرسة، فأمروا بشراء فتيات حبشيَّات وسودانيَّات من الأسواق، وكانت هَذِهِ الجوارى أول مجموعة من الطالبات تلتحق بالمدرسة... وبعد ثلاث سنوات وصل عددهن عشرين، ثم انضمَّ إليهن عشر فتيات من ماريستان المنصورى، وكانت هؤلاء الفتيات هُنّ النواة الأولى لمدرسة القابلات(٤٠).

وفى الطريق إِلَى الجامعة المِصْريَّة تستوقفنا محطَّة أخرى مهمَّة، ما كان لَهَا أن تُوجَد وأن يتقبلها المجتمع إلاّ بعد المسير فى المحطّات السابقة، ونعنى بها إنشاء أول مدرسة للبنات فى مصر. وكانت هَذِهِ المدرسة هِيَ (مدرسة السيوفيَّة) للبنات، وكانت الأولى من نوعها فى العالم الإسلامىّ، أنشأتها الأميرة تشسما آفت هانم أفندى زوجة إسماعيل الثالثة بإيعاز وتشجيع من الخديوى نفسه، وكان هَذَا العمل يتطلب شجاعة أدبيَّة لأن العالم الإسلامىَّ آنذاك لن يكون راضيًا عن هَذَا، كما أنه لم يكُن راضيًا عن بنات المسلمين اللائى يذهبن ليتعلمن فى مدارس البنات التابعة للإرساليات المسيحيَّة والطوائف غير الإسلاميَّة والجاليات الغربيَّة، وهو ما جعل محمَّد علِىّ نفسه يُحْجِم عن مثل هَذِهِ المدارس رغم إشارة مجلس معارفه المتشرب بالمبادئ الغربية بذلك عليه، واكتفى محمَّد علِىّ بتعليم بنات أسرته وجواريهنَّ عَلَى يد المسز ليدر زوجة أحد مبشِّرى الإنجليز، وهى الَّتِى أنشأت فى سنة ١٨٣٥ أول مدرسة إفرنجية للبنات فى مصر بتشجيع من تلميذتها الخاتم بنت محمَّد علِىّ الكبرى،

---

(٣٩) Clot, 1840, P. 336.

(٤٠) خالد فهمى– ١٩٩٩– ص٥٠–٥١ و Delavue, 1982, P. 321., Ezran, 1998, P. 95.

زوجة محرم بك أمير الأسطول المِصْرِىّ ومحافظ الإسكندريَّة. واقتدى بذلك الذوات وعِلْية القوم واستقدموا معلِّمات أجنبيّات لتهذيب بناتِهِنَّ وتثقيف عقولِهِنَّ(٤١).

نعود لنذكِّر بأنه رغم تقبُّل الجمهور لمدرسة القابلات من أيام محمَّد علِىّ فإنه مع مدرسة السيوفيَّة الَّتِى افتُتحت فى ربيع سنة ١٨٧٣ كان الأمر مختلفًا فأحجم الأهالى رغم ترحيب المدرسة بكل البنات من كل الطبقات بلا تمييز مذهبىٍّ أو اجتماعىٍّ، والناظرة والمدرسات من خيرة المدرِّسات الأجنبيّات، فاضطُرَّت الأميرة إِلَى أخذ فتيات الجوارى البيض من بيتها وبيوت أميرات الأسرة المالكة وأمرائها وإدخالهن فيها(٤٢)... ولكن سَرعان ما امتلأت المدرسة بالبنات طالبات العلم، ممَّا شجَّع الخديوى عَلَى إنشاء مدرسة أخرى للبنات عَلَى نظام مدرسة السيوفيَّة، فأقبلت عليها بنات الوجهاء والموظَّفين وزادت الطلبات بمئات عن المطلوب، وكان ذَلِك عام ١٨٧٤(٤٣)، وفى ذَلِك دلالة لا تخفى عَلَى ما وصل المجتمع المِصْرِىّ إليه من تطور مُواكب للعصر الَّذِى يعيش فيه.

ولَمَّا تزاحمت بنات الوجهاء وبنات الشعب عَلَى هاتين المدرستين، أمر إسماعيل بإنشاء مدرسة ثالثة فخمة تُخَصَّص فقط لبنات العائلات الرفيعة، وكان ذَلِك عام ١٨٧٨(٤٤)

---

(٤١) الأيوبى- مرجع سابق- ص٢٠٤-٢٠٥.

(٤٢) الأيوبى- مرجع سابق- ص٢٠٦-٢٠٧، Delaoune, 1982, P.321.

(٤٣) الأيوبى- مرجع سابق- ص٢٠٧- ٢٠٨، Delaoune, o.c., P.321.

(٤٤) الأيوبى- مرجع سابق- ص٢٠٨.

مدارس الأقليات:

بالإضافة إِلَى ما سبق، كانت هناك مدارس للأقباط الأرثوذكس، ومدارس الأقباط الكاثوليك والروم الأرثوذكس ومدارس الروم الكاثوليك ومدارس الْمَوَارِنَة ومدارس الأرمن ومدارس اليهود. وكانت هناك المدارس الَّتِى أنشأها الجاليات الغربيَّة وهَذِهِ منها مدارس إرساليات تبشيريَّة ومدارس مدنيَّة، ومدارس الإرسالية البروتستانتيَّة قامت عَلَى أيدى الإرساليات الأمريكيَّة والإنجليزيَّة والاسكتلنديَّة.

وفى عام ١٨٧٠ أنشأ المسيو فيجرى مدرسة إيطاليَّة مجَّانية تمرِّن الطلبة عَلَى الترجمة من الفرنسيَّة إِلَى الإيطاليَّة والعربيَّة وبالعكس.

غير أن أهمَّ عمل تعليمىٌّ قامت به الجاليات الأجنبيَّة بمصر هُوَ الَّذِى تَمَّ عَلَى يد المسيو دوفين ومجهوداته، وهو إنشاء معاهد تعليميَّة مَجَّانيَّة اتخذت لَهَا اسم "المدارس الحرَّة المجَّانيَّة العموميَّة"، وكانت بالإسكندريَّة، لكن سرعان ما أنشأ أخرى بالقاهرة وموَّله الخديوى إسماعيل تحت رعاية ولىِّ عهده، وطلبتها بالمئات من مصريّين وفرنسيِّين وإيطاليّين ونمساويِّين وبروس وأتراك وغيرهم[٤٥].

وفى عهد إسماعيل أُنشئَت المدارس العالية الَّتِى سوف تكون هِىَ النواة للجامعة المِصْرِيَّة بعد قليل، ومن ذَلِك مدرسة الْمُهَنْدِسْخَانَة، وهى مدرسة الرىِّ

(٤٥) الأيوبى– مرجع سابق– ص٢١٠– ٢٢٧.

والعمارة، أُنشئت بالعباسيَّة سنة ١٨٦٦ بسراى الزعفران. ثم مدرسة الحقوق، وهى أعظم المعاهد العلميَّة الَّتِى أسسها إسماعيل عام ١٨٦٨ وكان اسمها "مدرسة الإدارة والألسن"، وسُمِّيت مدرسة الحقوق منذ عام ١٨٨٦، وكان أول ناظر لَهَا المسيو فيدال Vidal باشا، أحد علماء فرنسا المشرِّعين، وبقِىَ يتولى نظارتها أربعًا وعشرين سنة إِلَى عام ١٨٩١. ومدرسة دار العلوم عام ١٨٧٢ ومؤسِّسها عَلِىّ مبارك باشا، والمدارس الصناعيَّة والمدارس الخصوصيَّة ومنها مدرسة اللسان المِصْرِىّ القديم الَّتِى أُسِّسَت عام ١٨٦٩[٤٦].

ويُذكر أن عَلِىّ مبارك بتولِّيه ديوانَ المدارس الخصوصية (العالية) بسراى درب الجماميز خصَّص لكل مدرسة ناحية من السراى، وأقام معملاً مجهَّزًا للكيمياء والطبيعة، ومكتبةً عامَّة (دار الكتب الخديوية) ١٨٧٠، ومدرَّجًا كبيرًا تُلْقَى فيه محاضرات عامَّة فى مختلفة فروع المعرفة، فكادت بذلك تتهيَّأ الفرصة لقيام جامعة مِصْرِيَّة، إذ حقَّق الوجود المكانىُّ نوعًا من التواصل العلمىِّ بين طُلاَّب المدارس العليا بعضهم ببعض، كما حقَّقت المحاضرات العامَّة التواصُلَ العلمىَّ بين الأساتذة بعضهم ببعض، وبينهم وبين الطلاَّب، ولو قُدِّر لِهَذِهِ التجرِبة الاستمرار لكانت نواة لقيام أول جامعة مِصْرِيَّة.

---

(٤٦) الرافعى- ٢٠٠٠- ص٢٠١-٢٠٥.

واستمرت سياسة التعليم قائمة عَلَى الارتباط بين حاجة الدولة إِلَى الموظَّفين والتوسُّع فى المدارس طوال عهد الاحتلال البريطانىّ (١٨٨٢-١٩٢٢)[٤٧].

نعود لنذكر أن المدارس العليا سالفة الذِّكْر كانت هِىَ القاعدة الَّتِى ارتفع فوقها التعليم العالى ثم من بعده التعليم الجامعىّ والَّذِى سوف ينبت نباتًا جديدًا عام ١٩٠٨ ينضمُّ إِلَى ما هُوَ موجود من مدارس عليا (كليات بعد ذَلِك) وهى كلية الآداب.

---

(٤٧) عباس- ١٩٨٩- ص٢١.

الفصل الثانى
الجَامِعَة الْمِصْرِيَّة

نشأة الجَامعَة:

كما رأينا تَهَيَّأ لمصر مناخ علميّ منذ عهد إسماعيل مهَّد لقيام حياة ثقافيَّة وتأسست الجمعيَّات العلميَّة، وكان للصحافة دورها النشيط كوسيط اتصال، وظلّ هذا المناخ فانبثقت مجلَّة الهلال ومجلَّة المقتطف كمنابر ثقافيَّة وطُرحت قضايا المثقَّفين المصريِّين وقضايا الآخر فى الغرب وكان التواصلُ والبحثُ عن نهضة أصبحت أكثر إلحاحًا.

كما أن فكرة الجَامعَة لم تكُن غريبة على أذهان النُّخَب من المثقَّفين الذين تلقَّوا تَعْليمهم فى أوروبّا ورأوا جَامعَاتها وعرفوا أن لَهَا دورًا مهمًّا فى نهضة الأُمَّة، وعرضت الصحافة لتجارِب قريبة مثل "جَامعَة بيروت الأمريكيَّة" والتى درس بها بعض الأقباط المصريِّين، ومن خريجيها أخنوخ فانوس الذى سوف يلعب دورًا فى تأسيس الجَامعَة الأهليَّة المصريَّة بعد ذلك.

ومن ذلك ما ذكره يعقوب آرتين (الأرمنى الأصل الذى أصبح وكيلاً لنظارة المعارف) من أنه من الواجب أن يتولى إدارة كل مدرسة من المدارس العليا ناظرٌ من المتعلمين تَعْليمًا جامعيًّا لتطوير نظم الدارسة فيها، ثم تُضَمّ معًا ويتكون منها كليةٌ جَامعَةٌ"[1].

كان للصحافة دورها فى ترويج الفكرة، ومن ذلك ما اقترحه جورجى زيدان على صفحات الهلال من تأسيس جَامعَة عام ١٩٠٣ بالقاهرة وتكون فرعًا لجَامعَة بيروت الأمريكيَّة ونواة للجَامعَة المصريَّة، وكذلك كان للمقتطَف دورها

---

(1) آرتين- ١٨٩٤- ص١١٠.

حيث طرحت الفكرة من خلال صفحاتها عام ١٩٠٣ حيث تحدثت عن الجَامِعَات ووظيفتها فى أوروبّا وأمريكا ودورها فى إِحداث النهضة، وكذلك كان الشيخ محمَّد عبده معنيًّا بإنشاء جَامِعَة بجهود الأغنياء(2).

وكذلك كان مصطفى كامل متحمسًا للفكرة ونشر مقالاً بجريدة اللواء عام ١٩٠٤ حثّ فيه القراء لإبداء الرأى فى مشروع الجَامِعَة وإمكانيَّة تحقيقه باعتباره منطلَق النهضة الذى لا غِنًى عنه، ثم عاد ثانية للحديث فى نفس الموضوع عام ١٩٠٥ مقترحًا أن تحمل الجَامِعَة اسم "كُلِّيَّة محمَّد عَلِيّ"، وكان هدفه جذب أفراد الأسرة الخديويَّة، وحدث، وكان لدعوته صدًى لدى عدد غير قليل منهم ومن الأعيان.

وفى رسالة منه موجَّهة إلى الشيخ على يوسف صاحب المؤيَّد وضع مصطفى كامل تصوُّرًا مهمًّا للأسس التى يجب أن يقوم عليها المشروع وهى:

أولاً: أن لا تختصَّ بجنس أو دين بل تكون لجميع السكان على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة للألفة بينهم.

ثانيًا: أن تكون إدارتها فى السنين الأولى فى أيدى جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلميّ الكبير تثبت كفاءتهم للملأ.

ثالثًا: أن يكتتب على الأقل ألف من سُكَّان مصر كل منهم بمبلغ لا يقلّ عن مائة جنيه، ويجوز أن يزيد عن هذا المبلغ حبًّا وكرمًا.

---

(2) عباس- ١٩٨٩- ص٣٤. حسن إبراهيم- ١٩٨٥- ص١٥-١٦.

رابعًا: أن يُقام بناء هذه المدرسة الجَامعَة فى بقعة خلويَّة خالية من أجمل بقاع مصر على شاطئ النيل، وتُقام بها حديقة من أجمل الحدائق، وغير ذلك من الأمر التى يقررها المكتتبون[3].

واجتمعت لجنة المكتتبين فى دار سعد زغلول، ووجَّهت نداءها إلى كل سكان مصر على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ودينهم، أعلنت فيه أن الهدف من الجَامعَة هو:

١- أن الجَامعَة مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها لكلِّ طالب علم مهما كان جنسه أو دينه.

٢- أنها ليس لَهَا صبغة سياسيَّة ولا علاقة لَهَا برجال السياسة ولا المشتغلين بها.

٣- أن اشتمال الجَامعَة على درجات التَعْلِيم الثلاث وهى العالى والتجهيزىّ والابتدائىّ متعذر الآن، ولا بدّ من التدرُّج فى تنفيذ المشروع والبدء فيه بما يمكن عمله، وتقديم ما الحاجة إليه أشدُّ من غيره.

٤- يلزم أن يكون للجَامعَة تلامذة خصوصيُّون، وهم الذين يقيِّدون أسماءهم ويحصلون على شهاداتها، وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبيَّة، مع الأمل أن الحكومة تمنحها المزايا التى تراها جديرة بها فى المستقبل. كما يُسمح

(3) حسن إبراهيم- ١٩٨٥- ص٢٣-٢٤، عباس- ١٩٨٩- ص٢٦.

لمن يريد حضور دروس الجَامِعَة من غير تلامذتها الخصوصيِّين أن يحضر[4].

وأختصر هنا الحديث لأنه يخرج بنا عن موضوعنا الأصليّ ولأن كثيرين كتبوا فيه.

ففى ٢٤ مارس ١٩٠٨ اجتمعت اللجنة الفنِّـيَّة بسراى الأمير فؤاد بباب اللوق، وتَقرَّر أن يبدأ نشاط الجَامِعَة فى اتجاهين:

أوَّلُهُمَا إيفاد بعثة من عشَرَة طلاَّب يدرس نصفهم الآداب ونصفهم الآخر العلوم، يُوفَدون إلى جَامِعَات إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا ليكونوا نواة لهيئة التدريس بالجَامِعَة.

وثانيهما أن تبدأ الدراسة بأربعة دروس فقط: تاريخ الحضارة القديمة فى الشرق، وتاريخ الحضارة الإسلاميَّة، وتاريخ الآداب العربيَّة، وتاريخ الآداب الإنجليزيَّة، وأن تكون مدَّة الدراسة ثمانية شهور فى العام (نوفمبر- يونيو)، ويُعطَى لكلّ فرع من فروع الدراسة أربعون درسًا فى السنة، وأن تكون لغة التدريس العربيَّة مع جواز إلقاء الأساتذة الأجانب لدروسهم باللغتين الإنجليزيَّة والفرنسيَّة، حتى يعود أعضاء البعثات فيتمّ التدريس باللغة العربيَّة وحدها. وتَقَرَّر أن يكون التدريس مسائيًّا فيما بين الخامسة والثامنة.

---

(4) حسن إبراهيم- ١٩٨٥- ص٣٠، وعباس- ١٩٨٩- ص٢٨.

وفى ٢٠ مايو ١٩٠٨ صدَّقت الجمعيَّة العموميَّة للمكتتبين على قانون الجَامعَة، وتَقَدَّم حسين رشدى باشا والمسيو لوزينا بك عضو اللجنة الفنِّـيَّة للجَامعَة بالأوراق الرسميَّة إلى نظارة الداخليَّة لطلب اعتراف الحكومة بالجَامعَة باعتبارها من المنافع العامَّة. وتَمَّ اختيار مجلس إدارة الجَامعَة بمعرفة اللجنة التحضيريَّة فى ٢٤ مايو من خمسةَ عشرَ عضوًا. وكان أول مجلس للجَامعَة مكوَّنًا من: الأمير أحمد فؤاد باشا (رئيسًا)، وحسين رشدى باشا وإبراهيم نجيب باشا (وكيلَين)، وأحمد زكى بك (سكرتيرًا)، وحسن سعيد بك (أمينًا للصندوق)، ويعقوب آرتين باشا، والدكتور محمَّد علوى باشا، وعبد الخالق ثروت باشا، ومرقص حنَّا أفندى، والمسيو ماسبيرو، ويوسف صدِّيق بك، وعَلِىّ أبو الفتوح بك، وعَلِىّ بهجت بك، والمسيو لوزينا بك، وعلى ذو الفقَّار بك (أعضاءً)[5].

وفى حفل رسمىٍّ أُقيمَ بقاعة مجلس شورى القوانين يوم ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ افتُتحت الجَامعَة رسميًّا، وكان ضمن الحضور القناصل الأجانب وأعضاء الجمعيَّات العلميَّة، وعلى رأس الجميع الخديوى عباس حلمى الثانى[6].

مقر الجَامعَة:

بدأت الجَامعَة أوَّل مواسمها فى الدور الأسفل من المكتبة الخديويَّة، ثم ما لبثت أن أصبحت سراى جاناكليس والجَامعَة الأمريكيَّة الآن مقرًّا للجَامعَة. وممَّا يلفت النظر أن الجَامعَة عهدت إلى المسيو ماسبيرو مدير مصلحة الآثار المصريَّة باختيار

(5) عباس- مرجع سابق- ص٤٠.

(6) حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص٧٩، عباس- مرجع سابق- ص٤١.

الأساتذة الذين سيقومون بالتدريس من فرنسا وإنجلترا، وساعده آرتين باشا، أمَّا الطلبة فكان منهم أجانب كثيرون: فرنسيُّون رجالاً ونساءً، وإيطاليُّون وألمان وإنجليز وهولنديُّون وإسبان وبلجيك، وغيرهم، وسافرَت أول بعثة للجَامعَة فى ١١ سبتمبر ١٩٠٨ إلى أوروبّا، وقابلهم الأمير فؤاد فى باريس، وذهبوا لدراسة العلوم والقانون والآداب فى جَامِعَات فرنسا وإنجلترا.

لَمَّا كانت المدارس العليا هى التى تستقبل خِرِّيجى الثانويَّة رأت الحكومة أن تطوِّر من الجَامِعَة والبِنْيَة التحتيَّة للتَعْليم ككل، وكان السؤال المطروح هو: هل تتوسع الجَامعَة بمساعدة الحكومة وتظلُّ أهليَّة، أم يحدث تنسيق بينهما من نوع ما، أم تندمج الجَامِعَة الأهليَّة فى التَعْلِيم العالى ويؤسَّس نظام جامعىّ حكومىّ جديد؟

وسارعت وزارة المعارف بتشكيل لجنة تمهيدًا لإنشاء جَامِعَة حكوميَّة بعد ما شاع من اتجاه الإرسالية التبشيرية البروتستانتية فى مصر إلى إقامة جَامِعَة أمريكيَّة بالقاهرة. وكان ضمن أعضاء هذه اللجنة الدكتور كينج (ناظر مدرسة الطب) والمستر والتون (ناظر مدرسة الحقوق) والمستر شيرر (ناظر مدرسة الزراعة) والمستر كليش إدجار (المفتِّش بالوزارة) (7).

وفى ١١ مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بقانون إنشاء الجَامِعَة المصريَّة ونظامها، ونصَّ فى مادَّته الأولى على إنشاء جَامِعَة تُسَمَّى الجَامِعَة المصريَّة ومقرُّها مدينة

---

(7) عباس- مرجع سابق- ص٥٥ وعن نتيجة التقرير راجع: نفس المرجع ص٥٦- ٥٧ وحسن إبراهيم- ص١٤٦- ١٤٩.

القاهرة، وعقد مجلس الجَامعَة الحكوميَّة أولى جلساته فى يوم ١٢ مايو ١٩٢٥ بديوان وزارة المعارف برئاسة على ماهر باشا وزير المعارف والرئيس الأعلى للجَامعَة[8].

وكان أول مجلس للجَامعَة المصريَّة الجديدة يضمُّ أجنبيَّين: الدكتور ولسون، والدكتور درى (بجانب المصريِّين).

وكانت المدارس العُلْيا الموجودة بالفعل آنذاك هى نواة الجَامعَة الجديدة، وهى كلِّـيَّة الآداب التى أُنشئَت عام ١٩١٠- ١٩١١ وعندما أُنشئت الجَامعَة الحكوميَّة اندمجت فيها، ثم مدرسة الطبِّ التى أُنشئت عام ١٨٢٧ بأبى زعبل والتى انتقلت عام ١٨٣٨ إلى قصر العينى، وجعل الإنجليز الدراسة بها باللغة الإنجليزيَّة، ومدرسة الصيدلة التى أُنشئت عام ١٨٢٩ بأبى زعبل ثم انتقلت إلى قصر العينى عام ١٨٣٧، وكلِّـيَّة العلوم التى استُحدثت مع الجَامعَة الحكوميَّة عام ١٩٢٥، ومدرسة الحقوق التى أُنشئَت فى عهد الخديوى إسماعيل عام ١٨٦٨، وكانت تُسَمَّى مدرسة الإدارة والألسن، ثم انفصلت الإدارة عن الألسن عام ١٨٨٢، ثم أصبحت اسمها مدرسة الحقوق عام ١٨٨٦[9]. ثم انضمَّت مدارس عليا أخرى عام ١٩٣٥. وهى مدرسة الهندسة والزراعة والتجارة، بعدما استقرَّت اللوائح وانتظمت الدراسة.

---

(8) نُشر مرسوم قانون إنشاء الجَامعَة فى الوقائع المصريَّة العدد ٣١ لسنة ١٩٢٥، المادة ٧ ص٢، راجع: حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص١٥٤، وعباس- مرجع سابق- ص٦٢.

(9) عباس- مرجع سابق- ص٦٥- ٧٥.

الأجانب ومكتبة الجَامِعَة:

فى نوفمبر من عام ١٩٠٨ اختارت الجَامِعَة "فاجو" الإيطالى الجنسيَّة ليكون أول أمين للمكتبة بمرتَّب قدره ١٤٤ جنيهًا سنويًّا، واستمرَّ حتى عام ١٩١٣، فلقد كان للملك فؤاد صِلاتُه القويَّة بالملك فيكتور عمانويل الثالث والملكة مرجريت ممَّا سهل لَهُ الحصول على مساعدات كثيرة أهَمُّها ما حصلت عليه الجَامِعَة من الكتب القديمة، وكانت حكومة إيطاليا أولى الحكومات اهتمامًا بتكوين المكتبة، بفضل هذه العلاقة الوثيقة بين فؤاد وملك إيطاليا.

فقد بعث قنصل إيطاليا العامُّ فى مصر اثنَى عَشَرَ صندوقًا محتويًا على أحسن المؤلَّفات التى قدمتها المصالح الحكوميَّة والمدارس الجامعيَّة والجمعيَّات العلميَّة والأدبيَّة، وذلك قُبَيل افتتاح الجَامِعَة فى ديسمبر ١٩٠٨، وأرسل القنصل الإيطالى خطابًا إلى الجَامِعَة أضاف فيه أن الحكومة ستُلحِق بهذه الهبة هبةً ثانيةً، وأن كل دُورِ الطباعة والنشر الشهيرة فى إيطاليا تنوى أن تقدِّم أحسن المجموعات والمؤلَّفات الفنِّـيَّة والأدبيَّة التى تنشرها... ولم يمضِ على تأسيس المكتبة بضعة شهور حتى بلغ عدد الكتب الموجودة فيها عَشَرَةَ آلاف مجلَّد مكتوب بلغات متعددة بين عربيَّة وإنجليزيَّة إيطاليَّة وفرنسيَّة فى مختلف مواضيع الأبحاث، وذلك كله دون أن تكلِّف ميزانيَّة الجَامِعَة قرشًا واحدًا[10]. ونشير هنا إلى أنه فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٢٣ أمر ملك

---

(10) حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص١٠٩-١١٠ ورزق -٢٠٠٥- ص٢٣-٢٤.

إيطاليا بإهداء مكتبة الجَامِعَة الأجزاء الخامس والسادس والسابع والثامن من مؤلَّف جلالته Corpus hwmmorum Itallcorum[11].

وأسهمت فرنسا عن طريق جاستون ماسبيرو بمجموعة من الكتب النفيسة من متحف جيميه، كما أهدى متحف اللوفر مجموعة صور كبيرة بتشجيع من المسيو كلمنصو رئيس وزراء فرنسا، كما قامت دار نشر "هاشيت" بإهداء الجَامِعَة جميع المعاجم والموسوعات التي طبعتها وكذلك مجموعة من مؤلَّفات كبار كتاب فرنسا، بالإضافة إلى مجموعة معادن منحَتها لَهَا وزارة المعارف العموميَّة ووزارة الأشغال وإدارة متحف التاريخ الطبيعيّ بباريس، وأرسلت بلجيكا مجموعة من النشرات العلميَّة عن طريق المسيو جافيه وستراى وكيل بلجيكا السياسيّ فى مصر، بل ذهب رئيس الجَامِعَة بنفسه إلى عاصمتها لهذا الغرض، وحصلت من النمسا على مجموعة من الخرائط وطلبت من الجَامِعَة أن تختار ما يفيدها من المطبوعات العلميَّة بجامعتها، وكذلك فعلت روسيا التي أهدَت المكتبة مجموعةً من العاديَّات القديمة والحديثة والمؤلَّفات الموجودة فى المجمع العلميّ القيصريّ للعلوم والآداب فى مدينة بطرسبرج.

وطلب وزير خارجيَّة بريطانيا إدوارد جراى بعض مطبوعات المعاهد والجمعيَّات العلميَّة الكبرى ببريطانيا مثل المتحف البريطانيّ بلندن ومتحف

---

(11) عيسوى- ٢٠٠٧-ص ٢٥٢-٢٥٣.

كنجستون والجمعيَّة الجغرافيَّة الملكيَّة، كما أظهر استعداده لمساندته فى مسعاه لدى حكومة جلالة الملك[12].

وأُنشئت بعد ذلك عند إنشاء الجَامعَة المصريَّة مكتبة مركزيَّة كبيرة قامت بتصميمها وتنفيذها شركة عالَميَّة كبيرة، وكانت تحتوى عند افتتاحها ١٥،٠٠٠ ألف مجلَّد.

بالإضافة إلى إهداءات علِيَة القوم من المصريِّين من الباشوات والأمراء والأميرات، نجد أن المسيو داتارى أهدى مكتبة الجَامعَة المصريَّة مجموعة من المَسْكُوكَات النفيسة، وكان ذلك فى شهر أبريل من عام ١٩١١ تشتمل على تسعة آلاف وخمسمائة وعشر قطع تقريبًا، وُجدت جميعها بمصر، وتُقدَّر قيمتها فى ذلك الوقت بنحو ثلاثة آلاف جنيه، وهى مجموعة كاملة، وتَلى فى القيمة مجموعة المتحف البريطانىّ، وقد شاهدها الجمهور بعهد قبولها وضمِّها إلى المكتبة، وهذه المجموعة ترجع إلى العصور الفارسيَّة واليونانيَّة والمقدونيَّة والرومانيَّة والعربيَّة فى مصر، وكذلك بمجموعة خرائط مُهدَاة من وزارتى الحربيَّة والماليَّة النمساويَّة عام ١٩١٢ وأربعة أجزاء من مؤلَّف Corpus مُهْدًى من ملك إيطاليا إلى مكتبة الجَامعَة، وهى الأجزاء من الخامس وحتى الثامن، وقد تَسلَّمَتها الجَامعَة من الوكالة السياسيَّة الإيطاليَّة بمصر فى أكتوبر عام ١٩٢٣، وكذلك أشهر أعمال الفنِّ الفرنسىّ والإيطالى من إهداء متحف اللوفر ودار النسخ الملكيَّة فى روما، وكذلك مجموعة من الأوبرات والموسيقى الإيطاليَّة ذات الشهرة العالَميَّة من إهداء دار ريكوردى فى

---

(12) نفس المرجع- ص١١٦-١١٧.

ميلان. ولا ننسى مكتبة الأستاذ النسماوى يونكر فى الآثار المصريَّة، وكذلك مختارات من مكتبة الدكتور ماكس مايروهوف ومكتبة المستشرق الألمانىّ سيبولد التى اشترَتْها الجَامعَة، وبها نحو ١٠،٠٠٠ مجلَّد، وقد وافقت الحكومة المصريَّة على شرائها فى نوفمبر سنة ١٩٢٩ وهى خاصَّة بالشرق الأدنى وتبحث فى فقه اللغات وفى أدب اللغة العربيَّة قديمًا وحديثًا واللغات الساميَّة والحضارة والعلوم الإسلاميَّة وحضارة الفرس وأدبهم وكُتُب المستشرقين، ومجموعة كبيرة من الكتب الخاصَّة بالحِضارة الإسلاميَّة فى إسبانيا وصِقلِّيَّة وبها قسم غنىٌّ بمؤلَّفات الشعراء والمؤرِّخين الفرس، كما توجَد مجموعة كبيرة عن الآداب التركية والنثرية، ولهذا كانت هذه المجموعة النواةَ الأساسيَّة لقاعة الدراسات الإسلاميَّة والشرقيَّة، ووثائق الحملة الفرنسيَّة وخطابات مراد بك لقادة الحملة الفرنسيَّة.

ومجموعة كتب ألَّفها علماءُ أجانبُ بناءً على طلب الملك فؤاد لكى يُظهِر للعالم مَجْد مصر فى التاريخ والجغرافيا والآثار، وهذه الكتب منها: "تاريخ الأمة المصريَّة" من تأليف ج.هانوتو وآخرين، وتاريخ حياة محمَّد عَلِىّ الكبير بالإنجليزيَّة من تأليف هنرى درويل من أكسفورد بعنوان "مؤسِّس مصر الحديثة"، و"مصر والدول الأوروبّية" الكبرى (١٨٣٩- ١٨٤١) من تأليف المسيو "أ. دريو" فى خمسة أجزاء، و"تاريخ الغزوات الحربيَّة" تأليف فيجان، و"تاريخ الغزوات البحرية" تأليف الأميرالاى دوران فييل، و"تاريخ الخديوى إسماعيل" تأليف المسيو جورج دوات فى خمسة أجزاء(13).

---

(13) هذه المؤلَّفات بعضها موجود بالمكتبة المركزية وبعضها معروض فى متحف الجَامعَة.

الأجانب وبناء الجَامعَة:

نلحظ هنا استمرار غَلَبَة الطابع الفَرَنْسِيّ والثقافة الفرنسيَّة على أفراد الأسرة العَلَوِيَّة منذ عصر مؤسِّسها محمَّد عَلِيّ باشا وحتى اليوم الذى تبرَّعت فيه الأميرة فاطمة إسماعيل بوقف كبير لتُشَيَّد عليه مباني الجَامِعَة المصريَّة(14)، فقد اشترطت هذه الأميرة أن يتمَّ البناء على شكل بافيون Pavillion، أى مبانٍ منفصل بعضها عن بعض، وهو ما نراه حتى الآن فى مباني الجَامِعَة العريقة، وخصوصًا مبنى الإدارة الذى تراه من بداية شارع الجامعة بقبَّته العالية، ويتعامد عليه تمثال نهضة مصر، وكأنه مقدِّمة مدخل الجامعة(١٥). تعمَّد الفرنسيون تصميمه على شكل مبنى البرلمان المصري، وتتوسطه قاعة الاحتفالات الكبرى التي بُنِيَت على غرار الأوبرا المصرية القديمة، وكان ذلك ضمن تصوُّرات وتصميمات قام بها المهندسون الفرنسيون لمباني الحرم الجامعي كلها آنذاك. ثم نجد الأجانب على رأس اللجنة التى ستتولى التحضير والتنفيذ لعمليَّة بناء البافيون أو مباني الجَامِعَة على الأسلوب الفرنسيّ كما كانت تهوى الأميرة فاطمة، فقد قرَّر مجلس إدارة الجَامِعَة تكليف لجنة تقوم بهذه المهمَّة حتى يتسنَّى وضع حجر الأساس قبل شهر أبريل من عام ١٩١٤، واشتملت هذه اللجنة على: المستر بويد كانتر المفتِّش الأول بنظارة المعارف، والدكتور بتس مدير البَلَدِيَّات بنظارة الداخليَّة، والمسيو ستينون المهندس المعماريّ الفرنسيّ، والمسيو

---

(14) ذكرته كل المؤلَّفات التى تناولت تاريخ جَامِعَة القاهرة، انظر على سبيل المثال: رزق-٢٠٠٦- ص٢٤.

(15) هذا التمثال من أروع ما أبدعه الفنان المصري الكبير محمود مختار، وهو نفسه تلميذ الأستاذ الفرنسي الشهير لوبلان مؤسس مدرسة الفنون الجميلة.

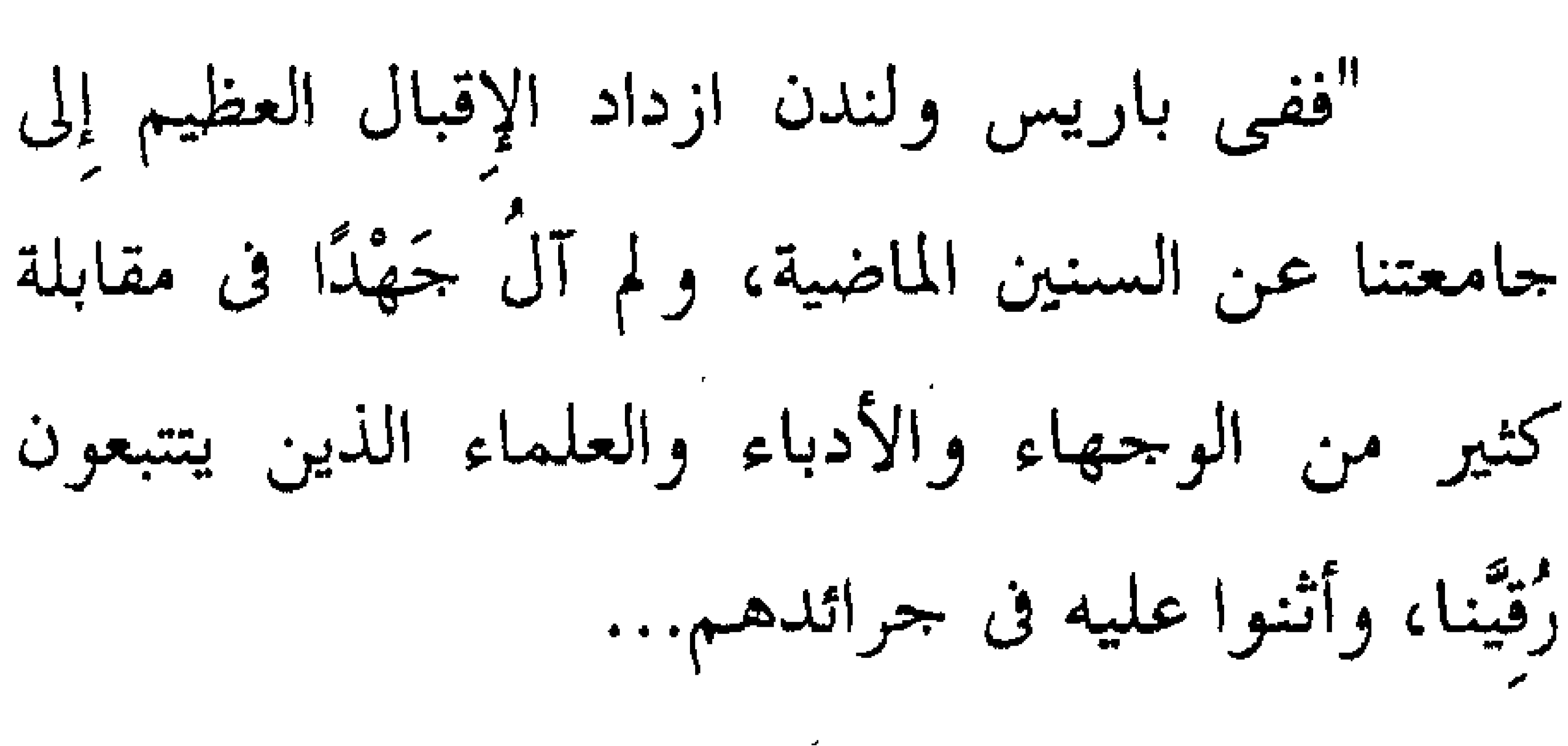
ماسبيرو مدير مصلحة الأنتيكخانة المصريَّة، بجانب الأعضاء من المصريِّين[16].

ووضع تصميماتِ مبانى الجَامِعَة المهندسُ المعمارىّ الإنجليزىّ هيو لم[17].

الأجانب يشجِّعون الأمير فؤاد:

لقد قوبل الأمير فؤاد بكل ترحيب فى البلاد الأجنبيَّة التى زارها، سواء الحكومات أو الوزارات أو الجَامِعَات ومجامع العلوم والمعاهد العلميَّة العالية والجمعيَّات العلميَّة فى برلين وبودابست ولندن وباريس وبراج وروسيا، حتى من بلَديَّات وعواصم أوروبّا على اختلافها، كل ذلك من أجل "العمل الذى تحوم حوله آمالى إذ كانت وجهتى من رحلتى تقوية دعائم الجَامِعَة ورقيَّها"... هكذا يقول الأمير فؤاد، ويضيف:





"ففى باريس ولندن ازداد الإقبال العظيم إلى جامعتنا عن السنين الماضية، ولم آلُ جَهْدًا فى مقابلة كثير من الوجهاء والأدباء والعلماء الذين يتتبعون رُقِيَّنا، وأثنوا عليه فى جرائدهم...

ولقد برهن فى لندن جناب السير إدوارد جراى وزير خارجيَّة إنجلترا على اهتمامه بالجَامِعَة المصريَّة فطلب لمكتبتنا بعض مطبوعات المعاهد العلميَّة

---

(16) محفوظات الجَامِعَة: المحفظة ٢، مجلس الإدارة سنة ١٩١٤، محضر جلسة ١٥ أبريل سنة ١٩١٤، انظر: حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص١١٥-١١٧.

(17) الأهرام ٧ فبراير ١٩٢٨.

الكبرى، وفى باريس سهّلت لى وزارة المعارف العموميّة اختيار الأساتذة الفرنسيّين الذين تنتدبهم لخدمة الجَامعَة، هذا بجانب هدايا من الكتب. ولقد قوبلت بمثل هذه المقابلة من لدن حكومة جلالة ملك إيطاليا، ورجوت جناب المسيو كريدا وزير المعارف العموميّة أن يأذن بقبول طفل رابع من شبان المصريِّين بمدرسة تورينو ليَتَعَلَّم مَجَّانًا، وقد استجاب، بالإضافة إلى إهداءات الوزارات المختلفة مطبوعاتٍ جديدةً لنا، وكمّـــيَّة عظيمة من الصور...

وفى برلين تقابلت مع جناب المسيو كيدرلن فرختر وزير خارجيَّة ألمانيا، ودارت بيننا محادثة وُدِّيَّة، وأكَّد لى أنه سيساعدنى لدى حكومة جلالة الإمبراطور، وأمَّلَنِى فى قبول بعض شُبَّان تنتخبهم الجَامِعَة ليَتَعَلَّموا مَجَّانًا عندهم، بالإضافة إلى إهداء الكتب الحديثة والأدوات الخاصَّة بعلم المناظر لمعمل الطبيعة الذى بدأنا إنشاءه...

وفى فيينَّا، تشرَّفتُ بمقابلة جلالة الإمبراطور فرنس يوزف مقابلة خصوصيَّة أفصح لى فيها عن أمانيه لنجاح معهدنا، ثم تفضَّل جناب الكونت د.دارنتال وزير خارجيَّة النمسا، فأكَّد لى أن حكومة جلالة الإمبراطور ستبذل ما فى وسعها لقبول كثير من الأطفال لتَعْلِيمهم مَجّانًا، أمَّا بلديَّة فيينَّا فقد لقيت فيها الحفاوة والإكرام عند استقبالى فيها، وستقبل عددًا من أطفالنا يُرسَلون فى شهر مايو القادم ويَتَعَلَّمون مَجَّانًا، وخاطب عمدة فيينَّا د.يونرف نوماير الأمير قائلاً: إذا رأى سموُّ الأمير أن أبناء بلده يستفيدون من تربيتهم فى بلادنا ليفيدوا بلادهم فيما بعد بمَا يأخذونه عنَّا فأنا -عمدة البلد- أؤكِّد لسموِّكم أننا سنعامل هؤلاء الأطفال كمعاملتنا لأبنائنا...

وزرت بودابست ووعدنى رئيس وزراء المجر المسيو خان هدرفارى باسم حكومته نيل مثل هذه المزايا.

وفى براغ قد نلت عبارات التكريم وكاشفنى جناب الدكتور غروس برغبة حكومته وأمته فى مساعدة الجَامِعَة المصريَّة وذلك بقبول بعض تَلاَمِيذ مصريِّين يَتَعَلَّمون مَجَّانًا وبإرسال كتب ومطبوعات علميَّة ونشرات...

وإنى لأشكر من صميم فؤادى جميع أصدقاء جامعتنا القدماء والحديثين ومندوبيهم وممثّليهم...

وجدت فى أوروبّا فى سياحتى الأخيرة نهضة فى الأبحاث الشرقيَّة، فقد أصدر وزير المعارف العموميَّة الفرنسيَّة قرارًا تاريخه ٥ أغسطس سنة ١٩١١ بإنشاء مدرسة شرقيَّة فى ليون، وستنشأ مدرسة أخرى فى بودابست، أمَّا فى فيينَّا فقد أنشأت غرفة التجارة والصناعة من قبلُ قسمًا للطلبة العثمانيِّين، وفى مدينة نابلى قرَّرت وزارة معارف حكومة إيطاليا أخيرًا إصلاح مدرسة اللغات الشرقيَّة، وتفكِّر فى إنشاء معهد بمصر للبحث عن المشرقيّات..." [18].

تعمدت أن أُورِدَ هذه الفقرات المطوَّلة لأبيِّن أن دول أوروبّا رحّبت وشجّعت الأمير والجَامِعَة الوليدة، وهو ما سوف يجعلها ترحِّب بعد ذلك بإرسال أفضل علمائها ليقوموا بالتدريس فى كلِّيَّاتِها، وكذلك يشير هذا إلى نشاط كبير قام به الأمير فؤاد لكى تثبِّت الجَامِعَة الوليدة أقدامها فى الأرض.

---

(18) بدير – ١٩٥٠ – ص١٠١-١٠٢.

ولتمويل الجَامِعَة المصريَّة اتجه فؤاد إلى إيطاليا التى اقترحت مساعدته بنموذج لكلّـيَّة آداب إيطاليَّة بأساتذها وهو الاقتراح الذى اعترض عليه ماسبيرو وقال إن الدول لا بدّ أن تقتسم أنصبتها من العمليَّة التَعْليميَّة، وبعث برسالة عاجلة إلى باريس طالبًا من وزير التَعْلِيم العامِّ أو وزير الخارجيَّة أن يُسهِم فى رواتب الأساتذة، وإذا ما كانت فرنسا تستطيع أن ترسل أساتذة لأن الأمير فؤاد على وشك القيام برحلة فى أوروبّا لبحث هذا الأمر، وبعد إيطاليا سوف يزور فرنسا فى يونيو، ومن الجميل أن يجد فى انتظاره شيئًا مهمًّا من المساعدات فى هذه الفترة. وتَحَرَّك وزير التَعْلِيم العامِّ واقترح استكمال رواتب بعض الأساتذة، وكانت نتيجة هذا الاتصال بين ماسبيرو ووزارة التَعْلِيم أن اختار جول جوتييه فى نهاية مايو ١٩١٠ أدولفين كوفرور لتدرِّس للسيدات[19] كما سنرى فيما بعد.

وخطاب أرسله ماسبيرو إلى زوجته لويز[20] يقول فيه: الوزير الإيطالى فى روما عند زيارة الأمير فؤاد يُقرِضُه ٧٥ آلف فرنك مما أثار غضب اثنين أو ثلاثة أعضاء هنا والذين احتجُّوا لدى روما.

ولكن رغم ذلك كان في استقبال الأمير فؤاد في فرنسا المسيو بريان رئيس الحكومة، وكذلك المسيو بيشون ناظر الخارجية، والمسيو دوميرج ناظر المعارف

(19) David, 1999, p. 246 (n.1).

(20) خطاب بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩١٠، راجع Ibid, p. 246 (n.2).

العمومية، وكذلك المسيو دوفرانس قنصل فرنسا في مصر، الذي اهتمّ بالجامعة المصرية وما أراده الأمير[21].

ردود الأساتذة الأجانب على نداء الأمير:

من فرنسا:

"مولاى، إجابة لِمَا أبديتموه للمسيو بانييه، قد سعيت فى معرفة ما إذا كان من الممكن انتداب المسيو مارسى بمصر، غير أن صعوبات إداريَّة تحول دون ذلك، ولنؤجل تحقيق هذه الغاية فى العام القادم... وتفضلوا..."

الأستاذ جولى كولي
رئيس إدارة الجَامعَات
والمدارس الفرنسيَّة الأهليَّة

من بودابست ٢٢ أغسطس سنة ١٩١١:

"مولاى،... وأبدى أن أعمالى العديدة التى أقوم بأدائها لا تسمح لى أن أتغيَّب مدَّة السنة الدراسيَّة أكثر من شهرين، ومن حيث أن السنة المكتبيَّة المتداخلة فى عامَى ١٩١١- ١٩١٢ تدعونى استثناءً إلى القيام بأشغال جسيمة غير اعتياديَّة لا يتسنَّى تأجيلها، ومنها مؤتمر المستشرقين الذى سينعقد فى مدينة أثينا، الذى يجب أن أترأَّس فيه الجلسة العامَّة لِلَجْنَة دائرة المعارف الإسلاميَّة، وجلسات المجلس

(21) من بيان ألقاه الأمير فؤاد في مجلس إدارة الجامعة المصرية ١٥ مارس سنة ١٩١١م، راجع: بدير- ١٩٥٠ ص٨٦ وما بعدها، وبخاصة ص٨٩. ونقله عنه آخرون، منهم: المناوي- ٢٠٠٧- ص١٣٣.

الاستعماريّ الدوليّ الذى ينعقد ببروكسل، وفضلاً عن ذلك عيّنت وكيلاً لِلَجْنَة تحضير المؤتمر الدوليّ لتاريخ الأديان الذى سينعقد بمدينة ليدن.

... فلهذه الأسباب جميعها، ترون أنه ليس يتعسر عَلَيَّ فقط قبول عمل جديد يُعهَد به إِلَيَّ فى هذا العام، بل يقتضى أيضًا الوقت الذى يمكّننى من تحضير دروس أقوم بإِلقائها باللغة العربيَّة... أَمَّا فى العام التالى فربما ساعدَتنى الظروف على القيام بهذا العمل، أمَّا إِذا وجدتم أستاذًا لهذا العام، فمن مصلحة الجَامِعَة استمراره العام الذى يليه، وكونوا على ثقة يا مولاى من خالص إِعجابى بعملكم الجليل، ورغبتى الشديدة فى خدمة الجَامِعَة... وتفضَّلوا بقبول عبارات الاحترام...".

سنوك هرغوني

من براج فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١١:

"مولاى... إِن ستة الأسابيع السابقة لميعاد التدريس قليلة جدًّا لإِعداد المحاضرات المطلوبة، ولا سيما أنها باللغة العربيَّة... وإِنى لا أزال فى خدمة سموِّكم، هذا مع إِعجابى بنشركم لواء العلم العربى، وإِنى يا مولاى المخلص لكم".

الأستاذ رودلف دوورزاك

من براج فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩١١:

"مولاى، طبقًا للرغبة التى أظهرتموها عند مبارحتكم براج، قد طلبت بإِلحاح إِلى الدكتور رودلف دوورزاك أستاذ الجَامِعَة البوهيميَّة بمدينة براج، أن يجيب دعوة

دولتكم للقيام بالتدريس بالجَامعَة المصريَّة، وما أسعدنى أن أعمل على ربط الصداقة بين مصر وبوهيميا بعروة وثقى، وأرجوكم أن تتنازلوا بقبول عظيم إجلالى".

عمدة براج

ك. غروس

من بودابست فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١١:

"مولاى... أتشرف بإخبار سموِّكم أننى لم أقصِّر فى السعى لدى جناب الأستاذ جولدتسيهر، غير أنه أبدى مع الأسف أنه لا يمكنه أن يقبل ذلك الآن... وأطلب قبول المعذرة...".

كون هدروفارى

القاهرة فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١١:

"مولاى، طلب منى جناب المعتمد السياسىّ لحكومة هولندا أن أبلغ دولتكم باسم حكومته أن ناظر الداخليَّة بمدينة لاهاى، إجابةً لرغبتكم، على تمام الاستعداد لأن يمنح الأستاذ سنوك هرغونى، مدرس اللغة العربيَّة بجَامعَة ليدن، إجازة رسميَّة، وأن هذا الأستاذ من جهته لا يتأخر عن الحضور لإلقاء دروس عالية بالجَامعَة المصريَّة، لكنه لا يستطيع هذا العام ١٩١١-١٩١٢، ويعرض على دولتكم الحضور بالقاهرة فى السنة المكتبيَّة القادمة ١٩١٢-١٩١٣ إذا لم تروا ضررًا فى ذلك، وتفضلوا يا مولاى بقبول خالص احترامى".

حسين رشدى

ويقول الأمير أحمد فؤاد مبيِّنًا عن رؤيته للأجانب والغربيِّين: "إن علاقتنا بالأجانب يجب أن ننظر إليها بعين الرضا، لأنه باشتراك الغربيِّين معنا فى العمل، يتيسر لنا أن نعيد إلى الشرق مَجْدَه القديم، ولهذا سعيت عند الأمراء والحكومات والمعاهد بأوروبّا فى مساعدة النهضة العلميَّة بمصر، فبادروا بتعضيدنا فى تقدُّم جامعتنا السريع".

موقف الإنجليز من الجَامعَة:

كما ذكرنا من قبل، نشأت الجَامِعَة فى تربة فرنسيَّة سهر على العناية بها جيلاً بعد جيلٍ رجالٌ من المبرزين الفرنسيّين فى كل المجالات، ولكنها كذلك نشأت فى ظلٍّ احتلال إنجليزىّ كان لَهُ تصوُّره المغاير للتصور الفرنسىّ، بل والمُعادى لَهُ، وهى قصَّة طويلة بين البلدين. وقبل أن نعرض لموقف الإنجليز من الجَامِعَة والتَعْلِيم الجامعىّ، نعرض لوجهتَى نظر متعارضتين: الأولى وجهة النظر المصريَّة، والثانية وجهة النظر الإنجليزيَّة، وباختصار قدر المستطاع حتى لا نخرج عن خطٍّ الكتاب العامِّ.

رأت وجهة النظر المصريَّة فى اهتمام المحتلّ الإنجليزىّ بالكتاتيب وسيلة لمناوأة فكرة الجَامِعَة التى تعتمل فى عقول المصريِّين، بل إذا ما حدَّ الإنجليز من بعض أنواع التَعْلِيم ورأوا قلَّة الحاجة إليه رأى المصريُّون فى ذلك أسلوبًا غير مباشر لصرف المصريِّين بالكلِّيَّة عن التَعْلِيم[22].

---

(22) كرومر- ترجمة تقرير ١٩٠٥- ص١٣٣ وما بعدها.

بينما رجع الإنجليزُ كلَّ أوجه القصور وتدنِّى المستوى فى التَعْليم إلى عدم إقبال الشعب المصرىّ على طلب العلم[23]، وفى هذا الصدد نودُّ أن نؤكد على العلاقة الوطيدة التى جمعت مصطفى كامل والخديوى عباس حلمى الثانى الذى دعمه بكل قوَّة، وكانت بينهما المراسلات من فرنسا إلى مصر وبالعكس[24]، وكذلك كان مصطفى كامل على صلة بالنخبة الفرنسيَّة، ومن هؤلاء سيدة فرنسيَّة مثقَّفة تُدعَى جولييت آدم كانت بينهما مراسلات وحوارات[25]. ويرى دنلوب عدم ميل المصريِّين إلى دراسة الهندسة بمدرسة المُهَنْدِسْخَانَة لأنهم لا يحبون الحركة ويميلون إلى القعود والكسل[26]، إلخ.

والواقع أن سياسة المحتلّ البريطانىّ قامت -فيما يخصُّ التَعْليم الابتدائىّ- بإعداد تَلاَميذ للثانوىّ والتَعْليم الخصوصىّ، وبالتالى لم تهتمَّ بالتَعْليم لكلِّ الناس، وكان اهتمامهم بالتَعْليم الثانوىّ لإعداد التَلاَميذ للتَعْليم العالى لتخريج موظَّفين ممَّن تحتاجهم الإدارة فى الوظائف الصغرى[27]، وكذلك اهتمُّوا بالتَعْليم الفنِّى والصناعىِّ وتَعْليم المرأة لتساعد المجتمع على الدخول إلى عصر التمدن بسرعة[28]، بجانب تأثير القوى الأجنبيَّة الأخرى على حركة التَعْليم بما لَهَا من نفوذ ووجود على أرض الواقع. وكذلك نرصد هنا أنه كان هناك وكيل يساعد ناظر المعارف،

---

(23) Lioyd, 1934, P. 159 ff.

(24) عباس حلمى الثانى- ٢٠٠٦- ص١٥٣ والملحق رقم١.

(25) شفيق- ١٩٣٦- ج٢- ص٩١.

(26) Dunlop, 1905, P. 35.

(27) كرومر- ترجمة تقرير ١٩٠٥- ص١٣٢ وما بعدها.

(28) Dunlop, 1906, P. 40. ; Cromer, 1911, P. 886.

وأشهر هؤلاء كان يعقوب آرتين باشا (عضو مجلس إدارة الجَامعَة)، ثم استحدث الإنجليز وظيفة مستشار ناظر المعارف سنة ١٩٠٦ وتولاَّها دوجلاس دنلوب الذى كان مفتِّشًا بالمعارف سنة ١٨٩٠ ثم سكرتيرًا لَهَا منذ ١٨٩٧، وكان المستشار هو ممثِّل الاحتلال فى الوزارة، فهو رسميًّا مستشار الوزير، وهو فعليًّا صاحب السلطة العليا فى الوزارة، وظلّ دنلوب يشغل هذا المنصب رغب غضب وسخط الشعب عليه حتى اضطُرّ إلى الاستقالة عام ١٩١٩[29].

ونظر الإنجليز بارتياب إلى البعثات، بسبب أن معظمها ومنذ زمن بعيد يتجه إلى فرنسا، فقلَّلُوا كثيرًا منها ومن نفقاهم عليها[30]، وبخصوص التَعْلِيم العالى قضى الاحتلال على المَجَّانيَّة ورفَع مصروفات المدارس العليا[31].

واستمرَّت سياسة الإنجليز فى العمل على اكتساب أرض جديدة للغتهم على حساب اللغة الفرنسيَّة[32] حتى انهار مركز اللغة الفرنسيَّة فى هذا التَعْلِيم ولم يعُد لهذه اللغة إلاَّ وجود محدود أخذ ينهار بشكل واضح فى السنوات القليلة التالية على الاتِّفاق الودِّىِّ إذْ لم يعُد للغة الفرنسيَّة وجود حقيقى فى مدارس التَعْلِيم العالى بعد سنة ١٩٠٤ إلاَّ فى مدرسة الحقوق، أمَّا المدارس الأخرى كالطبِّ والمُهَنْدِسْخَانَة فلم

(29) أبو الإسعاد- ١٩٨٣- ص٣٦-٣٧. دنلوب من أصل اسكتلندى حصل على لقب معلّم علوم ودكتور فى الحقوق وعمل ناظرًا للمدرسة الاسكتلنديَّة بالإسكندريَّة ثم اختير سنة ١٨٩٠ مفتِّشًا بالمعارف. راجع: نفس المرجع- ص٣٧ (الهامش ١٧).

(30) آرتين- ١٨٩٤- ص١٤٠.

(31) أبو الإسعاد- ١٩٨٣- ص١٦٢-١٦٨.

(32) شفيق- ١٩٣٦- ص٩٠. عن تقرير اللورد كرومر عام ١٩٠٠.

يعُد للغة الفرنسيَّة فيها وجود[33]. بل قصد الاحتلال للقضاء على اللغة الفرنسيَّة فى مدرسة الحقوق نفسها فأخذ بأسباب تنشيط القسم الإنجليزىّ من الحقوق على حساب القسم الفرنسىّ، ونجح فى مسعاه.

وبالمثل وجَّه الإنجليز معظم البعثات الدراسيَّة إلى إنجلترا حتى إننا سنجد سنة ١٩١٧ مبعوثًا واحدًا فى فرنسا. واتجهت إنجلترا كذلك للتخلُّص من المدرِّسين الفرنسيِّين، فوجودهم فى المدارس يشكِّل خطرًا على وجود المحتلّ الإنجليزىّ، وكشفت استقالة المسيو لامبير Lambert الناظر الفرنسىّ لمدرسة الحقوق الخديويَّة سنة ١٩٠٧ أساليب دنلوب للتخلُّص من الفرنسيّين[34] بأعصاب أنجلو سكسونية باردة فى مدَّة ثلاثين عامًا بعد احتلال مصر[35].

كان كرومر يرقب لجنة الجَامِعَة وعملها بيقظة، وكان رأيه فيها أنها "لجنة الأعيان الخاصَّة بإنشاء الجَامِعَة"، فكان يشير على أعضائها أن يدرسوا تاريخ إنشاء الجَامِعَات فى البلاد الأخرى، ويبذلوا الجهد فى إفهام المصريِّين الغرض الحقيقىّ الذى يرمون إليه من وراء إنشائها، وأنه يجدر بهم أيضًا التأمُّل فى بعض التفاصيل الخاصَّة بالمشروع وأهمُّها: موضوع الطلبة وتحديد اللغة التى تُتَّخَذ أساسًا للتَعْلِيم وإعداد الأساتذة والمعلِّمين اللازمين للجَامِعَة، ثم النظر بعد ذلك فى أمر الشئون الماليَّة وعلاقة هذه المؤسَّسة الحديثة النشأة بوزارة المعارف والمدارس الفنِّيَّة العالية وتأليف مجلس إدارة لَهَا، ووضع نظام لإدارة الطلبة والسكن. فكان كرومر يرى أن

---

(33) أبو الإسعاد- ١٩٨٣- ص١٩٦-١٩٧ وDunlop, 1905, P. 58-9.

(34) أبو الإسعاد- ١٩٨٣- ص١٩٩-٢٠٠.

(35) عباس حلمى الثانى- ٢٠٠٦-ص ١٨٩.

توسيع نطاق فائدة الجَامعَة يقضى بأن يكون لَهَا كِيان شرعىٌّ، وأن يكون الانتظام فى عضويتها مطمعًا للأبصار وطلب العلم فيها من الأعمال الشريفة الجِدِّيَّة، وأنه يجب أن يُمتحن من يطلب الالتحاق بها حتى يثبت أنه قادر على الاستفادة من دروسها، وأن يشترط على الطالب حضور عدد معيَّن من الدروس، وأن تُعَدَّ قوانين لحفظ النظام بين الطلبة. كما كان كرومر ينصح القائمين بالمشروع بتكييف مشروع الجَامِعَة لاستمالة أبناء الأغنياء المصريِّين للإِقبال عليها، وأنه لا بدّ من مضِىٍّ زمان قبل إِخراج المشروع وتنفيذه(36).

ورَأْىُ كرومر لم يكُن جديدًا، فقد كان يرفض الفكرة من أساسها، منذ أواخر القرن التاسع عشر، حين نشرتها الصحف وذكرتها تقارير التَعْلِيم المصريَّة(37)، ونرى فى حديثه عدم ثقته فى المصريِّين الذين يرميهم بالجهل وعدم تأهُّلهم لتحمُّل تبعة مثل هذا التَعْلِيم.

وكذلك وقفت الصحف الأجنبيَّة ذات الموقف المعادى والمشكِّك كما فعلت جريدة التايمز Times التى عبَّرت عن عدم ثقتها فى قدرة المصريِّين على إنشاء جَامِعَة، وكذلك وجدنا جريدة الأيجبشيان جازيت Egypthian Gazette تتهجم وتتطاول على المصريِّين بصفة عامَّة فجاء بها أن الجرائد الوطنيَّة تعلن بزعمها أن المصرىّ قادر على تولّى أموره، فى حين يتركون كل مشاريعهم -مثل إنشاء البنوك- فى أيدى الأوروبّيين، كما اتُّهمت الجرائد الوطنيَّة بأنها تتحايل لجمع

---

(36) تقرير كرومر سنة ١٩٠٦- ص١٥٩-١٦٠، انظر: حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص٣١-٣٢. وراجع: Reid, 2002, P. 139, ff.

(37) تقرير كرومر سنة ١٨٩٦- ص٤٤ وانظر نفس المرجع - ص٣٢.

التبرُّعات للمشروع، كما اتَّهمت المصريِّين بأنهم لا يعرفون مبدأ الاتحاد، وأنهم لم ينموا بعدُ النموَّ الكافى(38). وذكرت المانشستر جارديان فى عدد ١٦ أكتوبر ١٩٠٦: "مشروع الجَامعَة جدير بالاحترام، واضطلعت به مصر، وكان من دعاتها الأوائل مصطفى كامل".

وقالت صحيفة الجلوب فى عدد ٣٠ أكتوبر ١٩١٦: "هذا المشروع -مشروع الجَامعَة- لم يحِنْ حينُه بعدُ، فهو نشأ عن اضطرابات سياسيَّة، لا عن رغبة وحاجة مُلحَّة لنشر التَعْليم العالى بمصر، وإن مصطفى كامل هو كبير المهيِّجين فى مصر".

ونرصد هنا مناورة كرومر بتعيين سعد زغلول وزارة المعارف لإبعاده عن الجَامعَة ومناهضة الخديوى عباس الذى عرف عنه تأييده للمشروع(39).

ويرصد الخديوى عباس حلمى الثانى ما يجرى من حوله فيقول: "وفى خلال هذه الفترة العصيبة من هذه العمليَّة، قام رجال البعثات البروتستانتية الإنجليزيَّة بإعلام رجالهم بحكمة، وعلى التوالى فى بلادى وفى بلادهم، لكى يقنعوهم بعدم جدوى، وعدم إمكانية -إن لم يكُن فى ذلك خطر- مثل هذا الدافع، وفيما بين يناير ١٩٠٧ ونهاية ١٩٠٨، حتى اليوم السابق للافتتاح مباشرة، وابتداءً من العدد الأول من المجلَّد الأول من صدى "الشرق والغرب" -وهى تصدر بالإنجليزيَّة وبالعربيَّة- وفى المُلْحَق وفى المجلَّة، وهى التى كانت تُنشَر عن طريق نفس المجلَّة

---

(38) المؤيِّد ٦ نوفمبر ١٩٠٦ نقلاً عن التايمز و١٠ نوفمبر ١٩٠٦ نقلاً عن الإيجبشيان جازيت، انظر: حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص٣٣-٣٤.

(39) Vitikiotis, 1969, P. 211-12.

باسم عامٌ هو "الدراسات المصريَّة، التَعْليميَّة فى الغالب"، قام واحد أو أكثر من الكُتَّاب الذين تحاشَوا ذكر أسمائهم، بتأليب المصريِّين، ولمدة عامين متتاليَين، ضدّ موضوع هذه الجَامِعَة الوطنيَّة المقبلة والتى كانت وهى لا تزال صغيرة تُقلِق مضاجع بريطانيا العظمى، وكانت هناك مفارقات غير مقبولة ومثبِّطة للهمم بين المناهج التَعْليميَّة والمعونات المدرسيَّة لمصر وللهند والصين واليابان وأوروبّا وحتى أمريكا، وكانت كلمات الحرية والإخاء والمساواة التى ذُكرت فى هذه الانتقادات اللاذعة قد بدَت على أنها ساخرة تمامًا.

ولم يكُن هناك شيء أقلّ لياقة من المقارنة المتكررة مع المناهج الهنديَّة، وكانت اتصالات الهند مع أوروبّا، وفى كل وقت، مختلفة تمامًا، لقد كانت الحضارة المصريَّة دائمًا، وفى خلال عصور طويلة، محلّقة بحضارة أوروبّا المطلة على البحر المتوسط، سواء أكانت يونانيَّة أو رومانيَّة أو حتى عربيَّة. ولذلك فإن مصر شعرت بأنها مرتبطة حيال هذه الحضارة فى جنوب أوروبّا بخصائص العِرْق، وبتاريخها، وبمناخها، وبكل عناصر أخرى، أكثر من ارتباطها بحضارة البلاد الأنجلو سكسونية والأمريكيَّة.

وهذا الإنذار كان يُخفِى الخوف من رؤية الفلاح الذى يُنتِج الثروات الإنجليزيَّة يحوِّل طريقة بعيدًا عن النشاط الزراعى. فما النظام الذى يجب التفكير فيه من أجل شعب يتكون من الفلاحين إلى درجة بعيدة؟ والنِّسَب الكلِّيَّة، هل ستنقص بدرجة كبيرة فى المستقبل؟ وما الاتساعات التى يمكن تشجيع الصناعات فى مصر فيها؟ فلم يكُن من الضرورى البدء بجَامِعَة، وكان من الممكن إنشاء كلِّيَّة، مع عدد محدود من الأقسام.

وعلى أية حال، فقد ناضلنا، ورغم واحدة من أقسى الأزمات الماليَّة التى نزلت على مصر، وقلَّة الأموال التى نتجت عنها مؤسَّساتنا الجديدة، ورغم اللذَّة المتشفيَّة التى أظهر الإنجليزُ بها، وبكل سوءِ نيَّة، عدم التجاوُب تجاه هذا التأكيد الواضح للثقافة والاتجاه الوطنىّ، فإن الجَامِعَة المصريَّة فتحت أبوابها رسميًّا للمصريِّين ذوى العزيمة القويَّة، فى يوم الإثنين ٢١ ديسمبر ١٩٠٨ (٢٧ ذى الحجة ١٣٢٦هـ)[40]، وكشفت بذلك وقضت على كل تنبُّؤ سيِّئ".

نقلتُ شهادته كاملة لأنها شهادة للتاريخ، فلم أحب أن أجتزئ منها بعضها، وكذلك تنبئ عن روح هذه الخديوى الوطنىّ.

وإنما رأى البعض فى تعيين كرومر لسعد زغلول ناظرًا للمعارف مناهضة لمشروع الجَامِعَة لَمَّا رأوا أنه يشجع من الجهة الأخرى التعْليم فى الكتاتيب، لكن بعضهم رأى أن فيه -مع ذلك- خيرًا، ومنهم لطفى السيد الذى لم يرضَ عن اتهام كرومر بأنه يهدف إلى صرف الأذهان عن الجَامِعَة، فإنشاء الكتاتيب لا يقف عائقًا دون الوصول إلى حلم الجَامِعَة[41].

أمَّا جورست فلم يعترض على المشروع لَمَّا علم به من الخديوى، ولم يذكر شيئًا يمسُّ الجَامِعَة فى تقريره، ولم يهاجمها، بل وصفها بأنها مشروع عظيم وأن الحكومة تشجِّع هذا المشروع العظيم بكل طاقتها وتمدُّه بمعونتها. وعمومًا فقد كانت علاقة الخديوى عباس حلمى الثانى بجورست أفضل كثيرًا من علاقته بسلفه

(40) عباس حلمى- ٢٠٠٦- ص١٥٤- ١٥٥.

(41) النجار- ١٩٦٥- ص٢٥٠-٢٥١.

كرومر، فهو يرى أن السير إلدون جورست يحاول دائمًا أن يُرضِى رغبات الأهالي[42].

ومن هنا تعرَّض الخديوى الذى رضى عن جورست لانتقادات الصحف التى رأت فى ذلك فرصة لجورست ثمينة ليطَّلع على برنامج الجَامِعَة والتخابر على عمل اللجنة الفنِّــيَّة[43].

ونكتفى بهذا القدر فى ما يتعلق بموقف الإنجليز الذين سيطروا رويدًا رويدًا على مجريات التَعْلِيم ونشروا لغتهم على حساب اللغة الفرنسيَّة، ونذكّر هنا بموقف القاضى مارشال، فقد تَخَوَّف من أن تخسر إنجلترا فرصة لإحداث أثر إيجابى، ولعب على وتر غرور كرومر، عندما استأذنه فى نشر مقال يدعو إلى إنشاء جَامِعَة مصريَّة، كتبه فى ديسمبر ١٩٠٤، قال فيه: "إن اسم مؤسِّس جَامِعَة على قواعد حديثة سوف يبقى باعتباره عظيمًا، ويستطيع اللورد كرومر أن يكون هذا الرجل بذكائه، ومن المفارقات أن لا يكون لبلد مثل مصر جَامِعَة". وكان مارشال زميل قاسم أمين، وكان هناك حديث بين مارشال وسعد زغلول وقاسم أمين حول خليفة كرومر وهو إلدون جورست الذى أبدى تفاهُمًا كما ذكرنا[44]

---

(42) عباس حلمى الثانى- ٢٠٠٦- ص٣٢١ وما بعدها.

(43) حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص٥٧- ٥٨.

(44) ريد -٢٠٠٧-ص ٤١-٤٣.

البعثات إلى أوربا:

بعثات الكبار:

وكان الغرض الأول الذى ترمى إليه الجَامِعَة من إرسال الطلاّب إلى أوروبّا هو إعداد فريق من الأساتذة للقيام بمهام التدريس بعد عودتهم وأن تكون إقامتهم فى أوروبّا لنيل أعلى الشهادات. وقررت اللجنة الفنِّيَّة بالجَامِعَة إرسال أحد عشر طالبا إلى كل من إنجلترا وفرنسا وذلك قبيل افتتاح الجَامِعَة رسميًّا. وتَمَّ تعيين مندوبَين عن الجَامِعَة لمباشرة أمور البعثة المصريَّة فى كل من إنجلترا وفرنسا، فعُيِّن المسيو دواليه المهندس المعمارىّ بباريس نائبًا عن الجَامِعَة فى فرنسا، والمستر بارنت نائبًا عنها فى إنجلترا لمراقبة الطلبة وإرشادهم فى حياتهم الدراسيَّة ولإمداد مجلس الإدارة بالملحوظات والمقترَحات النافعة نظير مرتب سنوىّ قدره مائة جنية إنجليزىّ لكلٍّ منهما.

ولاحظنا أنه حين ساءت الأحول الماليَّة فى خلال سنوات الحرب واستقال المسيو ماسينيون من أعمال الإشراف على الطلبة فى فرنسا توسَّط المسيو فوكار (أحد أعضاء مجلس الإدارة) والمسيو لويس ليمان (مدرس آداب اللغة الفرنسيَّة بالجَامِعَة) لأن يقبل المسيو بنديت أمين قسم الآثار المصريَّة بمتحف اللوفر أن يتبرع بالقيام بمهمَّة الإشراف على نشئون الطلبة من الناحية العلميَّة[45].

---

(45) حسن إبراهيم- مرجع سابق-ص ١٢١-٢٥.

بعثات الأطفال:

انتهجت الجَامِعَة بجانب ابتعاث الطلاَّب الكبار إلى جَامِعَات أوروبّا نهجًا آخر، وهو أنها أرسلت صبْيَةً صغارًا ليَتَعَلَّموا منذ نعومة أظفارهم فى مدارس أوروبّا ثم يلتحقوا بجَامِعَاتها. وبدأ هذا النظام فى سنة ١٩١٠ فى أثناء وجود رئيس الجَامِعَة فى أوروبّا، حيث قدَّمت الحكومة الإيطاليَّة الدعم والمساعدة لتَعْلِيم ثلاثة من التَلاَمِيذ المصريِّين الصِّغار على نفقتها، وهم: سحاب رفعت ألماظ وكان عمره ٨ سنوات، ومحمَّد قاسم أمين وكان فى التاسعة و٨ أشهر، وشديد حمزة وكان سنُّه ٩ سنوات و١١ شهرًا، ودخل ثلاثتهم مدرسة فكتور عمانويل الأهليَّة بمدينة نابولى، وزاد هذا العدد إلى أربعة أطفال فيما بعد عندما قبل كرايدار وزير المعارف العموميَّة بإيطاليا أن يأذن بقبول تلميذ رابع من المصريِّين بمدرسة تورينو الأهليَّة يَتَعَلَّم بها مَجَّانًا وذلك بناءً على طلب رئيس الجَامِعَة[46].

كما حصل الأمير فؤاد فى أثناء وجوده بفرنسا وبمساعدة من جاستون ماسبيرو على قبول الحكومة الفرنسيَّة لاستقبال بعثة من الجَامِعَة المصريَّة مكوَّنة من ثلاثة أطفال فى سنّ العشر السنوات يَتَعَلَّمون لحساب الجَامِعَة المصريَّة على نفقة فرنسا حتى يُحرِزوا أعلى الدَّرَجَات فى العلوم التى تخصِّصهم الجَامِعَة فى دراستها، وأسماؤهم: آرام استيفان وعبد الله الصحن وكان عمر كل منهما ٩ سنوات ونصف السنة، وحسين كامل وكان فى الحادية عشْرَة من عمره، وقد مكث هؤلاء

(46) محفوظات الجَامِعَة: المحفظة ٢، مجلس الإدارة ٩ يونيو سنة ١٩١٠، انظر: حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص١٣٤-١٣٥.

فى العاصمة باريس وكُلِّف الشيخ أحمد ضيف (وكان من مبعوثى الجَامِعَة هناك) تثقيفهم فى اللغة العربيَّة، كما أُرسِلَت فى نفس السنة بعثة مكوَّنة من ثلاثة أطفال إلى النمسا[47]، لكن نذكر هنا أن الجَامِعَة عدلت بعد ذلك عن هذا النظام نظرًا إلى عدم قدرة هؤلاء على التحصيل واحتجاج أولياء الأمور لدى الجَامِعَة، رغم ما كان من لوائح منتظمة لهذه البعثات[48].



البعثة الأولى إلى إيطاليا فى عام ١٩١٠ (ويظهر فى الصورة ثلاثة فقط من التلَاميذ)



البعثة الثانية إلى فرنسا فى عام ١٩١٠ (ويظهر فى الصورة التلَاميذ مع معلمهم المصرىّ)



البعثة الثالثة إلى النمسا فى عام ١٩١٣ (ويظهر فى الصورة التلَاميذ مع ضابط المدرسة)

(47) محفوظات الجَامِعَة: المحفظة ٢، مجلس الإدارة ٨ مارس ١٩١٠، انظر: حسن إبراهيم- مرجع سابق- ص١١٥-١١٧.

(48) لكى لا نخرج عن موضوع كتابنا، نُحِيلُ القارئ إلى: بدير-١٩٥٠-ص ٤٢-٤٦ وعيسوى٢٠٠٧- ص١٩٣-١٩٧.

لغة التَعْليم:

كان التَعْليم فى كل مستوياته منذ عهد محمَّد عَلِىّ باللغة العربيَّة، ثم حدثت الدعوة إلى التَعْليم بإحدى اللغتين الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة ابتداءً من عام ١٨٨٨ عندما قدَّم علِىّ مُبَارَك تقريره وأشار إلى أَهَمِّــيَّة هذا، وكذلك تحمَّس البعض منهم للغة الفرنسيَّة، لكن الاحتلال عمل منذ عام ١٨٨٨ وحتى عام ١٩٠٦ على أن تكون لغة التَعْليم هى اللغة الأجنبيَّة فى جميع مراحل الدارسة[49] عن طريق دنلوب مستشار وزارة المعارف[50].

---

(49) أبو الإسعاد- ١٩٨٣- ص٢٠٨- ٢١٣.

(50) عن المعركة بين المؤيِّدين للغة العربيَّة كلغة للتَعْليم والمعارضين وموقف الاحتلال وتناول الصحف لهذه القضية، راجع: إسماعيل على، ١٩٩٥، ص٩٥- ١٥٤.

الفصل الثالث
الأَجَانِب فِى كُلِّـيَّات الجَامِعَة

أجَانب.. أو.. لا أجَانب.. معركة!

فِى الأيام الأُولَى للجَامِعَة "الأهلية" توجَّه الأمير فُؤَاد إِلى إِيطاليا طالبًا العون والمساعدة، فوعدت إِيطاليا بإِمداده بأسَاتِذَة فِى كل المجالات والمساعدة كذلك فِى دفع بعض من مرتَّباهم[1]. وبالفعل قُدِّم إِلى الجَامِعَة أسَاتِذَة أجَانب كَثيرون إِيطاليُّون وغيرهم، واستمر بعض الأجَانب مِمَّن كان يدرِّس فِى المدارس العُلْيَا يدرِّس بِهَا بعد انضمامها إِلى الجَامِعَة الوليدة.

ولكن عندما ظهرت الجَامِعَة المِصْرِيَّة عام 1925 فِى ثوبها الأميرى، وعقدت أول مجلس إِدارة لَهَا فِى يوم الإثنين 11 مايو عام 1925، حدثت مناقشات واختلفت الآراء حول الاستعانة بالأسَاتِذَة الأجَانب من عدمها، هذا رغم أن مجلس الإِدارة نفسه فِى ذلك اليوم كان يضمُّ أجنبيَّين بجانب المصريِّين وهما الدُّكْتُور ولسون والدُّكْتُور درى.

فكان هناك فريق ينادى بأن تتكون هيئة التدريس فِى الجَامِعَة فِى أعوامها الأُولَى من الأجَانب، وعلى رأس هؤلاء العالِم الكبير الدُّكْتُور على مشرفة بقوله إن أول خطوة فِى بناء المؤسَّسة الجَدِيدَة هى استحضار الأسَاتِذَة: "فهم عنوانها، وعليهم يتوقف عملها وصيتها ومستقبلها، وهم الكفيلون بحسن بدئها". ولم يرَ ثَمة ما يمنع أن يكون أغلب هؤلاء الأسَاتِذَة فِى البدء من الأجَانب: "ولَمَ لا؟ إن العلم لا وطن لَهُ، ومستوى جامعتنا وصيتُها بين جَامِعَات العالَم فوق كل اعتبار آخر. ثم لنعملْ على تشجيع ذوى الاستعداد والكفاية من المصريِّين بكل قوانا حَتَّى يصبحوا

---

(1) David, 1999, P. 245.

فِى مصافِّ هؤلاء الأَسَاتذَة، وعندئذ يُتاح لنا أن نُحِلَّهم مَحَلَّ الأَجَانِب بحقٍّ ونفخر بهم بين الأمم بصدق"[2].

ويبدو أن المسئولين عن الجَامِعَة الجَدِيدَة، وبموافقة من الملك فُؤَاد الذى تلقَّى أغلب تَعْليمه فِى أُورُوبَّا، كانوا من أنصار هذا الرأى، فقد نشرت الأهرام فِى عددها الصادر يوم الأربعاء 8 أبريل عام 1925 خبرًا مفاده أن النِّيَّة قَد انعقدت على اختيار نُظَّار الكُلِّـيَّات الأربع من الأَجَانِب: أمريكىٌّ لنظارة الهَنْدَسَة والعُلُوم، وبريطانىٌّ لنظارة كلِّـيَّة الطبِّ والصَّيْدَلَة، وفَرَنْسِىٌّ لنظارة كُلِّـيَّتَى الآدَاب والحُقُوق.

وكان هناك فريق آخر يخالف هذا الرأى، وهو ما عبَّر عنه أحدهم فِى مقال طويل تحت عنوان "احذروا الامتيازات" أنحى فِيهِ باللائمة على وزارة المَعَارِف اختيار علماء أَجَانِب لهذه الوَظَائف، كما عبَّر عنه الأُسْتَاذ أحمد الصاوى محمَّد الذى رأى أن المسئولين عن الجَامِعَة يسلكون بمثل هذا التصرف سلوك الرجل المُحْدَث الذى يُصِرُّ على بناء سطح البيت قبل وضع الأساس، وتساءل: "هل قامت هذه الجَامِعَة لتَعْلِيم الأَجَانِب فِى مِصْر من الأرمن إِلى الأروام؟ وما معنى هذا التمرُّد على أَسَاتِذَة مصريِّين نالوا إِجازات عِلْمِيَّة من أُورُبَّا وقامت الجَامِعَة المِصْرِيَّة بتثقيفهم ليثقِّفوا أبناءهم؟".

واشترك أفراد الشعب برأيهم على صفحات الجرائد فبعث أحدهم برسالة يقول فيها بأن كُتَّاب الأهرام -من أمثال الصاوى- ظنُّوا خطأً أن وَظَائف نُظَّار

---

(2) رزق – 2005 – ص 155.

الكُلِّـيَّات "إداريَّة بحتة وأنها بهذا الاعتبار يجب أن يشغلها مِصْرِيُّونَ، ولكن الصحيح أن مهمَّتهم تَعْلِيميَّة، فهم أَسَاتِذَة يُعهَد إليهم قبل كل شيء بالتدريس وبالعمل على إيجاد الجوِّ العلميّ الصحيح"، وذكر الرجل فِي هذه المناسبة أن اليابان قَد سلكت نفس السبيل، فاستعانت بالأَجَانِب إِبَّان نهضتها العِلْمِيَّة حَتَّى زاد عدد المُدَرِّسِينَ الأَجَانِب فِي بلادها على ثلاثين ألفًا، ثم تناقص حَتَّى بلغ فِي سنة 1902 ثلاثة آلاف.

وانتصارًا لرأى صاحب الجلالة فقد عيَّنَت الجَامِعَة عددًا من كبار العلماء الأَجَانِب فِي وَظَائِف أعضاء هيئة التدريس بكُلِّـيَّاتها، كان أولهم المسيو جريجوار عَمِيدًا لكلِّـيَّة الآدَاب وإميل برهية مدرسًا للفَلْسَفَة، وغيرهم مِمَّا سنعود إليه لاحقًا.

لكن يبدو أن هذه التعيينات لم تمر بسهولة، فقد رآها البعض تجاوزًا لأعضاء هيئة التدريس القَدِيمة فِي الكلِّـيَّة، فقد هاجمت الأهرام قرارًا أصدرته وزارة المَعَارِف بتعيين عدد من هؤلاء الأَسَاتِذَة القدماء لتدريس الفَلْسَفَة والمنطق والأخلاق فِي مدارسها العُلْيَا والثَانَوِيَّة، منصور فهمى والعنانى وأحمد ضيف، وتساءلت: "إلى هذا الحدِّ وصلت معاملة هؤلاء؟ إلى هذه الهاوية هبطت الدُّكْتُوراه وما تلاها من سِنِي التَعْلِيم التي أُدِّيَتْ على مدار 12سنة؟[3].

ويبدو -والمناخ السائد هكذا- أن الأمور قَد تعقدت بين عَمِيد الآدَاب الفَرَنْسِيّ والأَسَاتِذَة المصريِّين إلى دَرَجَة أن وزارة المَعَارِف أصدرت بلاغًا يوم 3

(3) رزق – مرجع سابق د- ص 156-157.

أغسطس 1925 تنفىَ فِيهِ الإشاعات التى راجت حول علاقة المسيو جريجوار بالأَسَاتِذَة المصريِّين، واعتبرت فِيهِ أن ذلك مِمَّا "يؤذى سمعة الجَامِعَة الأميريَّة فِى وقت تحتاج فِيهِ إلى معاونة مشاهير الثقات والعلماء من بلدان مختلفة، والذى دعا الدُّكْتُور منصور فهمى إلى أن ينشر بيانًا يفنِّد فِيهِ ما شاع من أن أَسَاتِذَة كلِّـيَّة الآدَاب لا يستريحون إلى إسناد مراكز التدريس بِهَا إلى أَسَاتِذَة من الأَجَانِب: "إننا نرغب فِى التعاون مع علماء الغرب الذين تمسُّ حاجة الكلِّـيَّة إليهم وتطلبها حركة النهوض العلميّ والأدبى فِى بلادنا". وبعد هذا البيان من أُسْتَاذ الفَلْسَفَة هذا ساد الهدوء والتفت الجميع إلى سَيرِ الدِّرَاسَة بالجَامِعَة المِصْرِيَّة فِى شكلها الجديد، الجَامِعَة الأميرية"[4].

الأَجَانِب فِى مجلس إدارة الجَامِعَة:

لم تكُن الرغبة التى تجيش فِى صدور المصريِّين والتى أبانوا عنها على صفحات الصحف والمجلاَّت والتى ناقشوها وأصبحت مطلبًا ملحًّا لكل مِصْرِىٌّ مثقَّف، لم تكُن خافيةً على الأَجَانِب الذين يعيشون بمصر، ولم تكُن كذلك مجهولة للبلدان الأُورُوبِّـيَّة التى رحَّبت بفكرة الجَامِعَة، بل وشجَّعت عليها.

ومن هنا لم يكُن غريبًا أن نجد ممثِّلين للأَجَانِب فِى اللجنة التحضيريَّة للجَامِعَة، ومن هؤلاء لوزينا المحامى الإيطالى، والمسيو جاستون ماسبيرو مدير مصلحة الآثار المِصْرِيَّة، وقد انضمَّ لوزينا إلى اللجنة التحضيريَّة فِى يوم 31 يناير سنة 1908 ثم لحقه ماسبيرو فِى يوم 7 مارس من نفس السَّنَة.

---

(4) رزق — مرجع سابق — ص157.

واجتمعت الجَمْعيَّة العُمُومِيَّة يوم 31 يناير 1908 وقرَّرَتْ تشكيل لجنة فنِّــيَّة لتنفيذ مشروع الجَامِعَة، وكان هناك أجنبيٌّ ضمن أعضاء هذه اللجنة وهو لوزينا بك الإيطالى.

ويوم 20 مايو سنة 1908 اجتمع أوَّل مجلس لإدارة الجَامِعَة، وكان ضمن أعضائه عضوان أجنبيَّان، أحدهما إيطالى وهو لوزينا بك، والثانى فَرَنْسِىٌّ وهو جاستون ماسبيرو.

وفى صباح يوم 21 ديسمبر 1908 كَانَت هناك كلمات فِى مناسبة افتتاح الجَامِعَة ألقاها مِصْرِيُّونَ على رأسهم الأمير أحمد فُؤَاد رَئِيس الجَامِعَة، والمسيو بوفيليه[5] ألقى كلمة بهذه المناسبة باسم أَسَاتِذَة الجَامِعَة، جاء فيها:

"مولاى.. أيُّها السادة:

بعد الخطب والبيانات التى سمعناها، لا أجد شيئًا أضيفه إليها، وليس عندى شيء أقوله لكم عن الجَامِعَة فِى ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها، ولكن قَد تتساءلون عن سبب وجود الأَسَاتِذَة الأوروبّيين فِى الجَامِعَة، وعن أعمالهم، فأريد أن أشرح هنا باختصار سبب وجودهم، والعمل الذى سيقومون بِهِ.

مولاى.. أيُّها السادة:

إنكم بإنشائكم هذه الجَامِعَة قَد أعطيتم الأوروبّيين أنفسهم درسًا نفيسًا، فإنكم أردتم أن تُحيُّوا مِصْر، وتعيدوها خلقًا جديدًا، أردتم أن توقظوا هذه البلاد

(5) ألقاها Pauphilet باللُّغَة الفرنسية.

من هذا النوم العميق، الذى أناخ على الشّرْق بكلكله، فأدخلتم فيها تَعْليمًا عاليًا من أول الأمر. وفى الحقيقة، إن هذا الأمر أحسن ما يُبدأ بِهِ، إذ يمكنكم بذلك أن تستفيدوا من أوروبّا المتمدنة، أشرف وأنفع ما لديها.

نعم أيها السادة، إن أعظم ما تفخر بِهِ أُورُوبَّا هو الفكر، الذى زها فيها منذ قرون عديدة، وخدم الإنسانية بأكملها، فمن قرون كان لدينا أَسَاتِذَة وعلماء، فلاسفة، وإذا كَانَت أعمالهم ما زالت باقية ماثلة أمام نواظرنا، فذلك بفضل انتشار التَعْليم وتعميمه، وأَسَاتِذَة التَعْليم العالى هم أحقُّ بهذا الفضل وأجدر بِهِ، لأنهم الذين يهيِّئون أمامنا حياة الآباء والأجداد، ويهْدُوننا على الدوام إلى أقوم طريق.

ولا يوجد شيء -بالنظر إلى مجموع تَارِيخ الفكر- أسمى مكانةً، وأعلى شأنًا، من التَعْليم العالى الذى أدخلتموه فِى مِصْر. إن الجَامِعَة الآن قاصرة على تَعْليم الأدبيَّات، وستكون ضيِّقة محدودة، ولكنها تتدرج فِى مدارج الرُّقِيِّ، وتتمشى فِى طريق النموِّ، وتتعشم أن تبلغ شأوًا بعيدًا فِى الأدبيَّات وأن تبقى لديها طَلَبَة الآدَاب الذين ترسلهم إلى أُورُوبَّا، والذين سيكونون أحسن تَلاَمِيذها.

أَمَّا تَعْلِيم العُلُوم فإن الضرورة قضت بتأجيله، لأنه لا يمكن إِنْشَاء مَدْرَسَة للعلوم بغير استعداد لَهَا، ولا بدّ من مرور زمن طويل وتكبُّد نفقات طائلة لإِنْشَاء معامل وإحضار العمال الخصوصيِّين، فضلاً عمَّا تستلزمه من نفقات التجارِب، والأعمال اليدوية، والأمور الإضافية اللازمة لتدريس العُلُوم، ومثل هذا الأمر يستحيل البدء بِهِ فِى أول سنة من حياة الجَامِعَة.

ونحن لا نرى الآن فِى أُورُوبَّا وفى مِصْر، ضرورة أن نتخذ من العلم دينًا، فذلك زعم باطل، وسببه أن الناس قَد دهشوا من تطبيق العُلُوم وفن الصناعة وعجائب المختَرَعات، ولا يمضى زمن طويل حَتَّى تقرر للعلم قوَّة المعبودات، ونعتقد أنه يستطيع فِى لحظة واحدة أن يكوِّن عقولاً حديثة وأُمَمًا جَدِيدَة. نعم، إِن العالم يستطيع أن يعمل كل شيء، ولكنه لا يتطاول إلى هذا الحدِّ من الغرور، فإِن العلم يحتاج إِلى عقول ناضجة مصقولة. خُذْ أُورُوبَّا مثلاً، فإنها منذ عِدَّة قرون ما كَانَت تعرف تطبيق العُلُوم التى تستهوى أفئدتكم، ولكن الكُتَّاب والمفكِّرينَ، وعلى الأخصِّ فِى الأدبيَّات القَدِيمة، عوَّدَتْها تربية العقل، وثبَّتت فيها الأفكار الفلسفيَّة، والعلم هو ثمرة البحث الطويل، والتحرِّى عن الحقيقة، وكما أن أُورُوبَّا لم تدخلْ فِى هذا النِّظَام الحضارىِّ إلاَّ بعد عدة قرون، كذلك العلم، ما وصل إِلى ما وصل إِليه الآن إِلاَّ بعد عمل شاقٍّ متواصل، فإِذا ما أحييناه فذلك لأنه كلَّفنا الكَثِير، كما يكلِّف عاشقيه ثمنًا غاليًا على الدوام، ولأجل أن يصل إِليه الإِنسان من اليوم، يجب أن يلزم جادة الصبر والتأنِّى، ويعيد تَاريخ الحركة الفِكْرِيَّة، أَمَّا إِذا حدنا عن هذا السبيل فإِننا نخطئ فهم العلم، ونقتصر على الدهش من فعله العجيب، ونريد أن نقتنى ثمرته، وبالجملة نترك مترلة الألعاب السيمياوية، ونجعله وسيلة لجلب المنافع، ونتخذه هزوًا ولعبًا.

أَلاَ فلنتجنَّب هذه المترلة الحاطَّة من كرامة العلم، ولندع هذه البدع الخطرة، ولْتَعْلَمِ الأممُ الحديثة كيف وصلنا إِلى هذه المَدَنِيَّة، التى يظنُّون أنه من الهيِّن السهل إِدراكها، ولنرفع الستار عن مجهوداتنا وتجاربنا، وما أصابنا من الخسارة، وما نلناه من النجاح، ولنُفهِمْهم الاعتقادات والأحلام والأفكار التى مهَّدت لنا سبيل التقدُّم،

وانتعشت فيها الحياة، فحينذاك نُهَنِّئُ أنفسَنا، ونكون قَد دفعنا ما علينا من الديون للعالم القَديم..."،

وبعد ذلك تكلم بوفيليه Pauphilet عن تَاريخ الحركة الفِكْرِيَّة، وأثبت أننا لا نجد هذا التَّارِيخ إلاَّ فِي الأدبيَّات، وأبَانَ فضلها فِي تربية الْمَلَكَات، وإنضاج العقول، وما لَهَا من المنزلة السامية بين سائر العموم فِي فَرَنْسَا، وذكر أنهم يدْعُونَها "علم الإنسانية"، وذكر أنها لازمة لسائر أرباب الحرف الأخرى، فالمحامي يعرف منها تَارِيخ الشرائع وعوائد الناس، والطبيبُ تَارِيخَ العُلُوم الطَبِيعيَّة وتأثيرها...

ثم انتقل إلى الكلام على تأثير الأدبيَّات القَديمة فِي أدبيَّات أُورُوبَّا الحديثة، وقال إن أدبيَّات اليُونَان والرُّومَان هما اللغتان اللتان أخذتا بأيدى أُورُوبَّا، وكَانَتا سبب نشأتها، وإنه من الواجب أن تأخذ أُورُوبَّا وبجدِّيَّة بأيدى مِصْر فِي دورها، وقال إن حظَّ مِصْر أعظم من حظِّ أُورُوبَّا، فإن أُورُوبَّا فِي القرن السادسَ عَشَرَ لا تجد شيئًا تعتمد عليه سوى الكُتُب، أَمَّا مِصْر الآن فهى تستند فِي نهضتها إلى عَضُدِ أمم حيَّة...

ثم شرح طريقة التَعْليم التى سيعتمد عليها فِي إلقاء الدروس بالجَامعَة المِصْرِيَّة، وقال إنه سيتوخَّى من المواضيع ما كان أنفعَ وأعلقَ بالذهن. وقال إنه سيكون من الطَّلَبَة بمثابة المرشد لهم إلى أقوَمِ طريق، وختم خطبته شاكرًا للذين عهدوا إليه بهذا العمل الجليل، قائلاً إنه سيبذل قصارى جهده ليمثِّل بين الطَّلَبَة أمته المُحبَّة لخير مِصْر أحسن تمثيل[6].

(6) بدير - 1950 - ص79-81.

أوردتُ معظم نص خطبة بوفيليه لأنها مهمَّة، فهي تبيِّن وجهة عمل الأَسَاتذَة الأَجَانِب، وكذلك الغرض من الجَامِعَة، ولماذا استعانت الجَامِعَة بأَسَاتذَة من أُورُوبَّا. فهو نصٌّ تَارِيخي مُهِمٌّ.

وفى جلسة 19 أبريل 1910 وعندما فكَّر مجلس الجَامِعَة فِى إِنْشَاء كلِّـيَّة الآدَاب، تشاور رَئِيس الجَامِعَة مع المسيو ماسبيرو فِى هذا الموضوع وأعطاه مذكِّرة صغيرة لمشروع إِنْشَاء كلِّـيَّة آداب، أعدَّه الأُستَاذ جويدى بناءً على طلب رَئِيس الجَامِعَة، وبعد شهرين بعث ماسبيرو بمشروعين إِلى الأمير فُؤَاد، وصنعهما بمعرفته، أحدهما يستدعى تنفيذه إِنفاق مبلغ 18,000 جنيه فِى العام، والثانى يكلِّفُنا مبلغ 30,000 جنيه أيضًا.

لكن يبدو أن الأمير عدل عن هذه المشاريع واتصل بحكومة إِيطاليا لكى تساعده بأَسَاتذَة من المستشرقين الإِيطاليِّين، لتدريس العُلُوم التى تُعْهَد إِليهم باللُّغَة العَرَبِيَّة، فِى قسم الآدَاب، وفعلاً وافق دو مارتينو المعتمد السياسىّ لملك إِيطاليا بمصر وأبلغ موافقة الحكومة الإِيطَالِيَّة على إِنْشَاء قسم للآداب ويدرس فِيهِ إِيطاليُّون(7).

ولكن المسيو ماسبيرو عضو مجلس الإِدارة اعترض على مشروع الأمير فُؤَاد إِذ يرى أن التَعْلِيم بالعَرَبِيَّة على يد أَجَانِبَ غيرُ مُجْدٍ، ثم هو يجعل نفوذ جِنْسِيَّة واحدة أكبر من غيرها من الجِنْسِيَّات بالجَامِعَة المِصْرِيَّة، وقال ماسبيرو إِن هذا الاعتراض لا يُقصد بِهِ إِيطاليا بوجه خاصٍّ وإِنه كان سوف يفعل نفس الشىء لو

---

(7) نفس المرجع- ص122؛ David, 1999, P. 246.

كان الأمر يتعلق بأية جنْسيَّة أخرى[8]، ولكن الأمير قال ردًّا على ماسبيرو: "إن المقامَ ليس مقامَ الخوض فِي مسائل نفوذ سياسيّ، فإن معهدنا مِصْرِىٌّ محضٌ، ويجب أن نبتعد عن كل مناقشة سيَاسِيَّة أو دِينِيَّة...".

وفى نفس الجلسة كان ماسبيرو حريصًا على الاطِّلاع على برنامج التدريس ومعرفة أسماء المدرسين، وأجابه الأمير لطلبه[9].

فِي اجتماع مجلس إدارة الجَامِعَة لعام 1912 قدم الأمير فُؤَاد استقالته وتبعه اثنان من الأعضاء (على ذو الفقار ويعقوب آرتين) ممَّا جعل المجلس ينتخب اثنين مكانهما كان أحدهما هو الإنْجليزِىّ المِسْتَر شلدن إِيموس ناظر مَدْرَسَة الحُقُوق (والثانى إِسماعيل حسنين وكيل المَعَارِف).

وفى عام 1913 شارك المسيو جاستون ماسبيرو فِي لجنة برياسة نجيب باشا لفحص اقتراحات الأعضاء بإِنْشَاء مزيد من الأقسام بالجَامِعَة، وكذلك نرى المسيو ماسبيرو ضمَّن وفدًا من مجلس إدارة الجَامِعَة لشكر الأمير فُؤَاد على هديَّته صورًا زيتيَّة للخديوى إِسْماعيل لتُوضَع فِي صدر قاعة المجلس، وكان ذلك فِي 17 يونيو سنة 1914.

وفى هذا العام يترك المسيو ماسبيرو خدمة الحكومة ومصلحة الآثار، وبهذه المناسبة يقرِّر مجلس إِدارة الجَامِعَة تعيينه عضو شرف بالمجلس ومستشار شرف للجَامِعَة، اعترافًا لَهُ بالخدمات الجليلة التى أدَّاها لَهَا منذ نشأتِها، وأن تُقام مأدبة

---

(8) David, 1999, P. 247. حيث ذكر ذلك فى خطاب أرسله إلى شلومبرجر.

(9) بدير- 1950- ص123-124.

حافلة لَهُ، وتقدَّم لَهُ مَجْمُوعَة من صور حضرات أعضاء مجلس إدارة الجَامِعَة وأساتذها، وتكون النفقات على الجَامِعَة.

وفى عام 1915 يُعَيَّن المسيو فوكار مدير المعهد الفَرَنْسِيّ للآثار الشَرْقِيَّة عضوًا بمجلس إدارة الجَامِعَة، بدلاً من ماسبيرو الذى أقام بأُورُوبَّا بعد استقالته من وظيفته كمدير للمتحف المِصْرِيّ، حيث عاد إلى بَاريس وبقى بِهَا حَتَّى تُوُفِّيَ فِي 30 يونيو عام 1916 فى أثناء مشاركته فِي اجتماع أكَادِيمِيَّة الفنون والآدَاب الجميلة فِي بَاريس حيث توقَّف قلبه عن النبض[10]. ويستمر المجلس حَتَّى سنة 1920 وبنفس أعضائه ومن بينهم أجنبيَّان: إِنْجلِيزِيّ هو شلدون ايموس، وفَرَنْسِيّ هو جورج فوكار.

وفى جلسة 11 ديسمبر 1920 اقترح عبد الخالق ثروت إقامة حفلة تأبين للأميرة فاطمة إسماعيل، وكان من ضمن برامج الحفلة التى سيرأسها حسين رشدى باشا، أن يلقى الأُسْتَاذ لويس كليمان خطابًا باسم أَسَاتذَة الجَامِعَة غير المصريِّين.

ويذكِّرنا هذا بزميله وسَلَفِه الفَرَنْسِيّ بوفيليه الذى ألقى خطابًا فِي افتتاح الجَامِعَة باسم الأَسَاتذَة الأَجَانب.

وفى 6 أبريل سنة 1922 تَكَلَّم السير شيلدون إيموس مع عبد الخالق ثروت باشا بصفته وكيلاً للجَامِعَة المِصْرِيَّة مُلِحًّا فِي طلب إقالته من العُضْوِيَّة فِي الجَامِعَة المِصْرِيَّة، لتعذُّر قيامه بخدمتها على أى وجه، نظرًا إلى ما رآه من بعض حضرات الأعضاء.

---

(10) David, 1999, P. 269.

ولا ننسى أن العُمَدَاءَ كانوا يمثّلون كُلّـيَّاتِهم فِى مجلس إِدارة الجَامِعَة، وكان من بين هؤلاء أَجَانِب، وأبرزهم الأُسْتَاذ بول جراندور الذى انتخبه مجلس إِدارة كلّـيَّة الآدَاب لكى يمثّلها فِى الجَامِعَة.

الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فِى كلِّيَّة الطِّبّ



كلوت بك يؤسِّس مَدْرَسَة الطِّبّ:



كُلَّمَا ذُكر اسم "مَدْرَسَة الطِّبّ" أو "كلِّيَّة الطِّبّ" فيما بعد، سوف يُذكر اسم مؤسِّسها ومؤسِّس مصلحة الصحَّة، ذلك العالم الفَرَنْسِيّ الكبير أنطوان-بارتلمى كلوت Antoine-Parthelemy Clot، والذى سوف يذكره التَّاريخ باسمه مختصرًا "كلوت بك"(11)؛ إليه يرجع كل شىء فيما يخصُّ الإصلاح الطِّبِّىّ الذى باشره فِى مِصْر منذ عام 1824 وحتى عام 1850.

وأول أعماله كان تأهيل الشعب لتقبُّل الحديث عن تَعْليم الطِّبّ ومَدْرَسَة للطبّ، وساعده فِى ذلك مُحَمَّد عَلِىّ الذى كان يبحث

(11) راجع بالتفصيل حديثًا عن الإصلاح الطبى على يد كلوت بك فى: Panzac, 1989, P. 95-110, Roulin, 1989, 2, P.99-110.

عن علاج المُشْكلاَت الصِّحِّية لأفراد جيشه. وأنشأ مستشفى أبو زعبل، وبدأ الحديث عن تأسيس مَدْرَسَة للطبِّ.

وساعده فِى ذلك مَجْمُوعَة من العلماء بالحديث عن أَهَمِّــيَّة العُلُوم فِى الإِسْلاَم[12].

وأعاد كلوت بك تنظيم مستشفى أبو زعبل عام 1825 واستتبع ذلك تأسيس مَدْرَسَة للطب فِى نفس المكان بعد ذلك بعامين فِى 1827، وكان المكانان على اتصال بالمستشفى مكان المعرفة والتَعْليم العلمىّ، ولذلك يُسَمِّى لويس لابا (وهو الطبيب الفَرَنْسِىّ الذى سبق كلوت بك) المستشفى بأنه: "المكان المقدس للمعلومات والآلام"[13]، وهو كما عبَّر عَميد كلِّــيَّة طب مونبلييه عام 1848 وهو البُرُوفِيسُور لاماند عندما قال: "إِن المستشفى هو مكان لمعرفة الإِنسان السليم والإِنسان المريض".

وقام كلوت بك لإِزالة الشبهات باستفتاء رجال الدين والحصول منهم على فتوى قال بهَا الشيخ العطار شيخ الأزهر آنذاك أجاز فيها تشريح الجثّة بهدف العلم وعلاج الأمراض[14].

وابتُعث الطَّالِب المِصْرِىّ على هيبة ومعه ثلاثة آخرون لدِرَاسَة الطِّبّ فِى بَارِيس، وكَانَت الأمراض الشائعة بمصر هى الرَّمَد والتيفود والدوسنتاريا... وعاد بعد حصوله على الدُّكْتُوراه عام 1833[15]. وأتى كلوت بك بالأَطِبَّاء من فَرَنْسَا مثل جيتانى للتشريح والفسيولوجيا والباثولوجيا، والدُّكْتُور بارتملى لفنِّ العلاج والسموم، والدُّكْتُور برنارد لقَانُون الصِّحَّة العَامَّة، والدُّكْتُور سيليزيا للطبيعة والكِيمْيَاء، وفيجارى من إِيطاليا وفيشر من ميونيخ،

---

(12) Moulin, 2002, P.119-2.

(13) راجع مقالة لابا فى: Labat, 1833, P.398.

(14) راجع دِرَاسَة عفاف لطفى السيد عن هذا الموضوع: Marsot, 1968, P. 273-76

(15) Moulin, 2002, P.132-3.

وسارت على نهج مَدْرَسَة الطِّبّ فِي بَارِيس وتَخَيَّر لَهَا الكُتُب التِي تُدَرَّس هناك، وقال لابا: "إن مَدْرَسَة أبو زعبل سوف يكون فِي مقدرتها منافسة مَدْرَسَة بَارِيس"[16].

وأحاط نفسه ومحاضريه بالمترجمين لإعادة الأمر ما بين الطُّلاَّب والأَسَاتِذَة حَتَّى يطمئنَّ على أن المعلومة وصلت صحيحةً، ويعقد امتحان مع نهاية الدِّرَاسَة. وقام بترجمة الكَثِير من الكُتُب وتدريسها[17].

وقد كَانَت هناك مَدْرَسَة لتعلُّم اللُّغَة الفَرَنسيَّة حَتَّى يطَّلع الطَّلَبَة على كل جديد، ثم أُسِّسَت مَدْرَسَة أخرى للعلوم الأوَّليَّة لإعداد الطَّلَبَة للالتحاق بالكُلِّـيَّة، وزُوِّدَت المَدْرَسَة بمتحف غنيٍّ للتَاريخ الطبيعيّ، وكان مُتحَفًا غنيًّا للتَاريخ الطبيعيّ يضاهى متاحف بَارِيس الطِّـبِّـيَّة، وذلك بسبب تبرُّعات تلقَّاها كلوت بك من دول أُورُبَّا.

بالإضافة إلى مكتبة عظيمة بدأها كلوت بك بمائة كتاب وبما عرفة المِصْرِيُّونَ وألفوه، وبإهداءات جاءت من أَسَاتِذَة مدارس بَارِيس ومونبلييه ممَّا يمثِّل ثروة ضخمة من الكُتُب والمراجع والمخطوطات، كما أهدى لويس فيليب ملك فَرَنْسَا مَجْمُوعَة قطع تشريح نادرة كَانَت من مقتنيات العالِم الكبير أزوكسى.

وبناء المَدْرَسَة كان مربَّعًا ضلعه 150 مترًا ويعلو خمسة أقدام عن الأرض، وكان فِي كل جناح صفَّان من العنابر، وصالات للضُّـبَّاط والعيادات والمخازن، وزُرِعَت الفراغات بأجمل البساتين التِي أشرف عليها الأُسْتَاذ دوليل أُسْتَاذ النَّبَاتات فِي مونبلييه لمدة عشرين عامًا.

أَمَّا امتحانات المَدْرَسَة الطِّـبِّـيَّة فكان لَهَا قُدسيَّة خاصَّة، وكان الامتحان يُعقد إمَّا فِي شهر شعبان وإمَّا فى شهر شوال بحضور وكلاء وقناصل فَرَنْسَا وإِنْجلْترَا ورُوسْيَا وهُولَنْدَا

(16) Labat, o.c., P. 398.

(17) Clot, 1833, P. 10, Moulin,0.c. P. 130-31.

والنِّمْسَا والعلماء، وتَرَأَّسَ لجنةَ الامتحان الأوَّل المسيو بوزارى الطبيب الخاص لُمحَمَّد عَلِىّ باشا، كما حضر إبراهيم باشا امتحان مَدْرَسَة الطِّبّ سنة 1830[18].

وأسَّس كلوت بك مَدْرَسَة القابلات عام 1832 وتُعَدُّ من أهمِّ المؤسسات الطِّــبِّـــيَّة التى شَهِدَتْها مِصْر فِى النصف الأول من القرن التاسع عشر، بهدف تَعْلِيم الفتيات مبادئ الطِّبّ الحديث، ومدَّة الدِّرَاسَة خمس سنوات، وأشرفت عليها المدام لويلون، وأنشأها كلوت لمحاربة الدايات اللاَّئى رأى أنهن سبب الكَثِير من الأمراض والوفيات[19]. وتُرجمت كما ذكرتُ كتبٌ كَثِيرة فِى عهد كلوت بك أفادت فِى تقدم العمليَّة التَعْلِيميَّة[20].

وعانت كلِّــيَّة الطِّبّ كَثِيرًا فِى عهد الاحتلال ولاسيما فِى عهد اللورد كرومر، حَتَّى كتبت إحدى الصُّحُف الفَرَنسيَّة بالْقَاهِرَة عن حالة الاضطرابات واللانظَام التى سادت مَدْرَسَة الطِّبّ مع وجود الاحتلال البريطانى: "إن المَدْرَسَة الطِّــبِّـــيَّة أصبحت أشبه بدُكَّان إنْجليزىّ ولا أوجه مقارنة بينها وبين المدارس النِّظَاميَّة".

* * *

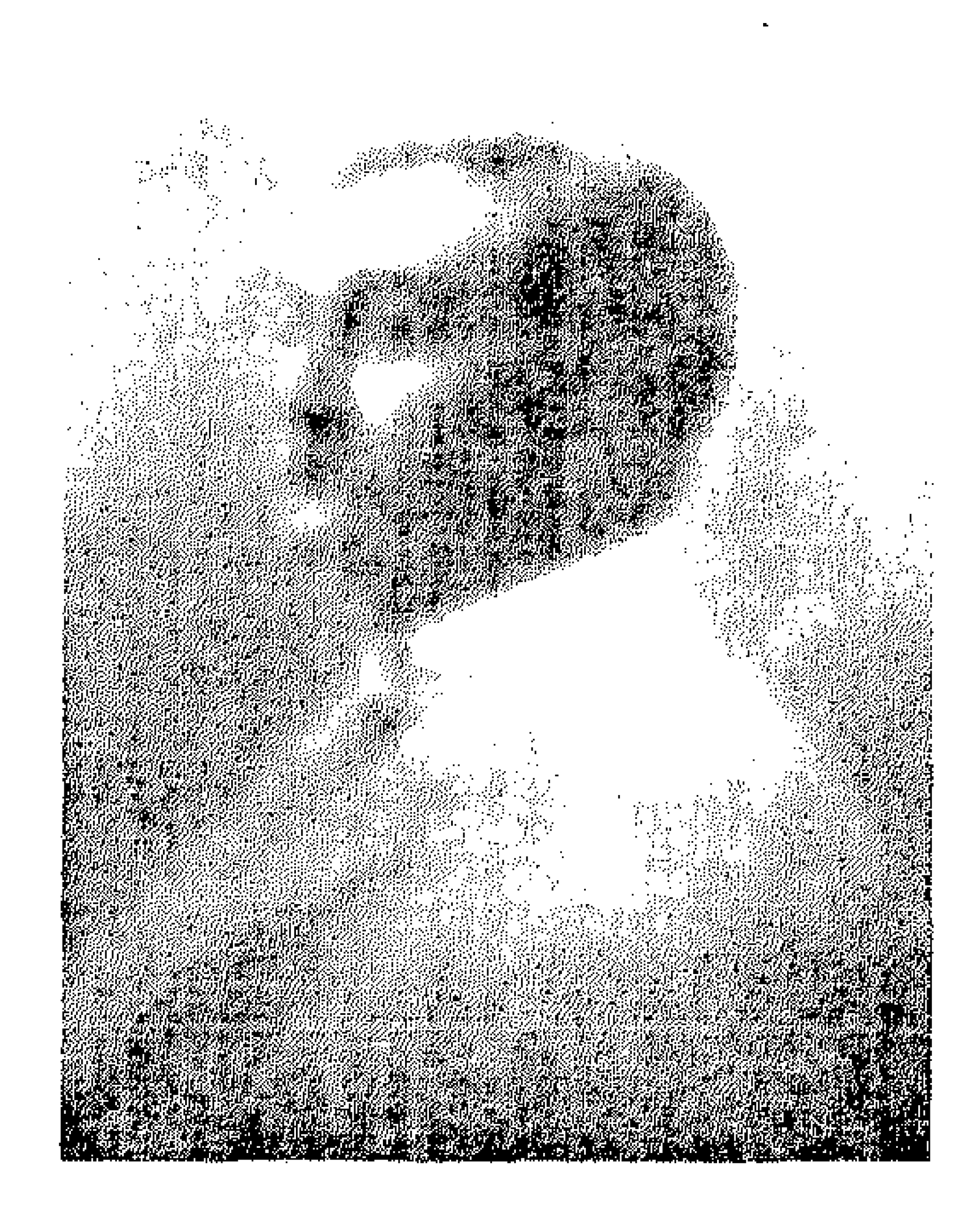
---

(18) المناوى 1979- ص 26-30 ، .Moulin, 2002, P???.

(19) لمزيد من التفاصيل عن هذه المَدْرَسَة المهمة راجع: فهمى 1999 – ص 39-78. Sonbol, 2002, 135-48.

(20) ذكر المناوى – 1979- ص 36-39 قائمة بأسمائها.

قصر العينى فِى عهد كرومر:



سَرْعَانَ ما عيَّن الإنْجليز الدُّكْتُور كيتنج أُسْتَاذًا للتشريح، وكان يتحكم -فِى الواقع- فِى المَدْرَسَة، مِمَّا أدَّى إلى اضطرابات شديدة، وبعد هدوء الاضطرابات عُيِّن كيتنج وكيلاً للكُلِّـيَّة رَسْميًّا ورئيسًا لَهَا واقعيًّا وعمليًّا، ثم أصبح رَئِيسًا رسميًّا للكُلِّـيَّة، فقضى على ما تَبَقَّى من أثر مِصْرِىٍّ بِهَا ومنع البعثات ثم أحلَّ الأَجَانب بالتدريج محلَّ المصريِّين حَتَّى مرَّ على الكلِّـيَّة وقتٌ لم يكُن بِهَا فِيهِ إلاَّ أُسْتَاذٌ مِصْرِىّ واحد! ونقص كذلك عدد الطُّلاَّب فلم يتخرج عام 1899 إلاَّ اثنان، وأصبح كل الأَسَاتذَة من الأَجَانب: كيتنج للتشريح وولسن للفسيولوجيا وروفر ثم سمرز للباثولوجيا وساندوث للأمراض الباطنية وملتون للجراحة ومادن للجراحة كذلك وسكوت ثم فيشر للرمد وآرثر لوس للطفيليات وكيبنيرجر ثم سيكبيرجر ثم شمت للكيمْيَاء، ثم اكتملت المؤامرة عام 1903 من جانب المحتلِّ الإنْجليزِىّ مِمَّا قضى على مِصْرِيَّة المَدْرَسَة تمامًا وحلَّت الإنْجليزِيَّة مَحَلَّ العَرَبِيَّة.

ثم حدثت خطوة أخطر وهى تخفيض عدد سِنِى الدِّرَاسَة من ستٍّ سنوات إلى أربع سنوات، وعمَّت الفوضى، ثم عمد كرومر إلى إحداث مزيد من الفوضى فكانوا يطلبون من مدرِّس الجلديَّة تدريس الرمد ومن مُدَرِّس قَانُون الصِّحَّة تدريس الأمراض الجلديَّة، حَتَّى اضطُرَّ كَثِير من المصريِّين إلى التوقُّف عن التدريس حفاظًا على كرامتهم. وهناك عبارة توضِّح سياسة اللورد كرومر تجاه قصر العينى وردت فِى تقريره عام 1906: "تخرَّج فى هذه المَدْرَسَة عشرون طبيبًا فِى السَّنَة الماضية، ولو أن عدد الراغبين فِى دخولها كَثِير، إلاَّ أنه لا يُقبل فيها غير خمسين كل سنة على الرغم من أن عدد الأَطِبَّاء فِى القطر لا يزال أقلَّ بكَثِير، وكُلَّمَا زاد الأهالى تَنَوُّرًا زادت حاجتهم إلى استشارة الأَطِبَّاء، إلاَّ أن الدُّكْتُور كيتنج رَئِيس المَدْرَسَة يقول إنه مقتنع تمامًا

بوجوب الحذر فِي التقدم بِهذه المَدْرَسَة خصوصًا من جهة عدد خرِّيجيهَا، ويقول: إنه لو تخرج كَثِير من الشبان و لم يجدوا عملاً كافيًا فِي الخارج يؤثِّر ذلك فِي حالة المَدْرَسَة فينقص عدد الراغبين فِي دخولها، ولا ضرورة لزيادة طَلَبَة الطِّبِّ ما دامت الحكومة لم تشكُ سنوات متواليةً من قِلَّة الأَطِبَّاء. ومع كلٍ فأنا مقتنع بأننا لا نجد عاملاً فِي هذه البلاد أشدَّ خطرًا من إيجاد أَطِبَّاءَ مُحتاجين!

ومن ثم وبسبب سياسة اللورد كرومر نقص عدد الطَّلَبَة كَثِيرًا، ومن ثم وجدنا أن الحلاَّقين الذين علَّمهم كلوت بك فِي النصف الأول من القرن التاسع عشر لا يزالون مسئولين عن كَثِير من القضايا الصِّحِّـيَّة المُهِمَّة فِي أوائل القرن العشرين[21].

استعانت الحكومة بالجرَّاح الإِنْجِلِيزِيّ الشهير المِسْتَر هاريسون لوضع نِظَامٍ جديد للمَدْرَسَة بالاشتراك مع الكلِّـيَّة الملكيَّة الإِنْجِلِيزِيَّة للأَطِبَّاء والجرَّاحين كان لَهُ أثره الملموس فِي رفع مستوى المَدْرَسَة، وعُيِّن الدُّكْتُور برى لوضع نِظَام جديد لَهَا استفادت منه المَدْرَسَة واتخذت أَسَاتِذَة أجَانب من جِنْسِيَّات مختلفة على جانب كبير من العلم، وازدهرت الدِّرَاسَة فكَانَت تضاهي مثيلتها فِي مدارس إِنْجِلْتِرَا، وحاول سعد زغلول عام 1908 –كان وزير التَعْلِيم آنذاك– أن يجعل التَعْلِيم بالعَرَبِيَّة لَكنَّه لم يجد مِصْرِيِّينَ مؤهَّلين فظلَّ الأَجَانب يقومون بالتدريس. لكنْ نذكر هنا أن أول أُسْتَاذ مِصْرِيٍّ عُيِّن فِي عهد الاحتلال هو الدُّكْتُور بهجت وهبى الذى تَوَلَّى رئاسة قسم التشريح عام 1908 خَلَفًا للعالم الكبير إليوت سميث الشهير.

تَطَلَّبَتْ هذه الحالة التِي تمرُّ بِهَا مَدْرَسَة الطِّبّ وعدم إقبال طُلاَّب البكالوريا على الالتحاق بِهَا وضع سياسة جَدِيدَة للتَعْلِيم الطِّبِّيّ، فاستُدعى الدُّكْتُور برى Cooper Perry من مستشفى جاى Guy's hospital بلندن للحضور إِلى القَاهِرَة وإعداد تقرير عن حالة المَدْرَسَة ومقترحاته للإِصلاح، فأعد تقريرًا ورد فِي مقدمته ضرورة أن تكون المَدْرَسَة

---

(21) عزب وعابد– 2007–ص 20-21.

والمستشفى تابعَين لمدير طِبِّىّ واحد (كان المتبَع هو وجود مديرَين أحدهما للمستشفى والآخر للمَدْرَسَة)، تعاونه لجنة للمَدْرَسَة وأخرى للمستشفى من أعضاء هيئة التدريس، وأكَّد ضرورة التكامُل فِى التدريس العلمىّ والتَعْليم الإكلينيكى بالَمدْرَسَة والمستشفى، وبناء على هذا التقرير عُيِّن الدُكْتُور كيتنج Kieting أول مدير للمَدْرَسَة والمستشفى معًا، واقترح برى أن يكون التَعْليم باللُّغَة الإنْجليزِيَّة دون غيرها، وتقليلَ سِنِى الدِّرَاسَة كما ذكرنا من قبل، ومراجعة كاملة لمقررات الدِّرَاسَة بمدارس الطِّبّ والصَّيْدَلَة والتوليد.

أجَانِب تقلّدوا رئاسة مَدْرَسَة الطِّبّ (كلّــيَّة الطِّبّ):

- كلوت بك 1827 إلى 1849.
- دوفيجنو: 1849.
- بيرون: 1849.
- الدُكْتُور فهلم جرينجر: يونيو 1850 إلى مايو 1852.
- المسيو روبير: 1852 إلى 1854.
- البُرُوفِيسُور إنزى: 1854 إلى 1856.
- كلوت بك: سبتمبر 1856 إلى أكتوبر 1856.
- فاسيرى: 1856 إلى 1858.
- بيرجوريس بك: 1858 إلى 1861.
- الأميرالاى أرنوكس بك: 1861–1862.

- الدُّكْتُور جيلا رودت بك: 1879 إلى 1882. وتولى كذلك منصب مدير مستشفى قصر العينى من يناير 1878 إلى ديسمبر 1882.
- الدُّكْتُور كيتنج: أكتوبر 1898 إلى مارس 1918. وتَقَلّد منصب مدير مستشفى قصر العينى من أكتوبر 1898 إلى مارس 1919.
- الدُّكْتُور ريتشارد: مارس 1919 إلى سبتمبر 1924، وكان مديرًا للمستشفى من مارس 1919 إلى سبتمبر 1924.
- الدُّكْتُور ولسن: 25 مايو 1925 إلى مارس 1929، وكان فِى نفس هذه الفترة مديرًا للمستشفى.
- الدُّكْتُور مادن: مارس 1926 إلى أبريل 1929، وكان فِى نفس الوقت مديرًا لمستشفى قصر العينى، وكان هذا الرجل أول من حمل لقب عَميد كلِّـيَّة قصر العينى.

ونعرف من هؤلاء على أيام د.على باشا إبراهيم عَميد الكلِّـيَّة المِصْرِيّ: الدُّكْتُور داى، وهو أُسْتَاذ إكلينيكى بقسم الباطنة وبقسم الجراحة. و "د.هنرى"، وجاء خلفًا للدُكْتُور ملتون وهو أُسْتَاذ إكلينيكى. وبقسم الولادة: الاستاذ الدُّكْتُور دوبن، وبقسم الأشعة: الأُسْتَاذ الدُّكْتُور جاردنر وهو المدير. وبقسم الأمراض العقلية: الأُسْتَاذ الدُّكْتُور دودجيون. وبقسم التخدير: الأُسْتَاذ المساعد الدُّكْتُور برون. وبقسم التشريح: الأُسْتَاذ الدُّكْتُور ردرى الذى خلف إليوت سميث أشهر أُسْتَاذ تشريح على مستوى العالَم. وبقسم البكتريولوجى: الأُسْتَاذ الدُّكْتُور فوست. وبقسم الباثولوجى: الأُسْتَاذ الدُّكْتُور برنارد شو. وبقسم الفارماكولوجى: الأُسْتَاذ

الدُّكْتُور جون جادم. وبقسم الطِّبّ الوقائىّ الأُسْتَاذ الدُّكْتُور بنتلى[22] وسكوت فيشر للرمد، وآرثر لوس للأمراض المتوطنة وشميث للكيمْيَاء والدُّكْتُور المستر ر.نكلر R.Nikler الصيدلانى والدُّكْتُور المستر جون المحضِّر بالمعمل والمستر بابنجتون أُسْتَاذ الإنْجليزيَّة.

(22) من المفيدد أن نذكر هنا أن أول بعثة فتيات مصريات لدِرَاسَة الطِّبّ كانت عام 1922 إلى إنجلترا وضمَّت كلاً من: هيلين سيداروس وتوحيدة عبد الرحمن وكوكب حفنى ناصف وأنيسة ناجى وحبيبة عويس وفتحية حامد. راجع: المناوى – 1979- ص 153-157.

الأَساتِذَة الأَجَانِب فِى كلِّيّة الحُقُوق

لمحة تَارِيخية:

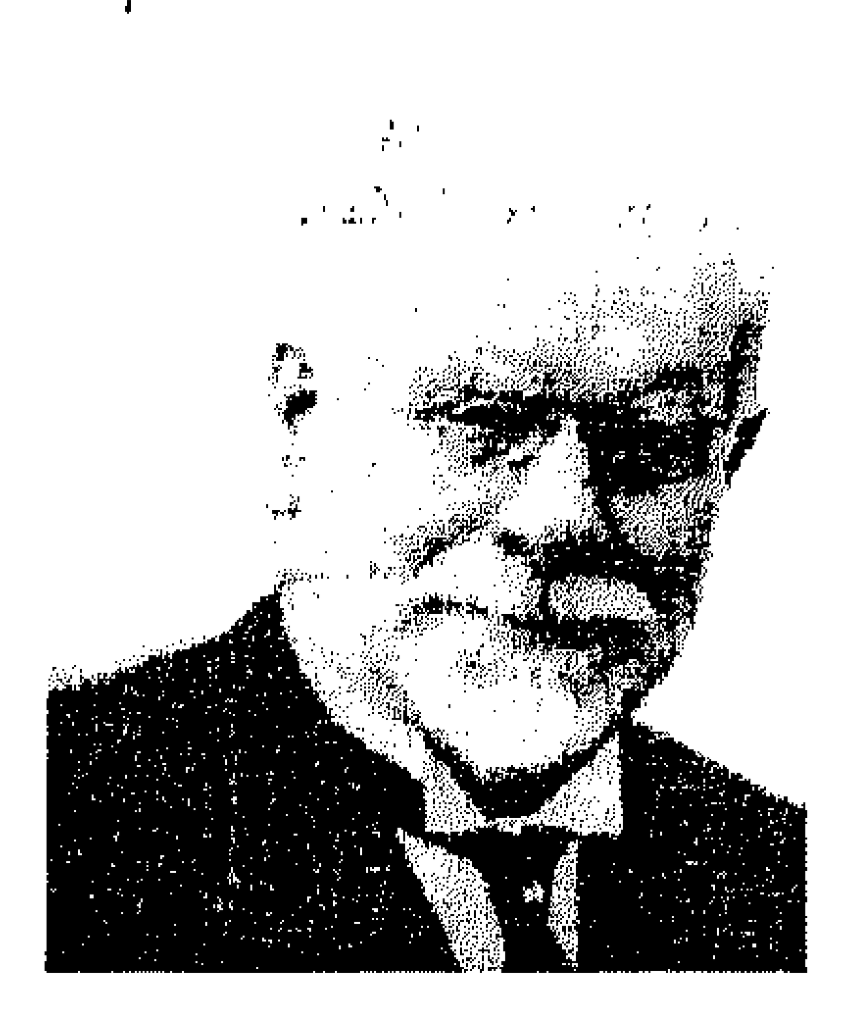


يقتضى الوضوح والدقّة فِى عرض تَارِيخ كلِّـيَّة الحُقُوق أن نميِّز بين مراحل أو عهودٍ ثلاثة مرَّت بِهَا هذه الكلِّـيَّة خلال تَارِيخها الطويل: العهد الأول مَدْرَسَة الإدارة والأَلْسُن، والعهد الثانى، هو عهد مَدْرَسَة الحُقُوق كمَدْرَسَة عالية، والعهد الثالث وهو عهدها كمعهد جَامِعِىّ.

أُنشئَت مَدْرَسَة الحُقُوق فِى سنة 1868 فِى عهد الخديوى إِسماعيل، وكان أول ناظر لَهَا الأُستَاذ فيدال باشا، وهو الذى عهد إِليه الخديوى إِسماعيل بتأسيس المَدْرَسَة وتنظيمها، وسُمِّيت فِى أول عهدها بمَدْرَسَة الإدارة والأَلْسُن، ثم انفصلت مَدْرَسَة الأَلْسُن عن مَدْرَسَة الإدارة فِى ديسمبر سنة 1882 وظَلّت مَدْرَسَة الإدارة معروفة بهذا الاسم حَتَّى سنة 1886 إِذ صدر قرارٌ وزارىٌّ بتسميتها مَدْرَسَة الحُقُوق وكان يُدرَّس بِهَا الشريعة الإِسْلَامِيَّة والقَانُون الرُّومَانِىّ والقَانُون التجارىّ واللُّغَات العَرَبِيَّة والفَرَنسِيَّة واللاَّتِينِيَّة والإِيطَالِيَّة والترجمة والخط العَرَبِىّ والخط الفارسىّ.

وفى يوليو سنة 1886 وُضعت للمَدْرَسَة لائحة قُسمت المَدْرَسَة بمقتضاها إِلى قسمين: ابْتِدَائِىٌّ وعالٍ، أَمَّا القسم الابْتِدَائِىُّ فكان يشمل السنتين الأُولَى والثَّانِيَة وكان الغرض منه تَخْرِيج المُحْضِرِين وموظَّفى أقلام الكُتَّاب بالمحاكم، وكَانَت موادُّ الدِّرَاسَة فِيهِ اللُّغَة الفَرَنسِيَّة والترجمة والتَّارِيخ والجُغْرَافيَا والخطّ العَرَبِىّ والخطّ

الفَرَنْسِيّ وإمساك الدفاتر والنِّظَام القضائى ومبادئ المرافعات والإجراءات القضائيَّة، أَمَّا القسم العالى فكان مكوَّنًا من ثلاث سنوات دراسيَّة، وكان الغرض منه تَخْرِيج رؤساء أقلام الكُتَّاب وأعضاء النيابة وغيرهم من الموظَّفين الذين تقتضى وَظَائفهم معلوماتٍ قَانُونيَّةً، وكَانَت مَوَادّ الدِّرَاسَة بهذا القسم تشمل اللُّغَات العَرَبيَّة والفَرَنسيَّة والإيطَاليَّة والترجمة والتَّاريخ والشريعة الإسْلاَميَّة والقَانُون المدنيّ والقَانُون الجِنَائِيّ وقَانُون المرافعات والقَانُون التجاريّ والقَانُون الرُّومَانِيّ.



وفى 20 يوليو سنة 1886 صدر قرار من نِظَارة المَعَارِف بناءً على ما قرَّره مجلس النُّظَّار فِي 12 يوليو سنة 1886 بالتصديق على قَانُونٍ لَمدْرَسَة الحُقُوق تقضى المَادَّة التاسعة عشْرة منه بإعطاء دبلومات رَسْميَّة من الحكومة المِصْريَّة للممتحنين بِهَا وأن تُنشَر أسماء الناجحين فِي الجريدة الرَسْمِيَّة، وهكذا صدر أول قَانُون قضى بإعطاء دبلومات للممتحنين بتلك المَدْرَسَة.

وكان بمَدْرَسَة الحُقُوق قسم خاصّ بالترجمة مكوَّن من فصل واحد لتَخْرِيج المترجمين اللازمين لوَظَائِف الحكومة، وقد أُلغِيَ هذا القسم سنة 1887.

وفى سنة 1888–1889 عُدِّل منهج الدِّرَاسَة وأُضيفَت مَادَّة القَانُون الإدَارِيّ إلى العُلُوم القَانُونيَّة التى تُدرَّس بالمَدْرَسَة.

وفى سنة 1892، أى فِي عهد الأُسْتَاذ تستو الذى خلف فيدال باشا فِي نظارة المَدْرَسَة، أُدخِلَت إصلاحات جَمَّة على نِظَام المَدْرَسَة، فأُلغِيَ منها القسم

الابْتِدَائِيّ واشْتُرِط فيمن يلتحق بِهَا من الطُلاَّب أن يكون حاصلاً على شهادة الدِّرَاسَة الثَّانَوِيَّة، وحُذف من منهج الدِّرَاسَة كَثِير من المَوَادّ غير القَانُونِيَّة، وزِيدَت مَوَادُّ الدِّرَاسَة القَانُونِيَّة وأصبح خرِّيجُوهَا يُمنَحُون دبلوم الليسانس فِي الحُقُوق بعد أن كانوا يُمْنَحُون شهادة دراسيَّة.

وأُنشِئَت بالمَدْرَسَة فِي السَّنَة المذكورة مكتبةٌ حَوَت عددًا كبيرًا من المُؤَلَّفَات القَانُونِيَّة والشرعية والعِلْمِيَّة والأَدَبِيَّة، وظَلَّت هذه المكتبة فِي نُمُوٍّ مُطَّرِد.

وفِي السَّنَة عَيْنِهَا أُنشِئَ بالمَدْرَسَة قسم لتَخْرِيج ضُبَّاط البوليس كان يُقبَل بِهِ طَلَبَةٌ حاصلون على شهادة الابْتِدَائِيَّة، وكَانَت الدِّرَاسَة فِيهِ مَقْصُورَةً على قَانُون العقوبات وتحقيق الجنايات، وقد أُلغِيَ هذا القسم فِي سنة 1901.

وفِي سنة 1897 صدر أمر عالٍ قضى بأن يُعقد فِي مَدْرَسَة الحُقُوق كلَّ عامٍ امتحانٌ فِي القوانين المِصْرِيَّة للحاصلين على شهادة أَجْنَبِيَّة فِي علوم الحُقُوق الذين يريدون اعتبار شهادتهم معادلة لشهادة دبلوم اللِّيسَانْس المِصْرِيَّة، وقد عُدِّل هذا النِّظَام بقَانُون صدر فِي سنة 1912.

وظلَّت الدِّرَاسَة فِي مَدْرَسَة الحُقُوق باللُّغَة الفَرَنسِيَّة حَتَّى سنة 1899–1900، إذ أُنشِئَ إلى جانب القسم الفَرَنْسِيّ قسم إِنْجلِيزِيّ يؤمُّه الطُلاَّب الذين أتمُّوا دراستهم الثَّانَوِيَّة باللُّغَة الإِنْجليزِيَّة والذين كانوا فِي ذلك الحين محرومين من دِرَاسَة العُلُوم القَانُونِيَّة، وظلَّ هذا القسم ينمو من ذلك الوقت بينما كان عدد الطُلاَّب فِي القسم الفَرَنْسِيّ يتناقص عامًا بعد عام بسبب إلغاء اللُّغَة الفَرَنسِيَّة من القسم الثَّانَوِيّ، حَتَّى كَانَت السَّنَة المَكْتَبِيَّة 1915– 1916، إذ أُلغِيَت السَّنَة الأُولَى من

القسم الفَرَنْسِىّ وأعقب ذلك إلغاء السنين الأخرى تدريجًا فِى الأعوام التالية حَتَّى تَمَّ إلغاء القسم الفَرَنْسِىّ وأصبحت لغة الدِّرَاسَة بالمَدْرَسَة هى الإنْجليزِيَّة. ولكن قيام الحرب العالَمِيَّة الأُولَى وانخراط عدد كبير من أَسَاتِذَة المَدْرَسَة الإنْجليز فِى سلك الجنديَّة أتاح للمُدَرِّسِينَ المِصْرِيِّينَ فرصة القيام بأعباء التدريس بالمَدْرَسَة باللُّغَة العَرَبِيَّة تدريجيًّا حَتَّى أصبحت لغة التدريس فِى كل العُلُوم، وكان من النتائج الطَبِيعِيَّة لهذا الانقلاب أن انتقلت إدارة المَدْرَسَة من الأيدى الأَجْنَبِيَّة إلى الأيدى المِصْرِيَّة.

وقد زاد إقبال الطُلاَّب على المَدْرَسَة عام بعد عام وبدأت المَدْرَسَة منذ 1905 ترفض قبول بعض المتقدِّمين إليها بسبب ضيق المكان، وظَلَّت الحال كذلك حَتَّى سنة 1910 فأصدرت وزارة المَعَارِف قرارًا جعلت بِهِ امتحانات مَدْرَسَة الحُقُوق عامَّةً، وأباحت دخولها لجميع الطَّلَبَة سواء أكانوا يتلقون دروسهم بالمَدْرَسَة أم بالخارج، وبذلك أصبح طُلاَّب المَدْرَسَة فريقَين: فريق الطَّلَبَة النِّظَامِيِّين والذين يتلقون دروسهم فِى المَدْرَسَة، وفريق الطَّلَبَة المنتسبين من الخارج ويشمل الطَّلَبَة الذين لم يجدوا مكانًا بالمَدْرَسَة، والموظَّفين المستخدمين الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالانقطاع للدرس فالتحقوا بخدمة الحكومة وغيرها من المصالح، وكل من آنس فِى نفسه ميلاً إلى دِرَاسَة العُلُوم القَانُونِيَّة.

وقد رأت المَدْرَسَة لمساعدة هؤلاء الطَّلَبَة على تحصيل الدروس بطريقة نِظَامِيَّة أن تُنْشِئ فِى سنة 1922 قِسْمًا ليليًّا لمن يريد منهم الالتحاق بِهِ بعد دفع الرسوم المقرَّرة، وقد عاد هذا القسم على الطُلاَّب المنتسبين بأكبر الفوائد وزاد عدد الطَّلَبَة المنتسبين سواء من يدرسون منهم بمنازلهم ومن انتظموا فِى سلك القسم الليلىّ،

حَتَّى كاد يضارع عدد الطَّلَبَة النِّظَامِيِّين، غير أن اندماج المَدْرَسَة فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة تَرَتَّبَ عليه إلغاء نِظَام الانتساب من الخارج، وفى سنة 1904 أُنشِئَ للمَدْرَسَة مجلسٌ مؤلَّف من الناظر ووكيل ومن ستة مُدَرِّسِينَ يُعَيَّنون فِى كل عام، وكَانَت آراء هذا المجلس قطعيَّة فيما يتعلق بِخُطَط الدِّرَاسَة وبرامجها ونتائج الامتحانات وكتب الدِّرَاسَة واستشارته فيما يتعلق بقبول الطَّلَبَة وتأديتهم وفصلهم.

وظَلَّت المَدْرَسَة تابعة لوزارة المَعَارِف إلى أن صدر أمر عالٍ فِى 25 ديسمبر سنة 1912 بفصلها عنها وإلحاقها بوزارة الحقَّانيَّة، وقضَت المَادَّة الثَّانِيَة من هذا الأمر العالى بتشكيل مجلسٍ لإدارة المَدْرَسَة يؤلَّف من رَئِيس مَحْكَمَة الاستئناف الأهلية وناظر المَدْرَسَة وعُضْوَيْن يُعَيَّنان بقرار من وزير الحَقَّانِيَّة لمدة لا تتجاوز سنتين.

وجُعلت رياسة هذا المجلس لرَئِيس مَحْكَمَة الاستئناف، وعند غيابه للنائب العُمُومِىّ، وجُعل من اختصاصه النظر فِى لوائح المَدْرَسَة وبرامج التَعْلِيم وخطة المَدْرَسَة وانتخاب المُدَرِّسِينَ وأعضاء لجان الامتحان وتقرير الإجازات واختيار الكُتُب الدِّرَاسِيَّة وتأديب الطَّلَبَة وفصلهم، على أن تُعرض قرارات المجلس على وزير الحَقَّانِيَّة ليقرِّر فيها ما يراه، وبوجود هذا المجلس بَطُلَ مجلس المَدْرَسَة السالف ذكره.

وفى 13 نوفمبر سنة 1922 صدر قرار وزير الحَقَّانِيَّة بإِنْشَاء جَمْعِيَّة عُمُومِيَّة بالمَدْرَسَة تُدْعَى الجَمْعِيَّة العُمُومِيَّة لأَسَاتِذَة المَدْرَسَة، رَئِيسها الناظر وهو يدعوها كُلَّمَا رأى لزومًا لذلك، ويعرض عليها ما يتعلق بخطط الدِّرَاسَة وبرامج التَعْلِيم

وتقرير الإجازات واختيار الكُتُب وتوزيع مَوَادّ الدِّرَاسَة على الأَسَاتذَة، وكَانَت تعرض محاضر جلسات الجَمْعِيَّة العُمُومِيَّة على مجلس الإدارة للاستئناس برأيها.

وفى سنة 1923 أُعيدت مَدْرَسَة الحُقُوق إلى وزارة المَعَارِف تمهيدًا لضمِّها إلى الجَامِعَة المِصْرِيَّة[23].

وفِى 11 مارس سنة 1925 تَقَرَّرَ إِنْشَاء الجَامِعَة المِصْرِيَّة وإدماج مَدْرَسَة الحُقُوق بِهَا، على أن تُعتَبَرَ كلِّـيَّة الحُقُوق بالجَامِعَة. ولرغبة الحكومة فِى أن تصبح كلِّـيَّة الحُقُوق المِصْرِيَّة فِى أقرب وقت معهدًا عِلْمِيًّا يضارع الكُلِّـيَّات الأُورُوبِّـيَّة رأت أن تُسنِدَ إدارة هذه الكلِّـيَّة فِى أول عهدها إلى العَميد ليون ديجى لمكَانَته العِلْمِيَّة وواسع خبرته الإداريَّة. وتَوَلَّى الأُستَاذ يحيى إدارة الكلِّـيَّة من 29 نوفمبر سنة 1925 حَتَّى أول مارس سنة 1926، وفى هذه الفترة الوجيزة تَمَّ تحضير أهمِّ لوائح الجَامِعَة وتحديد وَظَائفها، وأسندت بعده وَظِيفَة عَميد الكلِّـيَّة إلى الأُستَاذ أحمد أمين ثم الأُستَاذ الدُّكْتُور محمَّد كامل مرسى، ثم الأُستَاذ الدُّكْتُور عبد الرازق أحمد السنهورى.

أسماء نُظَّار وعُمَدَاء الكلِّـيَّة من الأَجَانِب:

1- الأُستَاذ فيدال: من أكتوبر 1868 إلى أغسطس 1891.

2- الأُستَاذ تستو: من ديسمبر 1891 إلى مارس 1902.

(23) العيد المئوي لكلية الحقوق، الكتاب المئوي، جامعة القاهرة، 1980، ص17-25، وراجع: بدير - 1950-145-150.





3- الأُستَاذ جرانمولان: من 24 سبتمبر إلى 30 ديسمبر 1906.

4- الأُستَاذ لامبير: من 22 أكتوبر 1906 إلى 25 سبتمبر 1907.

5- الأُستَاذ هيل: من 26 سبتمبر 1907 إلى 21 ديسمبر 1912.

6- الأُستَاذ إيموس: من 1 يناير 1913 إلى 6 يوليو 1915.

7- الأُستَاذ والتون: من سبتمبر 1915 إلى يناير 1923[24].

الأَسَاتذَة الأَجَانب بكلّــيَّة الحُقُوق:

1- الأُستَاذ جرانمولان، القَانُون الجِنَائيّ.

2- الأُستَاذ سوزييه، القَانُون الجِنَائيّ.

3- الأُستَاذ مونبران، القَانُون الجِنَائيّ.

4- الأُستَاذ ليبال، القَانُون المَدَنيّ.

5- الأُستَاذ ستيفانى، القَانُون المَدَنيّ.

6- الأُستَاذ جاستون كابى، القَانُون التجارى.

---

(24) كلّــيَّة الحُقُوق- 1980- ص29.

7- الأُسْتَاذ ديبوار ريتشارد، القَانُون العَامّ.

8- الأُسْتَاذ الدُّكْتُور بيسون، القَانُون المَدَنِيّ.

9- الأُسْتَاذ أرانجيو رويز، تَارِيخ القَانُون.

10- الأُسْتَاذ كرفيان، القَانُون العَامّ.

11- الأُسْتَاذ لوسيان شيرون، القَانُون الجِنَائِيّ.

12- الأُسْتَاذ سبوتو بنثور، القَانُون الدَوْلِيّ.

13- الأُسْتَاذ سيوتو بنتور، الاقْتِصَاد.

14- الأُسْتَاذ فريزر، الاقْتِصَاد.

15- الأُسْتَاذ ليون مازو، القَانُون المَدَنِيّ.

16- الأُسْتَاذ البيرشيرون، القَانُون الجِنَائِيّ.

17- الأُسْتَاذ ريتشى، المالِيَّة العَامَّة.

18- الأُسْتَاذ ميشيل موسكيلى، القَانُون العَامّ.

19- الأُسْتَاذ ملفيل، القَانُون الرُّومَانِيّ.



الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فِى كلِّـيَّة الآدَاب

لمحة تَارِيخية:

تمتدُّ جذور كلِّـيَّة الآدَاب إلى البدايات الأُولَى للجَامِعَة المِصْرِيَّة (عندما كَانَت أهليَّة)، وبدأت الدِّرَاسَة فِى الكلِّـيَّة فِى أكتوبر 1925، ثم انتقلت إلى المبنى المخصَّص لَهَا فِى حرم الجَامِعَة عام 1929، واستقرَّ قسم الجُغْرَافيَا بمبنًى خاصٍّ بشارع الرماحة بالجيزة، وعندما ضاقت مبانيها بطُلاَّبها شُيِّد لَهَا فِى حرم الجَامِعَة عام 1937 مُلْحَق لقِسْمَى اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة والتَّارِيخ، ثم أُضِيفَ إِليها مُلحَق آخر كبير افتُتِح عام 1983.

وبدأت الكلِّـيَّة بخمسة أقسام: قسم اللُّغَة العَرَبِيَّة، وقسم اللُّغَات الشَرْقِيَّة، وقسم اللُّغَات الأُورُوبِّـيَّة، وقسم التَّارِيخ، وقسم الجُغْرَافيَا، وقسم الفَلْسَفَة، بالإِضَافَة إِلى معهد الآثار (1933) ومعهد اللُّغَات الشَرْقِيَّة وآدابها (1939)، ومعهد التحرير والترجمة والصحافة (1919).

الأساتذة والمواد:

كما ذكرنا أن الجَامِعَة المِصْرِيَّة كَانَت فِى عام 1908-1910 عبارة عن مركز مؤتمرات ومحاضرات عامَّة، وقدم المسيو راووا كانيفيه برنامجًا نشره فِى مجلة (La Reform d'Alexandria) فِى شهر أبريل 1910 نادى بالتركيز على الأدب والتَّارِيخ أولاً، وقِسْم الأدب هو الذى سيصبح نواةً لكلِّـيَّة الآدَاب بعد ذلك[25].

---

(25) Martin, 1911, P.10. f.

وبناءً على مقترحات المسيو كانينيه التي تبنَّاها مجلس إدارة الجَامِعَة، جاء برنامج 1910–1911 لكلِّـيَّة الآدَاب (ثلاث سنوات دراسيَّة) متضمنًا المَوَادّ التالية[26]:

1- تَارِيخ الأدب العَرَبِيّ، ويدرِّسه الدُّكْتُور ناللينو Nallino من جَامِعَة باليرمو (بإيطاليا).

2- فقه اللُّغَات الساميَّة مع التركيز على اللُّغَة العَرَبِيَّة، ويدرِّسه البُرُوفِيسُور الدُّكْتُور ليتمان Luttman.

3- تَارِيخ الشَّرْق القَدِيم، ويُدَرِّسُهُ البُرُوفِيسُور الدُّكْتُور ميلونى من كلِّـيَّة الآدَاب جَامِعَة روما.

4- تَارِيخ الفَلْسَفَة ويدرِّسه البُرُوفِيسُور الدُّكْتُور سانتلانا Sentillana.

5- تَارِيخ الأدب الإِنْجلِيزِيّ، ويدرِّسه البُرُوفِيسُور الدُّكْتُور جيل W.A. Gill من جَامِعَة أكسفورد.

6- تَارِيخ الأدب الفَرَنْسِيّ، ويدرِّسُه البُرُوفِيسُور الدُّكْتُور لومونييه P. Lemmonier من جَامِعَة بواتييه، وكل مَادَّة لَهَا أربعون درسًا.

7- علم نفس وأخلاق، وتدرِّسُه الآنسة أدولفين كوفرور من مَدْرَسَة Racine فِي بَارِيس (مَدْرَسَة ليسيه للبنات)[27].

---

(26) تغاضينا هنا عن ذكر الْمَوَادّ التي يدرِّسها أساتذة مصريون.

(27) Martin, 1911, P. 16-17.

وكان هذا هو الجيل الأول من كبار الأُسْتَاذة الذين قاموا بالتدريس فِى السنوات الأُولَى ومعهم البْرُوفِيسُور جورج سيسون Sisson فِى الأدب الإِنْجلِيزِىِّ ومحاضرات فِى الأدب الفَرَنْسِىّ للبْرُوفِيسُور ألبرت بوفيليه Pauphilet[28].

وانتدبت الجَامعَة المستشرق لويس ماسينيون L. Massignon ليعطى محاضرات فِى التَّارِيخ والفكر الإِسْلاَمِىّ فِى الفَلْسَفَة بعد ذلك.

ثم توافد الأَسَاتِذَة الأَجَانِب على كلِّـيَّة الآدَاب عبر تَارِيخ الجَامعَة المِصْرِيَّة، حيث انتدبت الجَامِعَة أفضل الأَسَاتِذَة ليدرِّسوا فِى قاعاتها ويعلِّموا طُلاَّبها، ونذكر هنا ما استطعنا الوصول إليه، على أن نُتْبِعَهُ بتفاصيلَ أكثر عن بعض الأعلام منهم:

- جراندور P. Graindor: التَّارِيخ القَدِيم.
- البْرُوفِيسُور شاخت: اللُّغَات السامية.
- البْرُوفِيسُور روجيه Rogier: الفَلْسَفَة.
- البْرُوفِيسُور هنرى بير Peyre: الأدب الفَرَنْسِىّ.
- البْرُوفِيسُور سنكورت R. Sencourt: الأدب الإِنْجلِيزِىّ.
- البْرُوفِيسُور هارفى E.L. Harvey: تَارِيخ العصور الوسطى.
- البْرُوفِيسُور كريزويل K.A. Creswell: الآثار الإِسْلاَمِيَّة.

(28) وسوف يصبح هذا الأستاذ مديرًا لِمَدْرَسَة المعلمين العليا بعد ذلك عام 1944 وحتى عام 1948.

– البُرُوفيسُور هوجارت Hocart: علم الاجتماع.

ومن المُدَرِّسِينَ:

– سكيف C.H.O. Scaife: اللُّغَة الإنْجليزِيَّة.

– دوب M.H. Dopp: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

– كابوفيلا G. Capovilla: اللُّغَة اللاَّتينيَّة واليُونَانيَّة.

– فيكنتيف V. Vikentiev: فقه اللُّغَة المِصْرِيَّة القَديمة.

– والتر L.Walter: علم النفس العَمَلِيّ.

– لام Dr. Lamm: الفنّ الإسْلاَمِيّ.

ومن المُحَاضِرِين:



– فولتز M. Volz: اللُّغَة الأَلْمَانيَّة.

– توتى M. Toutey: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

– استبرى A. Astubury: اللُّغَة الإنْجليزِيَّة.

– بران M. Brin: اللُّغَة اللاَّتينيَّة.

– تيلور W. Taylor: اللُّغَة الإنْجليزِيَّة.

– ديفيز M.B. Davies: اللُّغَة الإنْجليزِيَّة.

– وايتهد J.H. Whitehead: اللُّغَة اللاَّتينيَّة واليُونَانيَّة.

- هولاند J. Holland: اللُّغَة اللاَّتينيَّة واليُونَانيَّة.
- ران Dr. R. Than: اللُّغَة الأَلْمَانيَّة.
- سولون Soulon: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.
- باكستون A.E. H. Paxton: اللُّغَة الإِنْجليزيَّة.
- ووكر Walker: اللُّغَة الإِنْجليزيَّة.
- كراير Cryer: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.
- دوبييه Dubier: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.
- فيرجيه Verget: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.
- ميريل Meriel: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

من الأَسَاتِذَة:

- شاده A. Schaade: اللُّغَات السامية.
- جورج G. George: الأدب الإِنْجليزيّ.

ومن الأَسَاتِذَة المساعدين:

- إِيفانس-بريتشارد Dr. E.E. Evans-Pritchard: علم الاجتماع.

ومن المحاضرين:

- جونس A.H.M. Jones: التَّارِيخ القَدِيم.

- أربرى A.J. Arberry: اللُّغَة اللاَّتينيَّة واليُونَانيَّة.

ومن المحاضرين:

- ماسياس P.M. Massias: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

الأَسَاتِذَة:

- كاريه J-M. Carré: تَارِيخ الأدب الفَرَنْسِيّ.
- سترلينج T.S. Sterling: الأدب الإِنْجليزِىّ.
- نيوبرى P.E Newberry: الآثار وتَارِيخ مِصْر القَدِيم.
- أوبان H. Aubin: تَارِيخ العصور الوسطى.

أَسَاتِذَة منتدبون:

- هرمان يونكر H. Junker: علم المِصْرِيَّات.
- منجن O. Menghien: علم الجُيُولُوجْيَا.
- توماس أرنولد T. Arnold: التَّارِيخ الإِسْلاَمِيّ.

الأَسَاتِذَة:

- دانيال أسرتييه D. Essertier: الفَلْسَفَة.
- روبرت جريفيز R. Gravies: الأدب الإِنْجليزِىّ.
- كليمان Clément: الأدب الفَرَنْسِيّ.



- مالكولم موجريدج: الأدب الإِنْجليزِىّ.



- جريجوار: الأدب الفَرَنْسِىّ.
- سارولى: الأدب الإِنْجليزِىّ.
- جوتلف برجستراسر: علم المِصْرِيَّات.
- هوجوفيشر: الفَلْسَفَة.
- دوبريه: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.
- إِنرايت: الأدب الإِنْجليزِىّ.
- إينياتسيو جويدى: العُلُوم التَّارِيخية واللُّغَوِيَّة.
- بوفيليه: الأدب الفَرَنْسِىّ.
- ميلر: الأدب الإِنْجليزِىّ.
- لتمان Luttman: اللُّغَات الساميَّة.
- سانتيلانا D. Sentillena: الفَلْسَفَة.
- وادل Wadel: الدِّرَاسَات اليُونَانيَّة واللاَّتِينِيَّة.

الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فِى كلِّـيَّة العُلُوم

لمحة تَارِيخية:

ترجع نشأة كلِّـيَّة العُلُوم إلى عام 1925، فكَانَت الكَلِّـيَّة المستحدثة الوحيدة بين الكُلِّـيَّات الأربع التى بدأت بِهَا الجَامِعَة. وبدأت الدِّرَاسَة بالكلِّـيَّة فِى أكتوبر 1925 بمُلْحَق سراى الزعفران بالعَبَّاسِيَّة، ثم نُقلت -فيما بعد- إلى مبناها بحرم الجَامِعَة.

وانفردت كلِّـيَّة العُلُوم عن غيرها من كُلِّـيَّات الجَامِعَة بنِظَام للدِّرَاسَة فِى مرحلة البكالوريوس يجمع بين الدِّرَاسَة العَامَّة والتخصُّص فِى أحد فروع العُلُوم، فتضمَّنَت اللاَّئِحَة الأساسيَّة للكُلِّـيَّة (القَانُون 62 لسنة 1933) النصَّ على أن الكلِّـيَّة تمنح دَرَجَة البكالوريوس العَامَّة أو الخاصَّة فِى العُلُوم. واشتُرط للحصول على دَرَجَة البكالوريوس العَامَّة متابعة الدِّرَاسَة مدَّةَ أربع سنوات، فيختار الطَّالِب فِى السنتين الأُولَيَيْن أربعًا من المَوَادّ الآتية: الرِّيَاضَة البَحْتَة - الرِّيَاضَة التَطْبِيقيَّة - الطَّبِيعَة - الكِيمْيَاء- علم النَّبَات- علم الحَيَوَان- الجُيُولُوجْيَا. ووُزِّعت هذه المَوَادّ على ثلاث مَجْمُوعَات، فضمَّت المَجْمُوعَة الأُولَى: الرِّيَاضَة البَحْتَة، والرِّيَاضَة التَطْبِيقِيَّة، والطَّبِيعَة، والكِيمْيَاء، وضمت المَجْمُوعَة الثَّانِيَة: الطَّبِيعَة، والكِيمْيَاء، وعلم النَّبَات، وعلم الحَيَوَان. وضمت المَجْمُوعَة الثَّالِثَة: الكِيمْيَاء، والجُيُولُوجْيَا، وعلم النَّبَات، وعلم الحَيَوَان، وكان على الطَّالِب دِرَاسَة مَوَادّ المَجْمُوعَة التى يقع اختياره عليها فِى السَّنَة الأُولَى، ثم يختار فِى السَّنَة الثَّانِيَة مَجْمُوعَة من بين خمس مَجْمُوعَات

للموادّ ضمَّت كلٌّ منها -هذه المرة- ثلاث مَوَادّ، أَمَّا فِى السنتين الثَّالِثَة والرَّابعَة فيختار مادَّتين من المَوَادّ الثَّلاَثَة لتصبح أساسيَّةً وتظلّ المَادَّة الثَّالِثَة كمادَّة فَرْعِيَّة.

واشتُرِط فِى الطَّالِب الذى يتقدَّم للحصول على دَرَجَة البكالوريوس الخاصَّة فِى العُلُوم، أن يكون ناجحًا فِى جميع مَوَادّ القسم الأول (الفرقتين الأُولَى والثَّانيَة)، وأن يدرس فِى السنتين الثَّالِثَة والرَّابِعَة إِحدى مَوَادّ التَّخَصُّص التالية: الرِّيَاضَة – الفَلَك – الطَّبِيعَة – الكِيمْيَاء – علم النَّبَات – علم الحَيَوَان – الجُيُولُوجْيَا. ولا تُمْنَح البكالوريوس الخاصَّة فِى العُلُوم الخاصَّة فِى العُلُوم إلاّ للطُّلاَّب الذين ينجحون مع الحصول على مرتبة الشرف الأُولَى أو الثَّانيَة.

ومعنى ذلك أن طالب البكالوريوس الخاصَّة يُعَدُّ ليكون متخصصًا فِى أحد فروع التَّخَصُّص، ومع ذلك لم يُشترط فِى طالب الماجستير أن يكون حاصلاً على هذه الدَّرَجَة (البكالوريوس الخاصَّة فِى العُلُوم)، وكان الالتحاق بالماجستير مُتاحًا للجميع. وكَانَت الكلِّـيَّة تمنح دَرَجَة الدُّكْتُوراه فِى الفَلْسَفَة ودَرَجَة الدُّكْتُوراه فِى العُلُوم.

وكَانَت الكُلِّـيَّات قَد بدأت بستَّة أقسام: الرياضيات – الفيزياء – الكِيمْيَاء – النَّبَات – علم الحَيَوَان – الجُيُولُوجْيَا. ثُمَّ أُنشِئَ بعد ذلك قسم علم الحشرات، وقسم الفلك والأرصاد الجوِّية.

ومن أشهر خرِّيجيها أول عَمِيد مِصْرِىّ لَهَا عَلِىّ مصطفى مشرفة وسميرة موسى أول باحثة ذرَّة والتى كانت محلَّ إعجاب علىّ مصطفى مشرَّفة، وقد التحقت بالكلية عام 1935، وحصلت على الدكتوراه فى عامين فقط من جامعة

بدفورد بإنجلترا، ودعَتها أمريكا لعمل أبحاث عندها، ومنحها الجنسية، وسافرت إلى أمريكا، وفى أثناء ذهابها بسيَّارتها الخاصة إلى أحد المعامل فى كاليفورنيا سقطَت بها السيارة من ارتفاع شاهق ولقيَت حتفَها. ويلقّبها الناس هناك بـــ"المس كورى المصرية"[29]. ومحمَّد والى ذو الأصول القوقازية، وحسن شاكر أفلاطون الذى تلقّى تَعْليمه فِى المراحل الأُولَى فِى سويسرا ثم درس علم الحشرات فِى كامبريدج، وحامد عبد الفتاح جوهر.

أعضاء هيئة التدريس الأَجَانِب فِى كلّـــيَّة العُلُوم:

1- إِيفار هوجيوم: أول عَمِيد للكُلّـــيَّة وهو سويدى الجِنْسِيَّة واستمر من 1925 وحتى 1927.

2- ج. د. بانجهام: ثانى عَمِيد للكُلّـــيَّة وهو كذلك سويدى الجِنْسِيَّة فيما بين 1927- 1936 (وبعدها جاء على مصطفى مشرفة عام 1936 ليكون أول عَمِيد مِصْرِىّ).

رؤساء أقسام أجَانِب:

1- قسم الرِّيَاضَة: إنز أُسْتَاذ الرِّيَاضَة البَحْتَة.

2- قسم الطَّبِيعَة: روزجيل أيرز.

(29) وُلِدَت سميرة موسى علىّ عام 1917 بإحدى قرى محافظة الغربية، وحصلت على التوجيهية عام 1935، وكانت الأولى على مستوى المدارس المصرية، راجع: عبد العزيز، 2008، ص110.

3- قسم الكِيمْيَاء: إِيجرتون تشارلز جراى.

4- قسم النَّبَات: جونار تاكهولم.

5- قسم الجُيُولُوجْيَا: إيفار هوجيوم (وهو أول عَمِيد للكُلِّـــيَّة). أَمَّا قسم الحَيَوَان فكان يشرف عليه أُسْتَاذ مِصْرِىّ هو محمَّد خليل عبد الخالق.

6- وست: يُدَرِّس الكِيمْيَاء العُضْوِيَّة.



بنجام

واستمر بعض من هؤلاء حَتَّى عام 1936-1937 عندما أصبح عَلِيّ مشرّفة عَمِيدًا للكُلِّـــيَّة، منهم: روزجيل أيرز ويولوس وبنجام.

الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فِى كلِّيَّة الهَنْدَسَة

لَمْحة تَارِيخية:

تشير المراجع وكتب التقويم إلى أن أول مَدْرَسَة للتَعْلِيم الهَنْدَسِىّ فِى مِصْر قَد تأسَّست فِى عام 1816. وقد اتفق أن مِصْرِيًّا يُدعَى حسين جلبى قدَّم إلى الوالى اقتراحًا بفكرة آلةٍ دائرةٍ لدقِّ الأرز تدور أسهل من المعتاد. فأعجبت الوالىَ الفكرةُ ودعاه إِلى الذهاب إِلى دمياط، وأن يبنى بِهَا دائرة ويهندسها برأيه ومعرفته، ثم صنع أخرى برشيد، وراج أمره بسبب ذلك.

ثم أمر الوالى ببناء مكتب بحوش السراية، يُعَدُّ أول مَدْرَسَة للمُهَنْدِسْخَانَة فِى مِصْر يُدَرَّس فِيهِ قواعد الحساب والهَنْدَسَة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات، وأشرف على التدريس فِيهِ حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلىّ، ومعه شخص رومى يقال لَهُ روح أفندى، وأشخاص من الإفْرِنْج، وكانوا يتدربون على الآلات الهَنْدَسِيَّة المتنوعة وقياسات الأطوال والمساحات.

وفى عام 1834 تَمَّ افتتاح مَدْرَسَة المُهَنْدِسْخَانَة ببولاق، ومَدْرَسَة المعادن بمصر القَدِيمة، وفى عام 1858 أُنشِئَت مَدْرَسَة جَدِيدَة لهَنْدَسَة الرىّ بالقناطر الخيريَّة، وأخرى للعمارة بالقلعة، ولكنهما أُغلِقَتَا بعد عدَّة سنوات. وفى يونيو عام 1866 فُتِحَت مَدْرَسَة شاملة للرى والعمارة بسراى الزعفران بالعَبَّاسِيَّة، ثم نُقِلَت إِلى درب الجماميز فِى سبتمبر 1867. وفى نفس العامِ شَكَّلَت نظارة المَعَارِف العُمُومِيَّة، بالاتفاق مع نِظَارة الأشغال العُمُومِيَّة، لجنةً سنَّت قَانُونًا ومنهجًا لإدارة المَدْرَسَة قضى بأن يكون بالمَدْرَسَة قسم للرىِّ وآخر للعمارة، وأن تكون مدَّة الدِّرَاسَة فِى

كلٌّ منهما خمس سنوات منها سنة إِعْدَادِيَّة. وجعل التَّخَصُّص فِى السنتين الأخيرتين. وقد أُلغيَت بعد ذلك السَّنَة الإِعْدَادِيَّة 1892. وفى سنة 1896 أُلْغِىَ نِظَام التَّخَصُّص، وجُعِلَت المَدْرَسَة قسمًا واحدًا.

وفى أكتوبر 1902 نُقلت المَدْرَسَة مؤقتًا إِلى دار مَدْرَسَة الزراعة القَديمة بالجيزة. وأعقب ذلك إِنْشَاء مبانى مَدْرَسَة الهَنْدَسَة الملكيَّة (مبنى الكلِّـــيَّة حاليًّا)، وبعد إِتمام المبانى نُقلت المَدْرَسَة إِليها فِى عام 1905. وشهدت مَدْرَسَة الهَنْدَسَة الملكيَّة تطورات كَثِيرة أَهَمُّها:

- فِى أكتوبر 1908 قُسّمت الدِّرَاسَة مرة أخرى إِلى قسمين للرىّ والعمارة، وجُعل التَّخَصُّص فِى السنتين الأخيرتين كما كان فِى الماضى.

- فِى عام 1916 صدر قَانُون للمَدْرَسَة يقضى بتقسيم الدِّرَاسَة بِهَا إِلى خمسة أقسام: الرى- العمارة - البلَديَّات - الميكانيكا - الكهرباء، وكان التَّخَصُّص فِى هذه الأقسام فِى السنتين الأخيرتين.

- وفى صيف 1925 أُعيدَ تنظيم المَدْرَسَة واتُّخذت أول خطوة ضرورية فِى سبيل الإِصلاح بإِنْشَاء الأبنية والمُدَرَّجَات وتوسيع المعامل. فتمَّ حَتَّى عام 1927 تشييد معملين جديدَين للهَيْدْرُولِيكَا واختبار المَوَادّ، وكذلك توسيع معمل الطَّبِيعَة.

- فِى مايو 1926 صدر قَانُون جديد لتنظيم المَدْرَسَة، صارت بمقتضاه أقسام الدِّرَاسَة أربعةً: القسم المَدَنِىّ - قسم العمارة - القسم المِيكَانِيكِىّ - قسم الكِيمْيَاء الصِّنَاعِيَّة. وتفرَّع القسم المَدَنِىّ إِلى ستة فروع: الرى - البلَديَّات

- الكبارى - الموانئ - المساحة - السكك الحديديَّة. كما تفرع القسم المِيكَانيكِيّ إلى فرعين: الميكانيكا، والكهرباء.

- وفى عام 1928 عُيِّن الدُّكْتُور شارل أندريا ناظرًا للمَدْرَسَة، وقد عُنِىَ بوضع منهج دراسىٍّ جديد فِى مستوى مناهج المدارس الفنِّيَّة العُلْيَا بأُورُوبَّا. وألْحَقَ بالمَدْرَسَة عام 1929 قسمًا إعداديًّا مدة الدِّرَاسَة بِهِ سنة واحدة.

- وفى مستهَلِّ عام 1928 أُنشِئَ معمل جديد للآلات الحراريَّة وورش جَدِيدَة، كما افتُتح معمل أبحاث الخرسانة عام 1931.

- وفى عام 1935 تَمَّ ضَمُّ مَدْرَسَة الهَنْدَسَة الملكيَّة إِلى الجَامِعَة المِصْرِيَّة، وبهذا تحول اسمُها إِلى "كلِّيَّة الهَنْدَسَة".

أول عَمِيد:



مَرَّ على مَدْرَسَة المُهَنْدِسْخَانَة عبر تَارِيخها فِى بولاق والسعيدية والجيزة العديد من النُّظَّار الأَجَانِب ومنهم: لامبير بك والمستر ماكترى، والمستر جرندلى والمستر هولت والمسيو شارل أندريا عام 1928.

كان شارل أندريا الذى عُيِّن عام 1928 ناظرًا لمَدْرَسَة المُهَنْدِسْخَانَة هو أول عَمِيد للكُلِّيَّة منذ شهر أغسطس 1935 وحتى أغسطس عام 1937. وكان قبل ذلك أُسْتَاذًا وعَمِيدًا لمَدْرَسَة الهَنْدَسَة بزيورخ، وقد عُنِىَ بوضع منهج دراسىٍّ جديد فِى مستوى مناهج المدارس الفنِّيَّة العُلْيَا بأُورُوبَّا، وقد اتضح أنه لا يتيسر تنفيذ

هذا المنهج فِى أربع سنوات دراسيَّة فقط، لذا ألحق بالْمَدْرَسَة فِى سنة 1929 قسمًا إِعداديًّا مدة الدِّرَاسَة بِهِ سنة واحدة[30].

(30) كلِّــيَّة الهندسة- جَامِعَة القاهرة- الكتاب السنوىّ- 2007، ص16، 20.

أعضاء هيئة التدريس الأَجَانِب وسنوات تدريسهم

1908 -1909:

كان هناك خمسة دروس لهذا العام هدفها إِدراك ما وصلت إِليه الآدَاب والمَعَارِف فِى أُورُوبَّا، وكان من الأَسَاتِذَة الأَجَانِب الذين انتدبتهم الجَامِعَة[31]:

1- السنيور جويدى: مُدَرِّس أدبيَّات الجُغْرَافيَا والتَّارِيخ عند العَرَب.

2- المِسْتَر ميللر: مُدَرِّس آداب اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة.

3- المسيو بوفيليه: مُدَرِّس آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.

1909 -1910:

استمرت دروس العام الماضى الخمسة مع التوسُّع، ولكن اقتصر الأمر بعد بدء الدِّرَاسَة على آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة وآداب اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة.

1- المسيو بوفيليه: آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.

2- المسترسيسون: آداب اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة (وهو مُدَرِّس اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة بجَامِعَة ديجون بفَرَنْسَا).

3- جرمان مارتان: علم الاقْتِصَاد السياسىّ والزراعىّ (أُسْتَاذ الاقْتِصَاد السياسىّ بجَامِعَة ديجون).

(31) والأستاذان المصريان هما: أحمد زكى للحضارة الإِسْلَامِيَّة وأحمد كمال للحضارة المِصْرِيَّة القديمة.

4- أدولفين كوفرور: أحوال المرأة فِي العصور القَدِيمة والحديثة (وعملت الأُستَاذة فِي سيفر Sevre ثم ليسيه راسين Racine فِي بَارِيس).

:1911-1910

1- د. ناللينو: تَارِيخ آداب اللُّغة العَرَبِيَّة.

2- د. ليتمان: مقارنة اللُّغَات الساميَّة.

3- د. ميلونى: تَارِيخ الشَّرْق القَدِيم.

4- سانتلانا Sentillana: تَارِيخ التعاليم الفَلْسَفِيَّة.

5- المِسْتَر جل: تَارِيخ آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

6- المسيو لومونييه: تَارِيخ آداب اللُّغة الفَرَنسِيَّة.

7- أدولفين كوفرور: علم النفس والأخلاق الخاصَّة بالنساء (ويدرِّس باللُّغَة الفَرَنسِيَّة).

:1912 -1911

1- د. ليتمان: مقارنة اللُّغَات والآدَاب الساميَّة (وهو مُدَرِّس بجَامِعَة ستراسبورج).

2- د. ميلونى: تَارِيخ الشَّرْق القَدِيم.

3- المِسْتَر برسى وايت (الشاعر الإِنْجليزِىّ المشهور): تَارِيخ آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

4- المسيو ج. فيانييه (المدرس بجَامِعَة مونبلييه): آداب اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

5- د. ناللينو (المدرس بجَامِعَة روما): تَارِيخ آداب اللُّغَة العَرَبِيَّة.

ملاحظة: فِي عام 1911 شُكِّل لقسم الآدَاب مجلس إِدارة كان عَمِيده ليتمان.

6- المسيو بوليبه L. Polier (المدرس بكلِّـيَّة الحُقُوق بجَامِعَة تولوز): الاقْتِصَاد السياسىّ (باللُّغَة الفَرَنسيَّة).

7- أدولفين كوفرور: التربية والأخلاق للنساء (باللُّغَة الفَرَنسيَّة).

1912 -1913:

1- المسيو جاستون فييت G. Wiet: تَارِيخ آداب اللُّغَة العَرَبِيَّة.

2- لويس ماسينيون L. Massignon: تَارِيخ المذاهب الفَلْسَفِيَّة.

3- المِسْتَر برسى وايت Percy White: تَارِيخ آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

4- المسيو لويس كليمان L. Clement: تَارِيخ آداب اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

5- المسيو ليون بوليبه: الاقْتِصَاد السياسىّ.

1913 -1914:

1- المِسْتَر برسى وايت: تَارِيخ آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

2- المسيو لويس كليمان (مُدَرِّس بجَامِعَة ليل بفَرَنْسَا): تَارِيخ آداب اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

3- المسيو ليون بوليبه: الاقْتِصَاد السياسىّ.

1914– 1915:

حدثت أزمة ماليَّة لكن يبدو أن الأَجَانِب لم يتأثروا بِهَا وظلُّوا يدرِّسون موادَّهم.

1915– 1916:

1- الأُسْتَاذ الكونت دى جلارزا: تَارِيخ المذاهب الفَلْسَفِيَّة.

2- برسى وايت: تَارِيخ آداب اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة.

3- المسيو لويس كليمان: تَارِيخ آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.

4- د.فالنتان: أمراض النفس وعلاقتها بالقَانُون الجِنَائِىّ (باللُّغَة الفَرَنسِيَّة)(32).

1916– 1917:

نفس الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فيما عدا المِسْتَر وورهام الذى حلَّ محلَّ برسى وايت فِى تدريس آداب اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة.

1917– 1918:

نفس الأَسَاتِذَة، وزادت دروس خصوصيَّة فِى اللُّغَة الفَرَنسِيَّة لتأهيل الطَّلَبَة لدخول المُحَاضَرَات قام بتدريسها المسيو مونييه، ولظروف الحرب تغير وورهام.

---

(32) صدَّقت الجَامِعَة على دبلومة فى العلوم الجنائية مدَّتُها سنة واحدة وذلك فى 4 مايو 1916.

1918 - 1919:

هذا العامَ عاد ووركهام بعد انتهاء الحرب لتدريس آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة والمسيو روسيه للغة الفَرَنسِيَّة والمستر جنكنـــز للغة الإِنْجليزِيَّة.

1919 - 1920:

- المسيو بيزيا: اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.
- المستر بريانت: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.
- المستر بروت: القَانُون الرُّومَانِيّ (وكَانَت المَادَّة بالاشتراك مع محمَّد صادق فهمى، فلما اعتذر بروت قام محمَّد صادق فهمى بتدريس المَادَّة منفردًا).

1920 - 1921:

لا تغيير فِى قسم الآدَاب، وفى قسم الحُقُوق النهارىّ درَّس أَسَاتِذَة الموسم الماضى، وكذلك لا تغيير فِى القسم الليلىّ.

1921 - 1922:

1- المسيو كليمان: آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.
2- المستر برسى وايت: آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

21 ديسمبر 1923:

قرار تسليم الجَامِعَة للحكومة، وقد كان ضمن مجلس إِدارة الجَامِعَة الذى قرر تسليمها للحكومة المسيو جورج فوكار.

1924– 1925:

1- جولنيشف Golenischeff: اللُّغَة المِصْرِيَّة القَدِيمة.

2- المسيو بول جيرارد P. Girard: التَّارِيخ الرُّومَانِيّ والقبطى.

ومن سنة 1923 وحتى يناير 1928 كان جريجوار البلجيكى هو عَمِيد الآدَاب، وفى صيف هذا العام غادر مِصْر نهائيًّا.

الأَجَانِب فِي لجنة وضع نِظَام الدِّرَاسَة:

- فِي قسم الآدَاب والحُقُوق اشترك فِي اللجنة ناظر مَدْرَسَة الحُقُوق ووكيلها والمستر بوكلرك Beiclerke والمسيو باتو Batut من الحُقُوق، والمستر برسى وايت والمسيو لويس كيلمان من الجَامعَة المِصْرِيَّة.
- قسم العُلُوم والطِّب: ناظر مَدْرَسَة الطِّبّ الأُسْتَاذ جراى Gray والأُسْتَاذ هندل Hindle والمستر شوبردج Shoebridge والمسيو ميشو: أُسْتَاذ الأدب الفَرَنْسِيّ يصبح عَمِيدَ الكُلِّيَّة بعد استقالة طه حسين من يناير 1928 حَتَّى نوفمبر 1930، والمستر هاردى Hardie، وبدأت اللجنة عملها يوم 25 ديسمبر 1923.

1925– 1926:

- إِيفار هوجيوم: يُدَرِّس الجُيُولُوجْيَا.
- إِيجرتون شارلز جراى: يُدَرِّس الكِيمْيَاء.
- جنار توكهولم: للنبات.

- روزجيل أيرز: يُدَرِّس الفيزياء.
- بنجام: يُدَرِّس الكِيمْيَاء.
- يولوس: يُدَرِّس علم الحَيَوَان.
- إنز: يُدَرِّس الرِّيَاضَة البَحْتَة.

ونلاحظ أن من بينهم خمسة أعضاء بمجلس الكلِّـيَّة هم: روزجيل أيرز وتوكهولم ويولوس وبنجام وإنز.

:1927 –1926

بالإضافة إلى ما ذكرناه من أسماءٍ نَجِد:

- دست: ويدرس الكِيمْيَاء العُضْوِيَّة.

ونلاحظ استمرار هؤلاء الأَسَاتذَة بالكلِّـيَّة حَتَّى إننا نرى بعضًا منهم أعضاءً بمجلس الكلِّـيَّة وأَسَاتِذَةً بِهَا عام 1936–1937: روزجيل أيرز ويولوس وبنجام.

:1928 –1925

- جولنيشف: اللُّغَة المِصْرِيَّة القَدِيمة.
- برسى وايت: آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

1929– 1932:

– برسى نيوبرى: اللُّغَة المِصْرِيَّة القَدِيمة.

– روبرت جريفيز: آداب اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة.

– إينو ليتمان: تَارِيخ اللُّغَات الساميَّة.

– باللتيد: تَارِيخ الدول العَرَبِيَّة قبل الإِسْلاَم.

1929– 1930:

– مالكولم موجريدج: يُدَرِّس آداب اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة.

– أصبح الأُسْتَاذ سترلينج وكيلاً لكلِّـيَّة الآدَاب فِى ظلِّ عمادة طه حسين.

– 1925– 1927: إيفار هوجيوم (سويدىّ): عَمِيد كلِّـيَّة العُلُوم.

– 1927– 1930: بانجام (سويدىّ): عَمِيد كلِّـيَّة العُلُوم.

1930– 1931:

– شاده: يُدَرِّس اللُّغَات الساميَّة.

– وفى كلِّـيَّة العُلُوم: لتلر: يُدَرِّس الطَّبِيعَة.

– سانياك: يُدَرِّس التَّارِيخ الحديث.

– اسرتييه: يُدَرِّس الفَلْسَفَة.

1931 -1932:

- شاخت: يُدَرِّس التَّارِيخ الحديث.

- اسرتييه: يُدَرِّس الفَلْسَفَة.

1929 -1930:

- جوتلف برجستراسر (النِّمْسَاوى- الأَلْمَانِىّ): يُدَرِّس فقه اللُّغَة.

1932 -1933:

- هرمان يونكر النِّمْسَاوى: يُدَرِّس الآثار المِصْرِىّ القَدِيمة.

- المِسْتَر دوبريه: يُدَرِّس آداب اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة.

وفى هذا العام تكوَّن مجلس إِدارة كلِّـيَّة الآدَاب من: سترلينج وكيل الكلِّـيَّة، بول جراندور P. Graindor، وشاخت S. Schachte وهنرى بير H. Peyre، وروجييه Rougier، وهارفيه E.L. Harvey، بالإِضافة إِلى عضوين من الخارج أحدهما فَرَنْسِىّ هو بيرلاكو P. Lacau. وكان هؤلاء جميعًا أَسَاتِذَة.

ومن الأَسَاتِذَة المساعدين من الأَجَانِب الأعضاء بمجلس الإِدارة: الكابتن كريزويل. وكان العَمِيد مِصْرِيًّا (منصور فهمى) ونائبه إِنْجِلِيزِيًّا هو سنكورت R.Sencourt.

وفى نفس العام رشَّحت الكلِّـيَّة البْرُوفِيسُور جراندور ليمثِّلها داخل مجلس إِدارة الجَامِعَة.

ونلاحظ كذلك أنه ضمن موظّفى الكلّيَّة كَانَت هناك مُشْرِفَة فَرَنسيَّة على الطَّالبات هى المدام ليشو Lechaut.

وتدريس المَوَادّ بكلّيَّة الآدَاب كما يلى:

1- بول جراندور: التَّارِيخ القَديم.

2- شاخت: اللُّغَات السامية.

3- روجييه: الفَلْسَفَة.

4- هنرى بير: الأدب الفَرَنْسِىّ.

5- سنكورت وسترلينج: الأدب الإنْجليزِىّ.

6- هرفيه: تَارِيخ العصور الوسطى.

7- كريزويل: الآثار الإسْلاَميَّة.

8- هوجارت: علم الاجتماع.

9- سكيف: اللُّغَة الإنْجليزِيَّة.

10- دوب: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

11- كابوفيللا: اللاَّتِينيَّة واليُونَانيَّة.

12- فيكنتيف: فقه اللُّغَة المِصْريَّة القَديمة.

13- والتر: علم النفس التجريبى.

14- لام: الفنّ الإِسْلاَمِىّ.

15- فولتز: اللُّغَة الأَلْمَانيَّة.

16- تونى: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

17- استبرى: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

18- برات: اللُّغَة اللاَّتينيَّة.

19- تيلور: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

20- ديفيز: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

21- هولاند: اللاَّتينِيَّة واليُونَانيَّة: هولاند.

22- ران: اللُّغَة الأَلْمَانيَّة.

23- سولون: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

24- باكستون دولكر: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

25- كرير ودوبيان وفيرجيه وميريل: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

نلاحظ هنا أمورًا منها: وجود ستة أَسَاتذَة فرنسيّين بمجلس الإِدارة منهم عضو من الخارج، والإِنْجليز يمثّلهم أُستَاذ مساعد فقط، ويمثّل الكلّيَّةَ فِى مجلس الجَامعَة فَرَنْسِىٌّ كذلك، ووجود أُستَاذ واحد إِنْجليزِىّ بالكلّيَّة (سنكورت) وأُستَاذ واحدٍ أَلْمَانِىٌّ بمجلس الإِدارة. وعدد المُدَرِّسِينَ الفرنسيّين هو سبعة مقابل سبعة إِنْجليز واثنين ألمانيّين.

:1934 –1933

يتكون مجلس الإدارة لهذا العام من الأَسَاتِذَة: جراندور وجون مارى كاريه ونيوبرى وشاده وأوبان وأُسْتَاذ واحد مساعد هو إيفانس–بريتشارد، ومن الخارج الأُسْتَاذ بيرلاكو، والمنتدَبون هم الأُسْتَاذ يونكر ومنجن وكريزويل.

وتدريس الموادّ لهذا العام:

1- سترلينج: الأدب الإِنْجِلِيزِىّ.

2- جراندور: التَّارِيخ القَدِيم.

3- نيوبرى ويونكر: الآثار والتَّارِيخ المِصْرِىّ القَدِيم.

4- جون مارى كاريه: تَارِيخ الأدب الفَرَنْسِىّ.

5- أوبان: تَارِيخ العصور الوسطى.

6- إِيفانس–بريتشارد: علم الاجتماع.

7- كريزويل: الآثار الإِسْلاَمِيَّة.

والمحاضرون:

1- فولتز: اللُّغَة الأَلْمَانِيَّة.

2- توتى Toutey: اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.

3- استبرى: اللُّغَة الإِنْجِلِيزِيَّة.

4- بران: اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.

5- تيلور: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

6- ديفيز: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

7- وايتهد وهولاند: الكلاسيكيَّات.

8- ماسيس: اللُّغَة الفَرَنسيَّة.

9- باكستون: اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

10- ران: اللُّغَة الأَلْمَانيَّة.

11- جونس: التَّارِيخ القَدِيم.

كان لفَرَنْسَا أربعة أَسَاتِذَة بالإِضافة إلى أُسْتَاذ من الخارج، ولإِنْجلْتِرَا ثلاثة أَسَاتِذَة وأُسْتَاذ مساعد من الخارج، والألمان أُسْتَاذ واحد وواحد منتدَب.

وكان المحاضرون: تسعة إِنْجليز واثنين أَلمانيِّين والفرنسيُّون أربعة.

1934 -1935:

الأَسَاتِذَة بمجلس الإِدارة: جراندور وشادة ويونكر وكويريه Koyre، ومن الخارج الأُسْتَاذ بيرلاكو، ويمثِّل جراندور الكلِّيَّة فِي مجلس الجَامِعَة، والأُسْتَاذ جورج من خارج مجلس الإِدارة.

الأَسَاتِذَة: بالإِضافة إلى من عرفناهم من الأعوام السابقة:

- جورج G. George: الأدب الإِنْجليزِيّ.

الأسَاتِذَة المساعدون: لم يتغير منهم أحد، والمحاضرون كان الجديد بينهم هو أربرى A.J. Arberry، ويدرِّس اللُّغَة اللاَّتينيَّة واليُونَانيَّة.

نلاحظ هذا العام زيادة التمثيل النِّمْسَاوى (الأَلْمَانِىّ): أُستَاذ، والفرنسيُّون لهم ثلاثة أسَاتِذَة بمجلس الإدارة وأُستَاذ بالمجلس من الخارج، وفَرَنْسِىّ يمثل الكلِّـيَّة كالعام السابق بمجلس إِدارة الجَامِعَة، وللإِنْجِلِيز أُستَاذ بالكلِّـيَّة.

١٩٣٧- ١٩٣٨:

شاخت	J. Schacht	:	اللغات السامية
يونكر	H.Junker	:	آثار مصرية
فورنس	R.A.Furness	:	آداب إنجليزية
جيمان	H.Guillemin	:	آداب فرنسية
كريزويل	K.A.C.Creswell	:	آثار إسلامية
وادل	W.G.Waddell	:	دراسات كلاسيكية
هوجارت	M.A. Hocart	:	علم اجتماع

الأساتذة المساعدون:

سكيف	C.H.O. Scaife	:	لغة إنجليزية
والتر	L. Walther	:	علم نفس تجريبي

الأساتذة الزائرون:

لالاند	A. Lalande	:	الفلسفة
كوهنل	Kŭhnel	:	أثار إسلامية
إيفانس برنيشارد	E.E. Evans- Pritchard		

المحاضرون

دوب	H. Dopp	:	لغة فرنسية
فيكنتيف	V. Vikentiev	:	فقه لغة مصرية
كروس	P.Kraus	:	لغة عربية
باكستون	A.E.H. Paxton	:	لغة إنجليزية
فولتز	G. volz	:	لغة ألمانية
ران	K. Rahn	:	لغة ألمانية
بران	A. Brin	:	لاتيني
تيلور	W. Taylor	:	اللغة الإنجليزية
هولاند	J Holland		اللغة الفرنسية
وايتهد	J. Whitehead	:	اللغة الإنجليزية
دافيز	M. B.Davis	:	اللغة الإنجليزية
مازول	J. Mazuel	:	اللغة الفرنسية

سولون	A. Soulon	: اللغة الفرنسية
ميريل	E. Meriel	: اللغة الفرنسية
ديبيان	G. Debien	: اللغة الفرنسية
فيرجر	G.M. Verger	: اللغة الفرنسية
كراير	J. Cryer	: اللغة الإنجليزي
كراوفورد	D.S. Crawford	: اللغة اللاتينية
فرهيدن	E. Verheyden	: اللغة الإنجليزية
هانسن	Hansahan	: اللغة اللاتينية
فوازان	L. voisin	: اللغة الفرنسية
بيفان	R. M. Beavan	: اللغة الإنجليزية
جرانينيه	R. Granier	: اللغة الفرنسية
أستلي	F.t.d. Astley	: اللغة اللاتينية
كروس	M. E. Cross	: اللغة اللاتينية
كورنر	F.V. Koerner	: اللغة الإنجليزية
فيل	F. Weil	: اللغة الفرنسية
تومسون	R.b. Thompson	: اللغة اللاتينية

شيبارد	L.I. Shippard	:	اللغة الإنجليزية
بوليه	A. Polet	:	اللغة الفرنسية
وليام	D.G. Williams	:	اللغة الإنجليزية
باتري	A.J. Patry	:	دراسات كلاسيكية
ولفنسون	I. Wolfenson	:	اللغة العبرية
سرفيه	J. Servais	:	اللغة الفرنسية
دو ميرانجو	E. De meringo	:	اللغة الفرنسية
فيدين	H. k. Fedden	:	لغة إنجليزية
إرفين	M.H. Irvine	:	لغة إنجليزية

عندما حضر طه حسين محاضرات جويدى لم يكُن قد بلغ العشرين من عمره بعد، وكان طالبًا بالأزهر يجهل ما أوروبا، لكنه أُعجِبَ بهذا الأستاذ الأجنبى الذى يحاضر باللغة العربية ويقدِّم أربعين درسًا عن العلاقات بين الشرق وأوروبا فى العصور الوسطى، وقد تناول فيه أدبيَّات الجغرافيا والتاريخ العربى، وكان يتحدث ببطء وبصوت ضعيف لا يصل جميعَ الطُّلاَّب، فكان يُضطرُّ إلى تعليم أحدهم بأن يردِّد بصوت مرتفع ما يقول الأستاذ، وكان موضع الإعجاب من تلاميذه جميعًا. وكان طه حسين يزوره كل أسبوع فى مسكنه ويُهدِيه نُسَخًا من كتاباته المنشورة.

ورأى طه حسين أنه "كان له أثره فى نفوس طُلاَّبه، وكان متواضعًا على عكس الطُّلاَّب المصريين الذين يظنُّون أنهم يعرفون كل شىء، خصوصًا علوم

العربية، وكأنها وقْفٌ على الأزهر، وقد أدَّى هذا الاتصال بشخصيَّة جويدى النبيلة إلى تصدُّع العلاقة بين طه حسين والتعليم الأزهرى بما كان يسوده من شكليَّة وتقليديَّة.

وأدرك الأمير ما لهذا الاتصال من أهمية فاستدعى أساتذة آخرين من أوروبا وهم الألمانىّ إينو ليتمان والإيطاليُّون كارلو ألفونسو نالينو وجيراردو ميلونى ودافيد سانتيلانا، ودرّس نالينو تاريخ علم الفلك عند العرب، وكان هذا جديدًا على الطلاب وبخاصَّة مَن هم مثل طه حسين الذين درسوه فى الأزهر بشكل بسيط جدا لمعرفة مواقيت الصلاة وكان صوت نالينو قويا يصل لقلوب طلابه وكان يتحدث عن أشياء جديدة مثل الرياضيات وفلاسفة اليونان والكتب العربية المنقولة عن اليونانية وكل ذلك فى إطار تاريخ علم الفلك وبعد عام ولد نالينو لدى طلابه حبا للمعرفة، وينتقل الطلاب بين محاضرات نالينو محاضرات سانتيلانا الذى تعلم فى تونس ويتكلم العربية بصوت عذب واشترك فى تحرير القانون التونسى وكان يدرس تاريخ الفلسفة اليونانية والإسلامية واكتشف طلابه الجدد مثل ابن سينا قد نقل فلسفته عن الإغريق، وأوضح سانتيلانا لطُلاَّبه العلاقة والرابطة التى تربط التراث الفلسفى الإسلامى بالثقافة والفكر اليونانيِّين.

ثم ينتقل الطلاب إلى دروس ميلونى الذى كان يدرّس تاريخ الشرق القديم ثم يدرّسون شيئًا من اللغة السريانية وتعمقت العلاقة بعد العام الثانى بين طه حسين والاستشراق الإيطالى وكذلك الحال بالنسبة إلى رفاقه الذين أرادوا التجديد.

ومن أثرهم فى الأدب ما لاحظناه عندما درَّسه ناللينو فى سنواته الثلاث الأولى من أثر بالغ تركه على طلابه خصوصًا أولئك الوافدين من قاعات الأزهر الذى لا يدرِّس سوى النحو وبعض من الأدب العربى، فإذا بالطلاب يَجِدُون فى محاضرات ناللينو الجديد، فهو أجنبى يشرح لهم نصوصًا عربيَّة ويضع يده على مواطن البديع فيها والجمال فى مبناها، وبعد ارتياب بسيط سرعان ما تلاشى أقبل الطُّلاَّب من أمثال طه حسين على دروس ناللينو تاركين له أنفسهم ليعيد صياغتها من جديد".

وقد كان طه حسين يقول: "علَّمَنا ناللينو ما تاريخ الأدب العربى وكيف يقسَّم الأسلوب ونصف المدرسة الأدبية أو المؤلف وما إلى ذلك، وكان ناللينو هو الذى علّمنا كيف نشأ الدب العربى وكيف تطوَّر وما العلاقات التى قامت منذ القرون الأولى بين الأدب والسياسة وبين الأدب والبيئة.

وعلى ضوء محاضرات ناللينو تغيّرت نظرة الطلاب إلى حضارهم العربية".

وخلاصة القول: لقد كان للمستشرق الإيطالى أبلغ الأثر على الجيل الذى تَرَبَّى وتَعَلَّم على يده بالجامعة المصرية.

وفى عام 1914 وفى رسالته للدكتوراه تحت إشراف ناللينو (وإن كان هذا موضع شك) عن أبى العلاء المعرِّى كان آراؤه جديدة وجزئية وصادمة أحيانًا، ثم ابتعثه الجامع فى عهد السلطان حسين كامل لاستكمال دراسته فى أوروبا واعتبروه فى عداد الثوريِّين.

وكان هناك تلميذ آخر خرج من عباءة ناللينو وهو على عبد الرازق الذى تعلّم فى الأزهر أصلاً، وكان وزيرًا للأوقاف أثار قضية وجدلاً كبيرًا وصدامًا عندما نشر كتابًا بادر فيه وأيّد رأى ناللينو القائل بأن الخلافة نظام سياسىٌّ وليس نظامًا دينيًّا، مما أدَّى إلى عزله. وانحاز له عدد من الوزراء مما أحدث أزمة، ولكن تدخّل الملك فؤاد الأول شخصيًّا أدَّى إلى الانتصار لنهج الجامعة الذى أراده هو نفسه عندما أسَّسها وهو يقوم على العلم وحُرِّية الفكر، وتَبَدَّى أثر ناللينو فى كتابَى طه حسين فى العام الثانى عن الشعر والأدب الجاهليِّين، وثارت ثائرة الأزهريين وغيرهم وكانت قضية ناقشها مجلس النواب وألقوا بالأئمة على ناللينو الذى غادر مصر لكنه عاد مرة أخرى عام 1927 ليقدم دروسه عن تاريخ جنوب بلاد العرب فى العصر الجاهلى لمدة خمس سنوات أخرى وأثر أخر لناللينو نراه فى كتاب إبراهيم مصطفى عن النحو العربى الذى قال فيه بأسلوب جديد لتعليمه فثار عليه الأزهر ولكن زالت الثورة وبقى الأدب والنحو يدرسان كما أراد ناللينو وعين إبراهيم مصطفى عميدا لكلية دار العلوم.

أما سانتيلانا فهو الذى كشف فى مصر عن العلاقات القائمة بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية والفلسفة المدنية، وما زال الأساتذة والطلاب ينشدون اليوم الاطّلاع على النص المخطوط لمحاضرات سانتيلانا فهو محفوظ فى جامعة القاهرة.

وكان للأستاذ سانتيلانا عميق الأثر فى تلامذته لدرجة أن طه حسين ومصطفى عبد الرازق (وهو تلميذ كذلك لناللينو وسانتيلانا وأصبح شيخًا للأزهر فيما بعد) ذهبا إلى سانتيلانا فى روما لتحيَّة أستاذهم العظيم.

وهؤلاء كوَّنوا جيلاً مصريًّا سَرَى فى كِيَانه روح جديد، وكان معهم المستشرق الألمانى ليتمان وماسينيون الفرنسى الذى درس التصوُّف الإسلامى وكان أستاذًا وصديقًا لطه حسين بخاصَّة ومعهم منذ عام 1926 إلى 1929 ميشيل أنجلو جويدى (وهو ابن إنياتسيو جويدى ودرس فقه اللغة العربية فى الجامعة المصرية)، وغيرهم ممن ذكرنا ممن أرسى قواعد المنهج العلمى وجدَّد التعليم ذاته.

وهؤلاء الأساتذة الأجانب فى مجال التاريخ القديم للآثار أسَّسوا جيلاً من المصريين قادرًا على النهوض بتدريس علم الآثار المصرية والتاريخ واللغة المصرية القديمة، كان فى مقدمة هؤلاء -وإن لم يدرس بل كان فى مجلس الجامعة يضع اللوائح ويشارك فى اختيار الأكْفاء من الأساتذة والعلماء- جاستون ماسبيرو، العالِم الفرنسى الشهير الذى كان يدير فى نفس الوقت مصلحة الآثار المصرية وما تعنيه من تراث مصر والإنسانية جمعاء، ثم خَلَفَهُ فى مجلس الجامعة الأستاذ الفرنسى الكبير جورج فوكار ابن عالِم الهلينستيَّات المعروف بول فوكار الذى ظلّ بمصر على رأس المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، وعضو بمجلس الجامعة، يعطيها من فكره وصائب رأيه.

وفى مجال التدريس كانت هناك نخبه من العلماء فى مقدمتهم جولنيشف وفيكنتيف الروسيان الكبيران، ونيوبرى الإنجليزى، ويونكر النمساوى، الذين درّسوا فى كلية الآداب وتخرَّج على أيديهم جيل من أكفأ من أنجبت مصر من علماء المصريات، ومنهم سليم حسن وعبد المحسن بكير وسامى جبره وأنور شكرى، وهؤلاء هم الذين حملوا الراية من بعدُ وساروا بعلم الآثار عبر قرن من الزمان.

تحركات الأَسَاتِذَة الأَجَانِب من عام إلى آخر بالجَامِعَة المِصْرِيَّة

- سيسون يحلّ محلّ ميلر للأدب الإِنْجليزِىّ عام 1910/1909.
- 1910–1911: المِسْتَر جل يحلّ محلّ المِسْتَر سيسون للأدب الإِنْجِلِيزِىّ.
- المسيو لومونييه يحلّ محلّ بوفيليه 1911/1910 لتدريس آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.
- 1911–1912: برسى وايت يحلّ محلّ المِسْتَر جيل للأدب الإِنْجلِيزِىّ، والمسيو ج.فيانييه يحلّ محلّ المسيو لومونييه للأدب الفَرَنْسِىّ، ويحلّ ليون بوليه محلّ جورج مارتان فِى تدريس الاقْتِصَاد السياسىّ.
- عُطِّل تدريس تَارِيخ الشَّرْق القَدِيم فِى مارس 1912 نظرًا إلى وفاة ميلونى.
- 1912–1913: المسيو جاستون فييت يحلّ محلّ نالّلينو فِى تدريس آداب اللُّغَة العَرَبِيَّة وتَارِيخها.
- 1912– 1913: المسيو لويس كليمان يحلّ محلّ ج.فيانيه فِى تَارِيخ آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.
- لم يحضر إِينوليتمان E. Luttman عَمِيد القسم هذا العام فلم يدرِّس مادَّته مقارنة اللُّغَات الساميَّة.
- وُقِفَت دروس النساء.
- 1913–1914: نفس الأَسَاتِذَة.

- 1914–1915: نفس الأَسَاتذَة.

- 1915–1916: بدأ أُسْتَاذ مِصْرِىّ يدرس مَادَّة تَارِيخ الشَّرْق القَدِيم التى كان يدرِّسها ميلونى الإِيطالى من قبل وهو محمود فهمى[33]، وكذلك تَارِيخ آداب اللُّغَة العَرَبِيَّة التى كان يدرِّسها نالينو أصبح يدرِّسها أُسْتَاذ مِصْرِىّ هو الشيخ محمَّد المهدى.

- 1916–1917: لم يتمكن برسى وايت من العودة إِلى مِصْر لدواعٍ قضتها ظروف استثنائية فدرَّس مادَّته تَارِيخ آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة المِسْتر وورهام، وقد انخرط وورهام فِى الحرب مع بلاده بعد ذلك بقليل.

1918–1919:

- عودة وورهام لتدريس آداب اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.
- المسيو روسيه يدرِّس اللُّغَة الفَرَنسِيَّة.
- المستر جنكنـــز يدرِّس اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة.

1919 –1920:

- يحلُّ المسيو بيزيا محلّ المسيو روسيه كما يحلُّ المستر بريانتَ محلّ جنكنـــز.

(33) ولكن محمود أفندى فهمى يُتَوَفّى فيدرِّسها محمود باشا فهمى فيمرض!

1921–1922:

– عودة برسى وايت وكليمان.

– دعوة الأُستَاذ كازانوفا لإلقاء بعض المُحَاضَرَات العَامَّة بالجَامِعَة.

1923: تسليم الجَامِعَة لوزارة المَعَارِف، وكان ضمن مجلس الإدارة يوم 21 ديسمبر من هذا العام الفَرَنْسِيّ جورج فوكار.

1924–1925:

– فيلاديمير جولنيشف: يُدَرِّس اللُّغَة المِصْرِيَّة القَدِيمة.

– بول جيرار: يُدَرِّس التَّارِيخ الرُّومَانِيّ والقبطيّ.

1921– 1928:

– جولنيشف: يُدَرِّس اللُّغَة المِصْرِيَّة القَدِيمة بالجَامِعَة المِصْرِيَّة القَدِيمة.

– روبرت جريفيز يحلّ محلّ برسى وايت عام 1928 فِى آداب الإِنْجِلِيزِيَّة.

1929– 1932:

– برسى نيوبرى يحلّ محلّ جولنيشف فِى تدريس اللُّغَة المِصْرِيَّة القَدِيمة.

1929– 1930: مالكوم موجريدج يحلّ محلّ روبرت جريفيز.

1925– 1927: إيفار هوجيوم السويدىّ عَمِيد كلِّــيَّة العلوم.

1927: بانجام السويدى يحلّ محلّ هوجيوم فِى عمادة العُلُوم.

1925– 1928: يغادر ليتمان الجَامِعَة.

1929: يعود ليتمان إلى الجَامعَة كأُستَاذ زائر.

1931– 1932: شاخت يحلّ محلّ شاده.

1932– 1933: هرمان يونكر يشترك مع نيوبرى فِى تدريس الآثار المِصْرِيَّة القَدِيمة والمستر دوبريه الذى يدرس آداب الإِنْجليزِيَّة حلّ محلّ مالكولم موجريدج.

1933– 1934:

– يحلّ جون مارى كارييه محلّ هنرى بير الذى كان يدرِّس العام الماضى.

– ويحلّ شاده ثَانِيَة محلّ شاخت للغات الساميَّة.

– ويحلّ أوبان محلّ هرفى ونيوبرى محلّ روجييه فِى مجلس الإِدارة وإِن بقى الأُستَاذ الفَرَنْسِيّ الكبير جراندور محتفظًا بموقعه.

– رحيل المشرفة الفَرَنسِيَّة على الطَّالِبات.

– مشاركة يونكر لنيوبرى فِى محاضرات المِصْرِيَّات.

1932– 1935:

– حلّ البُرُوفِيسُور جورج محلّ البُرُوفِيسُور سترلينج فِى تدريس الأدب الإِنْجليزِىّ.

– غادر نيوبرى موقعه مرشِّحًا يونكر ليحتلّ مكانه بمجلس الكلِّـيَّة ويحتلّ الأُستَاذ الإِنْجليزِىّ جورج محلّ الأُستَاذ الفَرَنْسِيّ أوبان ويعود ثَانيَة الأُستَاذ هنرى بير إلى مجلس الكلِّـيَّة الذى تركه العام الماضى، وكذلك نجد الأُستَاذ الفَرَنْسِيّ الآخَر كويريه ضمن مجلس الإِدارة لهذا العام.

كلّــيَّة الحُقُوق:

- 1908-1909: هيل Hill: عَميد كلّــيَّة الحُقُوق (مَدْرَسَة آنذاك) [34].
- 1909-1913: هيل عَمِيد للكلية.
- 1913- 1915: إيموس عَمِيد للكُلّــيَّة.
- 1915- 1916: والتون عَمِيد (ناظر) وحتى سنة 1922[35].

1929- 1930:

- المسيو ريتشى: يُدَرِّس الماليَّة العَامَّة.
- المسيو شيرون: القَانُون المَدَنيّ المقارن.

1932- 1933: برشياني تيروى: يُدَرِّس الاقْتِصَاد.

1933- 1934:

- فريز: يُدَرِّس الاقْتِصَاد.
- ليون مازو: يُدرِّسُ القَانُون المَدَنِيّ.

(34) وإن كان هيل تولّى نظارة مَدْرَسَة الحُقُوق يوم 26 سبتمبر 1907 وظل حتى 31 ديسمبر 1912 وسبقه فيدال وتستو وجرانمولان ولامبير من عام 1868 وحتى عام 1907.

(35) يصبح عَلِيّ ماهر أول عَمِيد للحقوق فى 1 ديسمبر عام 1924.

الفصل الرابع
الأَجَانِب وتَعْلِيم المَرْأة فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة

مِمَّا يُذكَر للجَامِعَة المِصْرِيَّة أنها واجهت قَضِيَّة تَعْلِيم المَرْأَة منذ الساعات الأُولَى لإنشائها، وذلك عندما خَصَّصَت قسمًا لتَعْلِيم النِّسَاء، لتوقظ العائلات وتوجد لديهم تذوُّق المعرفة[1]، وإن تأخرت الدِّرَاسَة الفعلية بِهِ إلى العام الثَّانِي.

ولكن كَانَت هذه المسارعة، فِي أحد جوانبها على الأقلّ، استجابة لنداءات من كل اتجاه، وحملة قادتها الصَّحَافَة النِّسَائِيَّة منذ سنوات، بل إن تلك الصَّحَافَة نفسها كان الباعث الرَّئِيسيُّ وراء صدورها هو المطالبة بتَعْلِيم النِّسَاء.

فقد دعت معظم الكاتبات إلى أَهَمِّـيَّة تَعْلِيم المَرْأَة حتَّى ولو فِي المنزل، وتعددت المقالات فِي الصَّحَافَة النِّسَائِيَّة التي تدور حول هذه القَضِيَّة. وربطت الكاتبات بين تَعْلِيم البنات والكفاح ضدّ المحتلّ[2].

ونريد هنا أن نشير إلى التنافس الدائم بين الفَرَنْسِيِّينَ وثقافتهم والإِنْجليز وثقافتهم فِي مجال تَعْلِيم البنات كذلك. تدهش الكاتبة إليزابيث كوبر[3] من عدد مدارس البنات المختلفة الفَرَنسيَّة والإِنْجليزِيَّة والإِيطَالِيَّة الكَثِيرة المنتشرة بالْقَاهِرَة، وكذلك يشير دنلوب إلى خطر تأثير مدارس الراهبات الفَرَنسِيَّة المنتشرة على البنات[4].

---

(1) بدير- 1950- ص125-126 وMarten, 1911, P.2-13.

(2) تعددت الصحافة النسائية، فى هذه الحقبة وإليك أسماء بعض هذه الصحف: فتاة النيل، السعادة، الجنس اللطيف، ترقية المرأة، العفاف، فتاة الشرق.

(3) بارون- 1999- ص124.

(4) بارون- 1999- ص119- 138 حيث تناولت الكاتبة بث بارون هذه الحملة وتتبعتها بالتفصيل وما أثارته من قضايا.

وَتَنَادَت الكاتبات فِي الصَّحَافَة بضرورة تغيير مناهج الدِّرَاسَة بما يتناسب وإعداد المَرْأَة العَصْرِيَّة، واستجابت الحُكُومَة. وأوجدت هذه الحملة من جهة أخرى رأيًا عامًّا داعمًا لقَضِيَّة تَعْلِيم البنات، خصوصًا بين أبناء الطبقة الوسطى والطبقة العُلْيَا[5].

ولا يجب أن نُغْفِل حماسة قاسم أمين لقَضِيَّة تحرير المَرْأَة، فكتب "تحرير المَرْأَة" عام 1898[6]، ويؤسس فِي هذا الكتاب دعوته إِلى تحرير المَرْأَة واحترامها ومساواتها بالرجل: "إنها إِنسان مثل الرجل، لا تختلف عنه فِي الأعضاء ولا فِي الإِحساس ولا فِي الفكر..."[7]، "والمَرْأَة إِنسان مثل الرجل يزينها الفطرة بموهبة العقل..."[8].

وصاغ قاسم أمين كتابيه بمنهج علميٍّ مشفوعًا بالأدلَّة والبراهين على ما يذهب إِليه، فهو دارس قَانُونٍ وقضى أربع سنوات فِي فَرَنْسَا فدرس المنهج العلميّ، وعندما أَلَّف كتابيه كان مستشارًا فِي محاكم الاستئناف من طراز متميز، ولا شكَّ أن مؤلَّفَيْ قاسم أمين ظهرا فِي فترة كَانَت مِصْر فيها تفيض -كما أشرنا آنفًا- بالكتابات المستنيرة، وكان محمَّد عبده يواصل كتاباته التحديثية[9]. وبهذا المناخ تأثر عبد الحميد حمدى فتبنَّى فِي افتتاحية العدد الأول من مجلة "السفور" دعوة قاسم

(5) بارون- 1999- 124.

(6) أمين- 1899.

(7) صالح- 2001- ص33- 42.

(8) فليتو – 2001 – ص43-49.

(9) أمين- 1899- ص21.

أمين، لا بل عمَّمها[10]، وفى هذا المناخ انبثَّت الجَامعَة كما قلنا فلم تجد مشقَّة فِى أن تؤسِّس قسمًا لتَعْليم النِّسَاء بالجَامِعَة المِصْريَّة.

وكَانَت الدِّرَاسَة مسائيَّة للرجال وصباحيَّة للنِّسَاء لعدم اختلاط الرجال بالنِّسَاء داخل دهاليز الجَامِعَة وقاعاتها.

كان الحضور متنوعًا فِى الجَامِعَة فِى بداياتها الأُولَى عام 1908- 1909، باشاوات وموظَّفون كبار وطُلاَّب من جَامِعَة الأزهر وشباب أوروبِّىٌّ. هذا التنوُّع ذهب متحمسًا ليشهد الحدَث وليستزيد من العلم. ومن النِّسَاء كَانَت سيِّدَات أجنبيات سُجِّلت أسماؤهن كمستمعات. وكذلك ذهب صحفيُّون يتابعون الحدَث.

[تلقَّى المسيو بول ريبو P. Rebaud الأُستَاذ بجَامعَة جرينوبل دعوة لإلقاء عدد من المُحَاضَرَات العَامَّة من "نادى طُلاَّب المدارس العُلْيَا بالْقَاهِرَة"، ورحبت به الجَامعَة واستخدم صالاتها فِى مُحَاضَرَاته التى ألقاها حول النقابات الزراعيَّة والتأمين والأعمال الخيريَّة، وكان لنجاحها صداه فِى الصَّحَافَة التى أثنَت كَثِيرًا على الأُستَاذ الفَرَنْسِىّ][11]. ولا يخفى ما لِهَذَا الجو من تشجيع لقطاعات عريضة من العائلات على أن تُلْحِقَ أبناءها بالجَامعَة الجَديدَة. وفى عام 1912 كَانَت المُحَاضَرَات تعالج مَوْضُوعَات: الأَدَب والرِيَاضِيَّات والفيزياء والفلك عند العَرَب، والأَدَب

---

(10) أمين – 1900– ص62، ولكى لا نستطرد فى هذا الموضع فنخرج عن خط الكتاب الأصلى نحيل القارئ إلى دراستين مفيدتين: تيزيني – 2001– ص51- 58 دبيسو–2001– ص59- 89.

(11) Martin, 1911, P. 11-12.

الإِنْجليزِىّ والأَدَب الفَرَنْسِىّ وسلسلة مُحَاضَرَات فِى الاقْتِصَاد السِّيَاسِىّ، ومُحَاضَرَات خاصَّة بجمهور النِّسَاء.

الأُسْتَاذَة أدولفين كوفرور Adolphine Couvreur فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة (1860– 1928):

وعملت الآنسة أدولفين كوفرور قبل انتدابها للتَّدْرِيس بالجَامِعَة المِصْرِيَّة، أُسْتَاذَة بمدارس الليسيه للبنات بفَرَنْسَا.

وقد وُلدت روزالى كليمنس أدولفين كوفرور يوم 13 فبراير عام 1860 فِى لافال Laval وتُوُفِّيَت يوم 6 سبتمبر عام 1928 فِى دورتول Durtol (بى–دو–دم Puy-de-Dome)، وعملت أُسْتَاذًا مساعدًا للأَدَب فِى ليسيه سيفر Sèvres من عام 1883 وحتى عام 1896، ثم عملت أُسْتَاذَة بمَدْرَسَة راسين Racine فِى بَارِيس، ثم انتدبتها الجَامِعَة المِصْرِيَّة لمدة ثلاث سنوات لإلقاء سلسلة من المُحَاضَرَات للنِّسَاء المِصْرِيَّات.

نشير ابتداءً إلى أن أوراق هذه الأُسْتَاذَة والمكتوبة بخطّ يدها قَد حُفِظَت داخل صندوق يحمل رقم ENS P. 2808 ضمن أرشيف ليسيه سيفر، وهو محفوظ بمكتبة المَدْرَسَة، ومكتوبٌ على الصندوق إنه يحتوى على (نسخة بخطّ يد الآنسة كوفرور عن مُحَاضَرَاتها فِى مِصْر).

عندما قدمت إلى مصر أحسَّت بسحر هذا البلد ودفء الاستقبال الذى حَظِيَت بِهِ منذ وصولها، فكتبت تقول: "لقَّبت نفسى بلقب عجوز مِصْرِيَّة، وعالجت مَوْضُوعَات فِى علم النفس والأخلاق فيما يخصُّ النِّسَاء".

وفى عامها الأخير بالْقَاهِرَة واجهت الموضوع بذات الحساسية وهو موضوع التَعْليم، وبخاصة تَعْليم النِّسَاء. وَمِمَّا لا شكَّ فيه أن وجود أُسْتَاذَة -سيدة- تُلقى مُحَاضَرَات عامَّةً على سيِّدات كان أمرًا مثيرًا، خصوصًا وأنه يجرى فِى بلد مسلم، رغم أن الجمهور كان من عِلْيَة القوم والسَّـــيِّدَات المثقَّفات[12].

لكن مُحَاضَرَات كوفرور جذبت إِليها المُسْلِمَات والأُورُوبِّـــيَّات، والأميرات من العائلة الخِدِيوِيَّة، وكذلك كَانَت مُحَاضَرَاتها موضوع ثناء سيِّدَات الجاليات الأَجْنَبِيَّة، وبخاصة فيما يتعلق بتَارِيخ الحضارة، وكَانَت مبادرة جريئة من مجلس الجَامِعَة، لكن الآنسة كوفرور كَانَت عند حسن الظنِّ ولاقت نجاحًا كبيرًا.

وجذبت مُحَاضَرَاتها حول الاقْتِصَاد السِّيَاسِيّ الكَثِير: مديرين ومستشارين بمَحْكَمَة الاستئناف الوطنِّية، ورجال أعمال، وتَلاَمِيذ مَدْرَسَة الحُقُوق الخِدِيوِيَّة ومَدْرَسَة الحُقُوق الفَرَنسِيَّة، وموظَّفى البنوك، إلخ.

وبالإِضافة إِلى قيامها بعمليَّة التَّدْرِيس فقد كوَّنت جَمْعِيَّة خِدِيوِيَّة للاقْتِصَاد السِّيَاسِيّ والقَانُون والإِحصاء وأنشأوا مجلَّة تقوم بنشر أعمال أعضائها.

وخلال عام 1909–1910 قامت الجَمْعِيَّة بنشاط كبير، وأخرجت أربعة أعداد من مجلَّتها: "مِصْر المعاصرة L'Egypte Contemporain"، وكلُّ عدد يحتوى على 200 صفحة تقريبًا[13].

---

(12) Lecuyote, 1998, P. 57-8.

(13) Martin, 1911, P. 13.

نعود إلى ملابسات مجيئها إلى القاهرة: الذى اختارها هو لوسيان بوانكاريه Lucien Poincare مدير التَعْليم الثَانَوىّ، وامتدحها كَثيرًا المسيو لومونييه Lemounier عند جاستون ماسبيرو G. Maspero الذى نعلم أنه عضو مجلس إدارة الجَامِعَة (بجانب أشياء أخرى كَثيرة كان يمثّلها ماسبيرو) (14).

وحصلت على الموافقة يوم 22 أغسطس سنة 1909 وكتبت: "إننى سعيدة لسفرى إلى مِصْر، ولكنها سعادة مصحوبة برهبة!".

وكَانَت ودودًا واختلطت بالعائلات بمِصْر، وحظيت باستقبال حارٍّ من المسيو والمدام ماسبيرو اللَّذَين أرشداها بإخلاص وحدَّثاها عن كل شىء يتعلق بمِصْر.

لقد أحبت المِصْرِيِّينَ لذاهم ولكوهم يحاولون تحديث مجتمعهم اقْتِصَاديًّا وسياسيًّا، ولأن بلدهم جميل، ولتَارِيخهم العريق وآثارهم الخالدة: "والنِّسَاء المِصْرِيَّات والأُورُوبِّيَّات بكل سرور استمعن لمُحَاضَرَاها، ووصل عددهن نحو المائة تقريبًا، وإن كان العدد قَد تناقص بعد ذلك فبسبب أحداث سِيَاسِيَّة، ومنها اغتيال بطرس باشا فِى مارس 1910، والحرب التركية الإيطَالِيَّة التى هبّطت من حماس المِصْرِيِّينَ، أو جعلتهم حذرين مِمَّا قَد يأتيهم من الخارج. ولكن فِى يناير 1912 وصل نجاح مُحَاضَرَات الآنسة كوفرور حَتَّى بورسعيد حيث طلبوا إليها أن

(14) راجع كلامنا عن ماسبيرو فى موضعه من الكتاب.

تقوم بإلقاء مُحَاضَرَات ثلاثًا، حيث اختارت هى موضوعها عن الأنوثة والشعر وألفريد دوفينى Alfred de Vigney"[15].

وكَانَت هذه هى المُحَاضَرَات تُلقَى فِى مَدْرَسَة الأليانس فرانسيز Alliance Francaise التى أُنشئَت على أعين جاستون ماسبيرو وكان اسمها مَدْرَسَة كوفيدون Couvidon[16].

وزارت مِصْر ثم زارت الأماكن المقدَّسة فِى فلسطين قبل مغادرتها مِصْرَ فِى مايو سنة 1912، وتتسلم مقعدها فِى ليسيه راسين Racine ثَانيَةً حَتَّى عام 1922، وهو العام التى أُحيلَت فِيهِ إلى التقاعد. وفى عام 1924 غادرت بَاريس إلى سان-إتيين حيث تُوُفِّيَت يوم 6 سبتمبر سنة 1928 فِى دورتول (بِى-دو-دوم Puy-de-Dome).

وقبل أن نعرض لمذكِّراتها عن السنوات التى قضَتها بِمِصْر ومُحَاضَرَاتها بالجَامعَة المِصْرِيَّة، نشير إلى أن "أ. كوفرور" نشرت العديد من المقالات الصَغيرَة، ومنها خواطر حول رحلاتها فِى المجلَّة الفصليَّة لجَمْعيَّة تَلاَميذ سيفر، وفى سنة 1910 مقدِّمة صَغيرَة عنوانها: "عن حالة النِّسَاء فِى المجتمع المسلم"، و"نداء إلى مواطنينا"، ومحاضرة بعنوان "دور الشعر فِى عصرنا المتحضر، أهَمِّيَّته وفائدتُه" والتى ألقتها فِى بورسعيد -كما ذكرنا- فِى مارس سنة 1912، نشرتها فِى يوليو من نفس

---

(15) Lecuyote, 1998, P. 58.

(16) David, 1999, P. 146-47.

العام، ونشرت مقالة بعنوان "كلمات عن تَارِيخ مِصْر" فِي شهر أبريل سنة 1914[17].

مذكرات الأُسْتَاذَة كوفرور:

وجعلت عنوانها "عن الجَامِعَة المِصْرِيَّة"، وسأنقلها كما كتبتها لأهميتها التَّارِيخية:

"طلبوا من الأَسَاتِذَة أن يحضروا يوم 15 نوفمبر، ووصلت يوم 10 من هذا الشهر، ووصل آخرون بعد ذلك بثمانية أيام. أخبرونا أنهم سيفتتحون يوم 27، ولكن تأخَّر الأمير فِي عودته فجعلوا موعد الافتتاح يوم 4 ديسمبر، ولكن الأمير لم يأتِ بعدُ، فلم يصل إلاَّ يوم 6، ولكن المُحَاضَرَات كَانَت قَد بدأت قبل ذلك بيومين، يوم 4، ولكن مُحَاضَرَاتي تأجَّلَت إلى أجل غير مُسَمًّى...".

"اجتمع المجلس الفنِّيُّ يوم 29 نوفمبر، واستدعوا الأَسَاتِذَة، ورغم أن الاجتماع كان رسميًّا، فإن أحد الباشوات كان يدخِّن سيجارة طوال الوقت بهدوء، وكان الحديث باللُّغَة الفَرَنسِيَّة، وكان المسيو ماسبيرو أحد المشاركين فِي هذا الاجتماع، وبين الأَسَاتِذَة كان هناك أُسْتَاذان فَرَنْسِيَّان بالإضافة إلَيَّ، وأُسْتَاذ إنْجِلِيزِيّ وأُسْتَاذ إيطَالِيّ والأَسَاتِذَة الآخرون كانوا عَرَبًا (حفني ناصف بك للأَدَب العَرَبِيّ وصابر صبري باشا للرِيَاضِيَّات وإسماعيل حسنين بك للطبيعة) والإيطَالِيّ السنيور نالينو Nallino (مُحَاضَرَات عن الفلك والعُلُوم عند العَرَب) سوف يعطي محاضرته باللُّغَة العَرَبِيَّة...".

---

(17) Lecuyote, 1998, P. 58- 9 (no. 6-8).

"لم تكُن المكتبة منظَّمة بشكل جيِّد، وانتظرنا المسئول عنها، وهو إيطَالىّ يُدعَى فاجو[18] (فيما أتذكَّر) الذى كان يتصور أنه لا تُوجَد فِى الدنيا كلها إلاَّ مكتبة واحدة المنظَّمة بشكل جيِّد، وهى مكتبته فِى روما. لاحظنا أن أمين المكتبة هذا كان هنا العام الماضى، وأنه لم يفعل شيئًا حَتَّى الآن بمكتبة الجَامِعَة المِصْرِيَّة، فقد أخذ إِجازة وسافر إِلى أُورُوبَّا".

"كان سكرتير الجَامِعَة عبد العزيز فهمى رجلاً ودودًا للغاية وفاضلاً، وكذلك عبد الحميد لطفى، وعندما ندخل إلى السكرتارية كأننا ندخل طاحونة، دون أن ندقَّ الباب، ويستقبلونك بكل أدب مهما كانوا مشغولين...".

"بالأمس، 4 ديسمبر، كَانَت المحاضرة الأُولَى للمسيو بوفيليه Pauphilet عن المسرح فِى فَرَنْسَا فِى القرن التاسع عشر، ووضْع اعتبار للأخلاق والمجتمع".

"من الذى اختار هذا الموضوع؟ لا أدرى، وهل هو موضع اهتمام العَرَب (تقصد المِصْرِيِّينَ)؟ أنظر الطُلاَّبَ الذين يرتدون الطربوش، وهم مِصْرِيُّونَ، اثنان أو ثلاثة من بينهم يسجِّلون ملاحظاهم ويدوِّنون ما يسمعون، والأَغْلَبِيَّة تستمع دون أن تكتب شيئًا، وكَثيرون أولئك الذين يُجهِدون أنفسهم ليمكنوا من متابعة ما يقال، سواء لأن اللُّغَة الفَرَنسيَّة ليست مفهومة تمامًا بالنسبة إليهم أو لأن المصطلحات المستخدَمة صعبة وتشقُّ عليهم. وهؤلاء الطَّلَبَة عمومًا عددهم قليل، فعددهم فيما أعتقد لا يتجاوز العشرين طالبًا".

---

(18) راجع: الأجانب والمكتبة فى موضعه من الكتاب.

"لقد ذهبتُ هذا الصباح لرؤية جَامعَة الأزهر، هنا، جمهور الطُلاَّب بأعداد كَبيرَة! والفناء الرَّحْب والسقيفة الفسيحة، وكلٌّ هذه الأماكن ممتلئة عن آخرها بالطُلاَّب وتعجُّ بالحياة، وسوف يُعقَد فِى يناير القادم بجَامِعَة الأزهر مؤتَمَر دَوْلِىّ عن الإسْلاَم، فيُنظر إلى لأزهر على أنه معقل الإسْلاَم وقلب العالم الإسْلاَمِىّ، ولكن ما يُدَرَّس هنا يشبه دراستنا فِى العصور الوسطى. والشباب المِصْرِىّ" هنا يتساءل: ما ضرورة إنْشَاء جَامِعَة حَدِيثَة؟ ولكن الشعب لا يتفق معهم فِى هذا الرأى. فِى الأزهر يرتدى كل الطُلاَّب الملابس الوطنيَّة، الجلباب الطويل والطربوش؛ وفى الجَامعَة الحَدِيثَة (الجَامِعَة المِصْرِيَّة) يرتدى الطُلاَّب الطربوش والبدلة الأُورُوبِّـيَّة...".

"يبدو لى أن ملابس طُلاَّب الأزهر أكثر تناسقًا وانسجامًا، والطُلاَّب هناك متعطشون إلى العلم وأكثر جدِّيَّة وحماسةً، ويوجد شيخ وسط مَجْمُوعَة من الشباب الذين يُنصِتون لحديثه باهتمام كبير، وبينما هو يتحدث يشير بيده ويعبِّر بإشارات عن بعض معانى ما يقول، والشباب متعلق بنظره على شفتيه...".

"والطُلاَّب الذين كانوا بالأمس فِى الجَامِعَة الحَدِيثَة (الجَامِعَة المِصْرِيَّة) ماذا يفعلون؟ وأى مهامَّ ينهضون بِهَا؟ هذا هو ما يجب أن نعلمه، ماذا تعنى لهم الدِّرَاسَة؟ فلا يوجد منهج منظَّم للدِّرَاسَة، ففى بؤرةِ ما يجب أن يهتمّ بِهِ هؤلاء الطُلاَّب: العُلُوم قبل كل شىء، ثم القَانُون والحُقُوق والتَّارِيخ السِّيَاسِىّ والدِّرَاسَات الاجْتِمَاعِيَّة (محاضرة الاقْتِصَاد السِّيَاسِىّ التى وجدوها للتوِّ تسير فِى هذا الاتجاه)، فيجب أن نُعدّ من بينهم: مُهَنْدِسِين ورجال صناعة ورجال زراعة وأطِبَّاء ورجال كِيمْيَاء وسياسيين، إلخ".

"6 ديسمبر، افتتاح مُحَاضَرَات جرمان مارتان G. Martin، الاقْتِصَاد السِّيَاسِيّ، الموضوع هو التطوُّر الاقْتِصَادِيّ للقُوَى العُظْمَى المعاصرة، كَانَت الصالة ممتلئة عن آخرها، كَثِير من الرجال، وخمس سيِّدَات (من بينهن المدام "ج.مارتان" وأنا)، وانصبَّ حديث الأُسْتَاذ على مواضيع شيِّقة، وحاز تصفيقًا كَثِيرًا، ونجاحًا أكبر. يبدو أنهم أرسلوا الكَثِير من الدَّعَوَات من أجل هذا الافتتاح (عدّة مئات)، ولكن فِي المحاضرة كَانَت نفس القاعة ممتلئة، فكَانَت القضايا المطروحة وأسلوب الأُسْتَاذ موضع جذب واهتمام الحضور.

"أمَّا مُحَاضَرَاتي فلم تُعلَن مواعيدها حَتَّى عودة الأمير فُؤَاد، ولكن، وخلال فترة الانتظار، لم ألتقِ أحدًا ولم أرَ أيَّة سيدة مُسْلِمَة، وباختصار لم يكُن الطريق ممهَّدًا إطلاقًا".

"وصل الأمير فُؤَاد يوم 6 ديسمبر وقابل الأَسَاتِذَة يوم 8 من نفس الشهر، ويوم 7 اتصلَت بِهِ الجَامِعَة تليفونيًّا، وطلبوا مِنِّي إعداد مُحَاضَرَة عامَّة يوم الجمعة 10 ديسمبر! والهدف من هذه المحاضرة تعريف الجمهور -وخصوصًا المسلمين- بما سوف نقوم بِهِ، حَتَّى يتأهَّبوا لإرسال نسائهم، وكنت أخشى توابع هذه البداية العَامَّة، وأذعنت مع ذلك للأمر الواقع، وأعددت المحاضرة، إلخ. وحدث يوم الخميس تغييرٌ جديد، أُلغِيَت المحاضرة العَامَّة، وكان عليّ أن أبدأ مُحَاضَرَاتي يوم الإثنين 13 ديسمبر، وسوف يرسلون الدَّعَوَات إلى درس الافتتاح هذا، كما فعلوا مع "ج.مارتان"، ولكنهم فِي حالتي تأخَّروا كَثِيرًا فِي إرسال هذه الدَّعَوَات فلم تصل إلى المدعوِّين إلاَّ يوم السبت مساءً.

والنتيجة أن الناس كانوا قَد رتَّبوا مواعيدهم بالفعل (كما حدث مع المدام مارتان وسيدة أخرى كانتا عازمتَين على حضور المحاضرة العَامَّة، ولم يكُن عندهم وقت يوم الإثنين 13 ديسمبر). ويحدث هذا كَثيرًا فِى العائلات المُسْلِمَة، أنهم يتعلّلُون بأية حُجَّة لكى يتهربوا من تلبية الدعوة، حَتَّى وإِن كَانَت من الأمير فُؤَاد...

كان الإِعداد مُسِيئًا للغاية، وقاموا بمحاولة جَديدَة، وكان نجاحها مشكوكًا فِيهِ كذلك، ولم يأخذوا بأيَّه احتياطات، على الأقلّ لم يتوخوا الظروف المناسبة...

يوم الإثنين 13 ديسمبر المحاضرة العَامَّة، أرسلوا الكَثِير من الدَّعَوَات، وكان الحضور نحو 80 شخصًا، من بينهم نحو اثنَتَى عشْرَة سيدة ومن بينهن ستُّ أميرات، وكَانَت المُسْلِمَات سعيدات، فيما يبدو لى، وفى البداية كان تقديم وتحيَّة الأميرات اللاَّئى كُنَّ ممتازاتٍ، ولكن بملابسهن وأسمائهن لا نستطيع تميزهن، فواحدة تُسَمَّى عين الحياة والأخريات لا أدرى.

الخميس التالى، كان عدد الأُورُبِّيَّات أقلّ، ولكن المُسْلِمَات أكثر (نقول إنهن نحو 25 سيدة)، ووَجَّهَت إِلَىَّ السَّيِّدَات الأُورُبِّيَّات انتقادات: أننى أتحدث عن قضايا تتعلق بالزىِّ والملابس الحَدِيثَة والإكسسوارات المعاصرة، ووسائل التعذيب، وكان ردّ فعل بعض الأُورُبِّيَّات: "لم تكُن هناك حاجة إلى أن تأتى لتقولى لنا أشياء مزعجة!".

وفى لحظة تالية قلت إننى لم أستطع دِرَاسَة النصوص المِصْرِيَّة مباشرة لكونى لست عالِمَةَ مِصْرِيَّات: "إِذن، إِن لم يكُن الأمر كذلك، فلماذا تقوم بِإلقاء

مُحَاضَرَات؟ فقد وضعوا هذه المُحَاضَرَات لتفتيح عقول المُسْلِمَات"، ولكن أرى أنه كان عليهم أن يبدأوا بتفتيح عقول الأُورُبِّــيَّات!

يوم 19 ديسمبر كتبت صحيفة الأهرام تعليقًا بشكل منتظم عن مُحَاضَرَات ج.مارتان ومُحَاضَرَاتى، وعدد الأمس، قاموا بترجمة فقرة من مقالٍ ما بعثت به سيدة مِصْرِيَّة حول موضوع مُحَاضَرَاتى فِى صحيفة الأهرام العَرَبِيَّة. تُبدِى هذه السَّــيِّدة سعادتها أن الجَامِعَة قامت بشىء من أجل النِّسَاء، ثم تدعو النِّسَاء المِصْرِيَّات أن يتوافدن بأعداد كَبِيرَة على مُحَاضَرَاتى.

بالأمس كنت على موعد مع سكرتيرة الخديوى عند المدام أرترى Artri باشا، ولكن السكرتيرة لم تأتِ؛ لقد استدعوها إلى القصر فِى التوِّ واللحظة، كان هذا بعد العيد الكبير، عندما طلب الخديوى من السكرتيرة أن تتابع مُحَاضَرَاتى، ولكنها لم تأتِ، واقترحوا عَلَىّ أن أزورها ذات يوم وأعرض عليها موضوع مُحَاضَرَاتى...".

"دخلتُ الجَامِعَة فِى إجازة العيد الكبير من الثلاثاء وحتى الإثنين الذى يليه، وهذا يعنى أن مُحَاضَرَاتى سوف تُستأنف الخميس الذى يليه، لأن مُحَاضَرَاتى كَانَت يومَى الإثنين والخميس.

وجدَت السَّــيِّدَات أن موعد العاشرة والنصف صباحًا مبكِّر جدًّا، مع أن المُحَاضَرَات تبدأ فعليًّا الساعة الحادية عشرة.

يبدو لى أن المُسْلِمَات كُنَّ سعيدات لأننى كنت أتحدث بشكل إيجابىٌّ عن مِصْر وأعبِّر عن أسفى لأننى لم أكُن عالِمَة مِصْرِيَّات.

يُوجَد الكَثِير من الناس فِي مُحَاضَرَات ج.مارتان، وأقلُّ قليلاً فِي مُحَاضَرَات بوفيليه، وأقلُّ كَثِيرًا فيما يبدو (نحو 15 مستمعًا) فِي مُحَاضَرَات سيسون Sisson، فهذا الأخير يتحدث بالإِنْجلِيزِيَّة، عن الأَدَب الإِنْجلِيزِيّ. وبالنسبة إلى مُحَاضَرَاتى يوجد 35 سيدة سجَّلن أسماءهن لمتابعة المُحَاضَرَات بانتظام، هذا بخلاف المستمعات، وفى آخر مرة كان العدد نحو 50 سيدة.

14 يناير ازداد عدد المستمعين، ذات يوم (بعد العودة من إِجازة العيد بقليل) كان العدد يتراوح بين 80 و100 شخص، من بينهم نحو ثلاثين مسلمة، ومنذ ذلك الحين والعدد يزداد، بينما عدد الأُورُوبِّـيَّات يتناقص. لا أعتقد أن العدد فِي المرة الأخيرة (يوم الإثنين الموافق 11 يناير) قد تخطَّى الخمسين شخصًا، ربما أقلّ، المُسْلِمَات يستمعن، ويفهمن، ويبدو عليهن الاهتمام.

استمرت جريد الأهرام فِي كتابة تعليقاها، وقالت عنِّى أشياء طيِّبةً للغاية، ولحسن الحظّ أن المُحَاضَرَات سوف تُطبَع بعد أن أقوم بتصحيحها، ولست مسئولة إِلاَّ عن هذا النص المصحَّح والمطبوع".

أدولفين كوفرور

لاحظنا الارتباك الشديد، كما يبدو من مذكراها، فلم يحدِّدوا موعدًا لمُحَاضَرَاها هى بالذات، فلم يريدوا أن يتحملوا المسئولية وحدهم ويواجهوا الموقف حَتَّى يعود الأمير إلى البلاد لكى يواجه ما قَد يحدث من ردّ فعل غير متوقَّع على التجرِبة الجَدِيدَة، حَتَّى بعد عودته، طلبوا منها محاضرة عامَّة لرؤية ردِّ الفعل، ثم

عادوا وأجّلوا، فلم يكُن الأمر -فِى ذلك الزمان- سهلاً إطلاقًا، لكن كان نجاح السَّـيِّدة الفَرَنسيِّة يفوق خيال المَسْئُولِين عن الجَامِعَة المِصْرِيَّة.

ذكرت كوفرور أن نساء الطبقة الراقية كُنَّ يحضرن مُحَاضَرَاتها، فمَن هؤلاء المِصْرِيَّات اللاَّئى حضرن إلى الجَامِعَة عام 1910 و1911 للاستماع لمُحَاضَرَاتها؟ نعرف منهن نساءً من البيوتات العريقة: هدى شعراوى وصفيَّة زغلول وفاطمة عمر شقيقة عبد العزيز باشا فهمى، وزوجات وكريمات بعض الباشوات: أرتين وقطاوى ورشدى وذو الفقار، وأميرات الأسرة المالكة فاطمة فاضل وعين الحياة.

تعليق الأهرام على مُحَاضَرَات كوفرور:

كان قبل ظهر أول أمس موعد افتتاح المُحَاضَرَات النِّسَائيَّة التى ستُلْقِيهَا فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة حضرة الفاضلة الأُسْتَاذَة المدموازيل كوفرور، وقد اضطرَّنا ضيق المقام أمس إِلى إِرجاء تفصيل الكلام إِلى الْيَوْم.

"بدأت الأُسْتَاذَة كلامها بشكر دولة رَئِيس الجَامِعَة ثم شرحت إجماليًّا موضوع المُحَاضَرَات التى تنوى إِلقاءها، وقالت إِن مثل هذه الدروس جَدِيدَة فِى مِصْر وإِدخالها إِلى البلاد يدلُّ على إِرادة إِشراك النِّسَاء فِى الحركة العَقْلِيَّة".

"تنظر مِصْر إِلى أُورُوبَّا متطلعة إِلى أسرار تقدُّمها وقُوَّتها. وقد رأى المِصْرِيُّونَ الذين يزورون أُورُوبَّا كم يسعى القوم هناك فِى توسيع نطاق عِلْم المَرْأَة لأنهم يرون فيها أحسن مرقاة إِلى التقدُّم الاجتماعى، ولذلك سعى المِصْرِيُّونَ فِى بلادهم إِلى ترقية المَرْأَة ونهضتها الأَدَبِيَّة. وهم -لا شكَّ- سيتوصلون إِلى ذلك دون مساس التقاليد الوطنيَّة".

"وستكون المُحَاضَرَات التى نلقيها هذه السَّنَة متنوعة، فندرس أولاً حياة المَرْأَة عند الشعوب فِى كل الأزمنة، ونطّلع على أحوالها عند قدماء المِصْرِيِّينَ واليُونَان والرُّومَان ثم فِى الزمان الجديد حَتَّى القرن التاسع عشر، وسنستعين لذلك بالتَّارِيخ ومقولات الكُتّاب، ويستغرق هذا الموضوع 20 محاضرة.

ونخصِّص القسم الثَّانِى من المُحَاضَرَات بحياة المَرْأَة الحَدِيثَة فِى أُورُوبَّا وخصوصًا فِى فَرَنْسَا، فندرس أحوالها فِى كل طبقات الشعوب وحركتها فِى الجَمْعِيَّات الخيرية والأعمال العقليَّة والمهن الجَدِيدَة التى فتحت فِى وجهها".

هذا ملخَّص ما ستدور عليه الدروس التى تلقيها المدموازيل كوفرور فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة.

ونكرر ما قلناه أمس من حثّ النِّسَاء على انتهاز هذه الفرصة للإقبال على هذه المُحَاضَرَات والاستفادة منها، فلا تذهب المساعى التى تبذلها إِدارة الجَامِعَة سُدًى بلا جدوى. ولا يخفى أن نصف كل أمَّة تقريبًا يتألف من الرجال، والنصف الآخر من النِّسَاء. فإِذا شاءت أمَّة من الأمم أن ترتقى فلا يتمُّ لَهَا ذلك إِذا وجَّهت عنايتها فقط إِلى نصف واحد مهملةً شأنَ النصفِ الآخر الذى قَد يكون دوره فِى نهضة الشعوب يوازى دور الجنس النشيط.

فهلمِّى أيتها المَرْأَة المِصْرِيَّة إِلى الدرس وورود منهل العلم لتشاركى رَجُلَك وأباك وأخاكِ فِى ترقية بلادك العزيزة، وإِنك -ولا شكّ- لفاعلة".

وفى العدد الثَّانِى تقول الأهرام: "فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة كان صباح الْيَوْم موعد إِلقاء المحاضرة الثَّانِيَة من المُحَاضَرَات النِّسَائِيَّة التى تلقيها فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة حضرة

الأُسْتَاذَة المدموازيل كوفرور، ويسرُّنا ما عرفنا من أن عدد النِّسَاء اللاَّئى أقبلن على هذه الدروس كان هذه المرة أكثر من المرة الأُولَى، والأمل وطيد بأن عددهن يتزايد دائمًا مرَّة بعد مرة حَتَّى لا تُحرَم سيِّدَة أو آنسة من فوائد هذه المُحَاضَرَات، وكان موضوع محاضرة الْيَوْم "المَرْأَة المِصْرِيَّة فِى الأزمنة القَدِيمة ومقامها فِى الحياة الاجْتِمَاعِيَّة المِصْرِيَّة القَدِيمة ونفوذها فِى الحياة العائلية".

سيدة من فضليات السَّـــيِّدَات تشكر الجَامِعَة المِصْرِيَّة على فتح مُحَاضَرَاتٍ للنِّسَاء:

حيَّينا الجَامِعَة المِصْرِيَّة وقدّرنا الخدمة الجليلة التى تؤدِّيها للبلاد وأثنينا على تلك النهضة الجميلة التى سَرَت رُوحُها فِى جسم الأُمَّة بفضل هذا المعهد العلمىّ الذى انبعثت منه أشعَّة العلم على وادى النيل. و لم تشَأْ إدارة الجَامِعَة أن تحصر هذه الفائدة بالرجال فتهمل شئون النِّسَاء وهُنّ النصف الثَّانى من الأُمَّة. ففتحت مُحَاضَرَات نِسَائِيَّة خُصُوصِيَّة لتعمل على ترقِّى مربِّيات رجال الوطن وتنوير عقولهن بنور العلم الصحيح. و لم نَشَأْ أن نترك هذا العمل دون أن نُسدِىَ إلى القائمين بِهِ كلمة شكر وثناء، فكتبنا واستنهضنا هِمَمَ السَّـــيِّدَات ليطرقن هذا المعهد العلمىَّ فيرَيْن منه الفوائد التى لا غِنًى للعذراء والأم عنها. ولكن خير شكر يقدَّم إلى إدارة الجَامِعَة هو الشكر الصادر من اللاَّئى تخدمن الجَامِعَة، ولذلك نُثبِت بكلِّ طِيبَةِ خاطرٍ "كلمة شكر" خَطَّتها يد سيدة من كريمات السَّـــيِّدَات فِى مِصْر وهى:

"عَرَفَ الناس خبر المُحَاضَرَات النِّسَائِيَّة التى تُلقيها على السَّـــيِّدَات فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة حضرةُ المدموازيل كوفرور، ولكن على ما ظهر لى من قراءة

جرائدنا المحلّية لم تُقَابَل هذه الخطوة العظمى التى خطّتها المَرْأة المِصْرِيَّة فِى سبيل التقدُّم بما تستحقُّ من الاهتمام والاعتبار. وعليه فيجب علينا -نَحْنُ معشر النِّسَاء- أن نُعرِب عن شكرنا وامتناننا من تحقيق هذه الأمنية الكبرى، وهى إشراكنا فِى الحركة العَقْلِيَّة الحَدِيثَة، وهو أمرٌ ما كنا نعتقد إدراكه قريبًا. أَمَّا وقد فُتِح بوجهنا الباب الذى كان مُقفَلاً فيجب علينا أن نبرهن عن رغبتنا الحقيقية فِى دخوله لنصل إلى رياض العلم الغنَّاء.

وليس قصدى الآن فِى هذه الأسطر الوجيزة أن أخوضَ فِى موضوع المُحَاضَرَات التى تُلقَى علينا فِى الجَامِعَة أو فِى مقدرة وكفاءة حضرة الأُسْتَاذَة التى تلقيها، ولكنْ جُلُّ ما أرمى إليه توجيهُ كلمة إِلى أخواتى السَّـيِّدَات المِصْرِيَّات، وهى أنه من الواجب علينا أن نواظب على حضور هذه المُحَاضَرَات ونَحُضَّ أخواتنا على ورود هذا المنهل العذب لنُظهِر بهذا الإِقبال كفاءتنا بالدور الجديد الذى يُعَدُّ لنا ريثما يتسنَّى لنا ذلك بالبرهان الفعلىّ وذلك بإِظهار النتيجة العمليَّة التى سنجنيها من المساعى المبذولة لترقيتنا، فلا يقال إنها أتعاب ذهبت أدراج الرياح، فلم نقدرْها قدرها و لم نجن منها الفائدة المطلوبة.

وفى الختام أنا بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن بنات جنسى أقدِّم جزيل الشكر للجَامِعَة المِصْرِيَّة ولدولة رَئِيسها الجليل، طالبةً من الله أن يوفِّقنا جميعًا إِلى ما فيهِ الخير والصلاح".

وقد ذكرت إحدى الجرائد أن "العربات والسيارات تقاطرت مُقلّة عقائل وكرائم السَّـيِّدَات والبيوتات إلى سراى الجَامِعَة المِصْرِيَّة زرافاتٍ ووحدانًا إلى البهو العظيم المُعَدّ لمُحَاضَرَات السَّـيِّدَات".

وجدير بالذِّكر أنه بجانب الأُسْتَاذَة الفَرَنسيَّة كَانَت هناك مِصْرِيَّات نذكر منهن: نبوية موسى ولبيبة هاشم ورحمة صروف ومَلَك حفنى ناصف، بالإضافة إلى بعض الأَطِبَّاء المِصْرِيِّينَ والأَجَانِب الذين حاضروا فِي مَوْضُوعَات الصِّحَّة العَامَّة. وحدَّدت الجَامِعَة آنذاك موادَّ لتُدَرَّس باللُّغَة العَرَبِيَّة بهذا القسم، منها: تاريخ مِصْر القَدِيم والحديث، والتدبير المنزلى، وكَانَت هذه إضافات فِي موسم 1911-1912[19]. وتحت ضغط واحتجاج المعارضين اضطُرَّت إدارة الجَامِعَة إلى إغلاق قسم النِّسَاء خلال الموسم الدراسيّ 1912-1913، وظلّ على ذلك فترة حَتَّى أصبحت الجَامِعَة تابعةً للحُكُومَة، وساعد لُطفِى السَّـيِّد وطه حسين فِي هذا الاتجاه كَثِيرًا[20].

---

(19) بدير- 1950- ص128-129.

(20) الجميعى- 2001- ص 567- 568. وراجع التأريخ لتعْليم المرأة بين عامَى 1919 و1945 فى: سالم - 2001- ص 591- 614.

الفصل الخامس

التنافس (الصِّرَاع) بين الأَسَاتِذَة الأَجَانِب على أرض الجَامِعَة المِصْرِيَّة

فِي الوَاقِع لم يكُن الصِّرَاع طوال الوقت بين الأَسَاتِذَة الأَجَانب علميًّا بقدر ما كان صراعًا سياسيًّا، استخدم فِيهِ أهل السِّيَاسَة الأَسَاتِذَة على أرض الجَامِعَة لإبراز مدى سيطرتهم على الأُمُور.

يرصد ماسبيرو عضو مَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة منذ أَيَّامها الأُولَى اتجاه الملك فُؤَاد إِلَى إيطاليا، ويرقب ذلك بحذر لأن إيطاليا عرضت عليه نموذجًا لكلِّيَّة آداب إيطَالِيَّة وأَسَاتِذَة إيطاليِّين، ولكن مَجْلِس الإدارة الدَّوْلِيّ رفض انفرادَ إيطاليا بالجَامِعَة دون باقي الدُّوَل، وَمِنْ ثَمَّ ينصح حكومته بمساعدة الأمير فُؤَاد ليكون لَهَا مكانها بالجَامِعَة الجَدِيدَة[1].

كان اللُّورْد لويد يرى أن الملك ذو ثقافة لاتينية وهوًى فَرَنْسِيّ، كَمَا أن الحُكُومَة لم تعيِّن أَسَاتِذَةً إِنْجِليزًا كَثِيرين كَمَا وعدت من قبلُ. بل إن الملك قام مَعَ وزيره بتعيين أَسَاتِذَة ناطقين بالفَرَنسيَّة. ووجَّه نيفيل هندرسون القائم بأعمال المَنْدُوب السَّامِي اللوم إِلَى عَلِيّ ماهر لأنه بحث تعيين عَمِيد لكلِّيَّة الحُقُوق فَرَنْسِيّ الجِنْسيَّة، كَمَا عيَّن بلجيكيًّا لكلِّيَّة الآدَاب، وسويديًّا لكلِّيَّة العُلُوم، وكان دافع عَلِيّ مَاهِر إِلَى هَذَا هو عدم وجود عَمِيد إِنْجليزِيّ للطِّبِّ فِي هذه الفترة المضطربة.

وفي الجَامِعَة، كان الطِّبّ فقط من نصيب الإِنْجِلِيز، ولا سبيل للإيطاليين إِلَى العُلُوم والطِّبِّ، فالعُلُوم عَمِيدها سويديٌّ ومناوئٌ للإِنْجِلِيز، أَمَّا الفَرَنْسِيُّونَ فمجالهم الكَبِير كان فِي الحُقُوق والآدَاب، ففي الحُقُوق جاءوا بعَمِيد فَرَنْسِيٍّ ليضع نِظَامًا لَهَا ككُلِّيَّة جَامِعِيَّة، وفي كلِّيَّة الآدَاب كان هناك خمسة أَسَاتِذَة فرنسيِّين، وأربعة بلْجيكيِّين (من بينهم العَمِيد)، وهَؤُلاَءِ أخفَوا الإِنْجِليزِيِّين الموجودين بالكلِّيَّة.

---

(1) David, 1999, P. 245-6.

وكان هَذَا الوضع مثار قلق اللُّورْد لويد الذى وقف للمدِّ الفَرَنْسِىّ بالجَامعَة بكل حزم، ولاحظ هَذَا الأمر أُسْتَاذٌ إِنْجليزِىٌّ هو "روبرت جريفيز" أُسْتَاذ الإِنْجليزِيَّة، وجاء مالكوم موجريدج بعد جريفيز ولاحظ هَذَا كَذَلِكَ.

وكَانَت وَسيلَة لويد فِى حربه للفَرَنْسِيِّينَ هى الضغط على مَجْلس الجَامعَة والملك والوُزَرَاء، وقرَّر مَجْلس الجَامعَة أن تكون الدِّرَاسَة باللُّغَة الإِنْجليزِيَّة، ما عدا الأَدَب الفَرَنْسِىّ والأَدَب العَرَبِىّ، ولكن لم يُجْدِ هَذَا أيضًا فلم يستجب الأَسَاتِذَة بالشكل المَطْلُوب. وكان الملك مساندًا للعَميد البِلْجيكِىّ جريجوار والمصالح الفَرَنسيَّة بالجَامعَة، على عكس لطفى السَّــيِّد مدير الجَامعَة، فترك جريجوار منصبه فِى يناير سَنَة 1928 وغادر البلاط فِى صيف ذات العام[2].

وكان عام 1929 عامًا أحرز فِيهِ الإِنْجليز تقدُّمًا؛ عندما جاءت حُكُومَة محمَّد مَحْمُود الذى تَعَلَّم فِى أكسفورد أقدمت على تعيين أكبر عدد من الإِنْجليز فِى كلِّــيَّة الآدَاب، وبهَذَا الدعم القادم من خارج الجَامعَة تغلَّبت المَجْمُوعَة الموالية للثقافة الإِنْجليزِيَّة فِى كُلِّيَّتَى العُلُوم والطب على مُحِبِّى الفَرَنسيَّة فِى كُلِّيَّتَى الآدَاب والحُقُوق، وداخل مَجْلس الجَامعَة، وأحرز الإِنْجليز تَقَدُّمًا آخر بإسناد رِئَاسَة أقسام الأَدَب الإِنْجليزِىّ وتَارِيخ العُصُور الوسطى وتَارِيخ الشَّرْق القَدِيم والجُغْرَافيَا إِلَى أَسَاتِذَة إِنْجليز.

فِى عام 1935 انخفض أعضاء هيئة التَّدْرِيس الفَرَنْسِيُّونَ فِى كلِّــيَّة الآدَاب إِلَى اثنين، وظَلَّت الطِّبّ والعُلُوم ترفضان دخول الفَرَنْسِيِّينَ، فبقيَت الحُقُوق معقل الفَرَنْسِيِّينَ، ولم يعتبر البِلْجيكيُّون والإِيطاليُّون أنفسهم بُدَلاَءَ عن الفَرَنْسِيِّينَ، وكان

(2) ريد- 2007- ص155- 156.

الأُسْتَاذ (سارولى) أُسْتَاذ الأَدَب الإِنْجليزِىّ يرى أن العَميد جريجوار وغيره من البِلْجِيكِّيِن هم حلفاءُ متوقَّعون للبريطانيين فِى مواجهة الوَطَنِيِّين، وكَذَلكَ فِى وقف زحف الفَرَنْسيِّينَ. ولكنّ لويد لاحظ أن سارولى مولود فِى بِلْجيكَا وله أقارب بِلْجِيكِّيون بالْقَاهِرَة رغم أن جنسيته برِيطَانِيَّة. وكان لويد يريد تقريرًا يشير إِلَى أن جريجوار العَميد البِلْجِيكِىّ يرى أن مستوى الجَامِعَة متدنٍّ، فأخذ ذلك ذريعة لترحيله[3].

كان البُرُوفيسُور سنكورت مثار قلق للمَنْدُوب السَّامِى لأنه ينتمى نوعًا ما إِلَى الثَّقَافَة اللاَّتينيَّة، وقد شكا أحد العاملين أنه كان يساند إِيطاليًّا لشغل منصب بالجَامِعَة، كَمَا وُجِّهَت إلى سنكورت تهمة ترتيب مُحَاضَرَات لإيطَالِىّ آخر حول التَّارِيخ والأدب الإِيطاليِّين، ولَمَّا رأى روبرت جريفيز تدخُّل المَنْدُوب السَّامِى الكَثير أشار إِلَى أنه طوال الوقت يشعر بأن ولاءه للمَنْدُوب السَّامِى لا للملك، لأنهم -أى البريطانيين-: "أخبرونى بضرورة الاحتفاظ بالعلم البرِيطَانِىّ مرفرفًا فوق مبنى كلِّـــيَّة الآدَاب".

وكان كريزويل شوفينىّ النزعة، وهو أُسْتَاذ العمارة الإِسْلاَمِيَّة كَمَا نعرف، ففى عام 1938 تَقَدَّم كريزويل بشكوى إلى سفارته من أن الفَرَنْسيِّينَ شغّلوا قسم الفَلْسَفَة بالْقَاهِرَة دون أن يُعلَن فِى إِنْجلْترَا عن افتتاحه، وظَلَّت شكوى كريزويل موضع تحقيق لمدة عام، وشعر لامبسون أن كريزويل أصبح مزعجًا جدًّا.

ورغم رفض لامبسون الاعتراف برِئَاسَة فَرَنْسِىٍّ لقسم الفَلْسَفَة فَقَدْ أَقَرَّ بعدم وجود مرشَّح إِنْجليزِىٍّ يصلح لِهَذَا المنصب، والحقيقة أن برِيطَانْيَا لم تكُن مستعدَّة

(3) ريد- مرجع سابق- ص 157-158.

لتوريد أَسَاتذَة أَكْفَاء طوال الوقت على عكس فَرَنْسَا التى تتبع الجَامعَاتُ فيها وزارةَ التَعْلِيم التى كَانَت تشجِّع بقوَّة إرسال البعثات الثقافيَّة، كَمَا لم يكُن أَسَاتذَة السوربون يخسرون شيئًا بالذهاب إِلَى مِصْر لِمُدَّة ما وتُدفع لهم رواتبهم الفَرَنسيَّة ورواتب مِصْرِيَّة، ثم يعودون إِلَى مناصبهم السابقة بعد حين. ولذلك وجدنا أن الأَسَاتذَة الإِنْجليز المرشَّحين للعمل بالْقَاهِرَة من الشباب قليلو الخبرة إذا ما قارنَّاهم بالفَرَنْسيِّينَ مثلاً.

أَمَّا رِئَاسَة روبرت جريفيز لقسم الأَدَب الإِنْجِلِيزِىّ سَنَة 1925 فلم تكُن فِى المقام الأوَّل لكفاءته، ولكن لنفوذ من زَكَّوه، ومنهم "ت.أ.لورانس" الذى خدم مَعَ اللورد لويد. ومثال آخر لأُسْتَاذ إِنْجلِيزِىّ متوسط المستوى هو مالكوم موجريدج الذى جاء ليحاضر بالجَامِعَة بعد أن عمل بالتدريس لمدَّة عامين دراسيَّين فِى مَدْرَسَة الْمِنْيَا الثَانوِيَّة، وكان يحدث أن ترشِّح برِيطَانْيَا أفرادًا من القُوَّات المُسَلَّحَة البِرِيطَانيَّة للتَّدْريس بالإِنْجلِيزِيَّة بالجَامِعَة. ومن ثَمَّ لم يكُن هَؤُلاَءِ يفكِّرون فِى تولِّى منصب الأُسْتَاذية، ولكن حدث عام 1928 أن سعى محمَّد مَحْمُود رَئِيس الوُزَرَاء ولطفى السَّيِّد للضغط على مَجْلس الجَامعَة لكى يتخطَّى عَميدَ كلِّيَّة الآدَاب وكَذَلكَ مَجْلسها، لتعيين شاب إِنْجلِيزِىّ أُسْتَاذًا للأَدَب الكِلاَسِيكِىّ بدلاً من الأُسْتَاذ الإيطَالِىّ ذى الستِّين عامًا.

وكان تصرُّف البرِيطَانِيِّينَ مثار ضَجَر الكَثِيرين من غير الفَرَنْسِيِّينَ، فنراهم يَحْتَجُّون على تَعْيِين عَمِيدٍ سويدىٍّ لكلِّيَّة العُلُوم هو إيفار هوجيوم (1920-1927)، كَمَا رحل أُسْتَاذ سويدىٌّ فِى علم النَّبَات ضَجَرًا من تصرُّفات البرِيطَانِيِّينَ حِيَالَ الأُورُبِّيين.

أَمَّا إيطاليا فلم يحدث أن فكرت فِي بسط نفوذها داخل الجَامعَة المِصْرِيَّة؛ حَتَّى إننا فِي عام 1933 لا نجد أثرًا للمُسْتَشْرِقين الإيطاليِّين سوى تعيين نالينو عضوًا فِي مجمع اللُّغَة العَرَبِيَّة.

وكان هناك المنافسة الأَلْمَانيَّة والتي تركَّزت فِي علم المِصْرِيَّات والاستشراق، ففي عام 1934 يُلْغِي المَنْدُوب السَّامِي لامبسون تعيين المُسْتَشْرِق الأَلْمَانِيّ جوزيف شاخت. وكان ليتمان قَد عاد إلى الجَامعَة منذ عام 1929 كأُسْتَاذ زائر، وفِي العام التالي عاد أرنور شادة مدير دار الكُتُب الذي غادر مِصْر عام 1914، ثم حلّ شاخت محلّ شادة فِي المنصب، وتولى بول كراوس تدريس اللُّغَات الشَرْقِيَّة لبعض الوقت، وكَذَلكَ كان عالم البرديَّات جوتلف برجستراسر وعالم المِصْرِيَّات هرمان يونكر نمساويَّين، وكانا ضمن الرعايا الأَلْمَان عام 1938. كَمَا جاء إِلَى الْقَاهِرَة الكيميائيُّ أَلكْسَنْدَر شونبرج قادمًا من برلين سنة 1937، وظل بِهَا حَتَّى الخمسينيَّات[4].

وغضب البِرِيطَانيُّونَ من نيوبرى الذى رشَّح يونكر خليفةً لَهُ، وهو نمساويّ (أَلْمَانِيّ) وليس بريطانيًّا، وذلك رغم ما عُرِف عن نيوبرى من عدائه للفَرَنْسيِّينَ.

وكان أَلْمَانِيّ آخر -وهو هوجوفيشر- مرشَّحًا لمنصب أُسْتَاذ الفَلْسَفَة فِي مواجهة المرشَّحين الفَرَنْسيِّينَ عام 1933، ولم يسانده البِرِيطَانيُّونَ، وإنما نراهم بعد ذلك سعداءَ لرحيل يونكر عام 1939 أو إبعاده -بمعنًى أدقّ- مَعَ اثنين آخرَين من الأَسَاتذَة الأَلْمَان.

---

(4) ريد- ص162- 163.

بعد عام 1925 ظلّ تدريس الأَدَب والحُقُوق باللُّغَة الفَرَنسيَّة ممَّا جعل تدريس الفَرَنسيَّة بالجَامعَة واجبًا، والتوسُّع كَذَلكَ فِي تدريسها بالثَانويَّة العَامَّة، ولَقِيَ هَذَا الأمر قبولاً واستحسانًا لدى الملك والعَميد جريجوار، وانتهز عَلِيّ مَاهِر الفرصة وعيَّن واحدًا وأربعين أُسْتَاذًا فرنسيًّا وسبعة بِلْجيكيِّين واثنين من السويسريِّين، ودخلت الفَرَنسيَّة دروس الجَامعَة النِّظَاميَّة، ومن آثار ذلك مثلاً أن وجدنا أن جريفيز أصبح لَهُ محاضرة واحدة فقط بدلاً من اثنتين، ولكن ظلّ لويد يضغط، حَتَّى بدأ انحسارُ مدِّ اللُّغَة المِصْريَّة عام 1929.

وَخَلَفَ دوبريه أُسْتَاذُ الإِنْجِلِيزِيَّة جريفيز الذى استقال مَعَ إِنْجِلِيزِيٌّ آخر بعد أن وصل حال كلِّــيَّة الآدَاب وامتحاناتها إِلَى حالة سيئة من الفوضى وتدخُّل الحُكُومَة فِي الامتحانات.

وكان دوبريه يرى بدوره أن كلِّــيَّة الآدَاب أصبحت مجالاً للسُّخْرِيَة خارج الجَامعَة[5].

ومع تمصير هيئة التَّدْريس سنجد أن كلِّــيَّة الحُقُوق هى الأُولَى التى سيكون لَهَا عَمِيد مصْرِيّ، وتَلَتْها كلِّــيَّة الطِّبّ، وكان أول عَمِيد مِصْرِيّ هو على إِبراهيم عام 1929[6].

وعندما غادر العَمِيد الفَرَنْسِيّ للآداب مِصْر لم ينجح الإِنْجِلِيز فِي فرض عَمِيد إِنْجليزِيّ، فكان طه حسين أول عَمِيد مصْرِيّ لكلِّــيَّة الآدَاب، ثم تَلَتْ ذلك كلِّــيَّة العُلُوم لتكون آخر الكُلِّــيَّات الأَسَاسيَّة بالجَامعَة، والتى بدأت منذ عام 1925 فقط، وتولّى على مشرّفة عمادها عام 1936 بدلاً من بانجام.

---

(5) نفس المرجع- ص165- 169.

(6) راجع عن قصة حياته ومشواره العلميّ، أحدث إصدار: عزب وعابد- 2007.

لكننا نشير إِلَى أمر آخر، وهو أن الأُورُبّيين كان لهم سيطرتهم على الأقسام فِي ظلّ عمادة المِصْرِيِّينَ وبخاصَّة أقسام اللُّغَات: الفَرَنسِيَّة والإِنْجليزِيَّة واللاَّتينيَّة وقسم الآثار الإِسْلاَمِيَّة، كَمَا كان الأُورُبّيون يراسلون خمسةً من الأقسام التسعة بكلِّـيَّة العُلُوم حَتَّى عام 1945[7].

وإِذا أردنا فِي نهاية المطاف أن ننظر لنعرف لِمَن الغَلَبَة فِى الصِّرَاع الثَّقَافِيّ المحتدم على أرض الجَامعَة المِصْرِيَّة، فسنجد أن المتصارعين من الأُورُبّيين هم: الإِنْجليز والفَرَنْسيُّونَ والإِيطاليُّون، والأَلْمَان على استحياء، و لم يوجَد المَجَرِيُّونَ بعد اعتذار جولدتسيهر الذى ذكرناه فِي حينه، وكَذَلِكَ لم يمثِّل الهولنديُّون بعد اعتذار سناك هوجرونج.

ورغم احتلال إِنْجِلْترَا لمصر وبلدان أخرى فِي الشَّرْق الأوسط وزيادة عدد الإِنْجليز بِمِصْر على عدد الفَرَنْسِيِّينَ، ظَلَّت هيمنة الإِنْجليز سيَاسيَّة فِي المقام الأول، ويرى ريد أن سبب ذلك هو كراهية المِصْرِيِّينَ للُّورْد كرومر[8]. لكن ليس هَذَا فقط، لأن اللُّورْد ووجوده بِمِصْر قريبٌ، والثَّقَافَة أمر يحتاج ليمدّ جذوره فِي التربة لأجيال، ومن هنا نقول إن سبب ذلك أن الثَّقَافَة الفَرَنسيَّة اكتسبت مكَانَتها عبر قرن سَبَق إِنْشَاء الجَامعَة، وعبر أجيال تشبَّعت بالثَّقَافَة الفَرَنسيَّة، ومنها الأسرة الحاكمة نفسها، وكل ذلك قبل أن تأتى إِنْجِلْترَا إلى المنطقة.

ولذلك رأينا لتفوُّق الثَّقَافَة الفَرَنسيَّة شواهد عِدَّة، منها: أن مَجْلس إدارة الجَامعَة ضَمَّ أُسْتَاذًا فَرَنْسِيًّا منذ أول يوم هو جاستون ماسبيرو، بجانب أُسْتَاذ

---

(7) ريد- مرجع سابق- ص170-171.

(8) نفس المرجع- ص72.

إيطَالِىٌّ، أَمَّا الإِنْجليزِىُّ شلدون آموس مدير مَدْرَسَة الحُقُوق فلم يصبح ضمن مَجْلس الإدارة إلاَّ عام 1913، ويمكن تعليل ذلك بضغوط سِيَاسِيَّة مُورِسَت، بدليل أنه لم يهتمَّ بحضور الجلسات على عكس الأُسْتَاذين الفَرَنْسِىّ والإيطَالِىّ، وكَذَلِكَ كان ألبير بوفيلييه الأُسْتَاذ الفَرَنْسِىّ هو الذى ألقى كلمة الأَجَانب فِى الاحتفالات ولَمْ يُلقِهَا إِنْجليزىٌّ، عام 1908[9].

وعلى مدى عمر الجَامعَة الأَهْلِيَّة لم نجد سوى منصب جَامِعِىّ واحد للإِنْجليز هو منصب أُسْتَاذ الأَدَب الإِنْجليزِىّ، وتولاَّه بيرسى وايت Percy White، وهو الوحيد الذى شغل المنصب لِمَا يزيد عن عام أو عامين، وهو روائىٌّ وشاعر وصل إِلَى البلاد عام 1911، وعمل بالتدريس حَتَّى العِشْرِينيَّات، ما عدا فترة انقطاع دامت ثلاث سنوات فى أثناء الحرب[10].

وتراجعت بِريطَانْيا ليبقى التنافُس منحصرًا بين فَرَنْسَا وإيطاليا، وقد نرى أنه تنافس غير متكافئ، لكن لا يجب أن ننسى أن إيطاليا كَانَت تشكِّل أكبر جالية أَجْنَبِيَّة بِمصْر مَعَ بداية القرن العِشْرِين، لكن نفوذ اللُّغَة الإِيطَالِيَّة كان قَد تراجع منذ منتصف القرن التَّاسِع عشر وانتصر عليه النفوذ الفَرَنْسِىّ تمامًا فِى السبعينيَّات من هَذَا القرن التَّاسِع عشر عندما حَلَّت الفَرَنسِيَّة محلّ الإِيطَالِيَّة على طوابع البريد.

ورغم ذلك فإن مساندة الأمير فُؤَاد مَكَّنت الإِيطاليِّين من الصمود فِى أول أَيَّام الجَامعَة، فوجدنا المحامى الإيطَالِىّ "أوجو لوزينا" بك ضمن مَجْلِس الإدارة، وفى المقابل كَانَت صداقة فُؤَاد لفكتور عمانويل الثالث سببًا لمساندة إِيطاليا الرَسْمِيَّة

---

(9) بدير- 1950- ص 79-81.

(10) نفس المرجع- ص130، وريد- مرجع سابق- ص72.

بسهولة. ورغم أن إيطاليا لم تقدِّم مقرَّرًا فِى الأَدَب الإيطَالِىّ فقد قدَّمت مُسْتَشْرِقِين، جويدى ونالينو وسانتلانا، فِى المَوْضُوعَات العَرَبِيَّة والإسْلاَمِيَّة باللُّغَة العَرَبِيَّة، وتولَّى جيرادور ميونى تدريس الحضارة القَدِيمة فِى الشَّرْق الأدنى، الأمر الذى جعل جاستون ماسبيرو، مدير مصلحة الآثار المِصْرِيَّة الفَرَنْسِىّ وعضو مَجْلِس إدَارَة الجَامِعَة، يحتجّ على الاستعانة بالإيطالِيِّين قائلاً: لا يجب أن تنفرد جِنْسِيَّة واحدة بالجَامِعَة، ولكن تتوزع المهامُّ على كل الجِنْسِيَّات.

ولكن فُؤَاد ردّ بأن: إيطاليا هى التى ستدفع المرتَّبات، ثم إننا هنا بصدد التَعْلِيم وليس السِّيَاسَة[11]، ولا ننسى تبرعات إيطاليا للمكتبة ومديرها الإيطَالِىّ فاجو.

ولكن الحضور الثَّقَافِىّ الفَرَنْسِىّ كان قويًّا، كَمَا أن فُؤَاد أحب -كأسلافه- فَرَنْسَا، وكان لرأس المال الفَرَنْسِىّ نفوذه فِى السوق المصرفيَّة، ولا ننسى قناة السويس، وكَانَت الجالية الفَرَنسِيَّة هى الثَّانِيَة بعد إيطاليا قبل الاحتلال البِرِيطَانِىّ.

كَمَا توالى العديد من الأَسَاتِذَة الفَرَنْسِيِّينَ على شغل منصب أُسْتَاذ الأَدَب الفَرَنْسِىّ، كَمَا أن فَرَنسِيَّةً هى التى رأست قسم النِّسَاء، ثم حدث أنْ حلّ مُسْتَشْرِقان فَرَنْسِيَّان (ماسينيون وجاستون فيت) محلّ الإيطاليِّين المُبعَدين بسبب احتلال إيطاليا لليبيا.

كان حضور الفَرَنْسِيِّينَ كَبِيرًا فِى مؤتمر القَاهِرَة للإستشراق والذى عُقد عام 1909 والذى حضره 160 فَرَنْسِيًّا ولغته الرَسْمِيَّة كَانَت الفَرَنسِيَّة، وهَؤُلاَءِ الفَرَنْسِيُّونَ كانوا أَسَاتِذَةً فِى المدارس الثَانَوِيَّة والتَعْلِيم العالى، وكان من بينهم

(11) ريد- 2007- ص72، و David, 1999, P. 245-46.

عشرون سيِّدة فى هَذَا الأمر. ونوعيَّة الحضور كَانَت مقصودة أشار بهَا ماسبيرو. وأرادت الوزارة الفَرَنسيَّة أن تُبرز مكانة الفرانكفونية على المستوى الدَّوْلِيّ، ثم إن هَذَا المؤتمر كان تحت إشراف رجل فَرَنْسَا الكَبِير بالْقَاهِرَة جاستون ماسبيرو[12].

وجاستون ماسبيرو يهتمُّ بالمدارس التى تعلِّم الفَرَنسيَّة ويفحص موادَّها التربويَّة والتَعْلِيميَّة ويقلقه جِدًّا ما تُحرزه الإنْجليزيَّة على حساب اللُّغَة الفَرَنسيَّة بين أفراد الشعب المِصْرِىّ، ويتضح ذلك من خطاب أرسله أوجست فرناى A. Frineey لماسبيرو بتَاريخ 30 مارس 1897:

"لا يزال الإنْجليز يَكْثُرُون فِى مِصْر ويزداد تأثيرهم بسرعة ويُجْرُونَ تعديلات على التَعْلِيم العامِّ، وإليك ما قرَّرُوه: ستكون البكالوريا المِصْرِيَّة أسهل ولكنّ حَمَلَةَ شهادتها سيشغلون وَظَائِف بجنيه وحتى عشرة جنيهات شهريًّا، وطُلاَّب المدارس الخاصَّة والعُلُوم لن يدرسوا إلاَّ باللُّغَة الإنْجليزيَّة، وهَذَا ما يُقلق كَثيرا"[13]، وهَذَا ما يشير إِلَى أن حُرَّاسًا من النخبة المثقَّفة الفَرَنسيَّة ومن المَسْئُولين الحُكُوميِّين كانوا يتابعون تنافس الثَّقَافتَين على أرض مِصْر ويقلقهم تراجع لغتهم وتقدُّم الإنْجليزيَّة على حسابها.

وَمِنْ ثَمَّ نجد جاستون ماسبيرو رجل الثَّقَافَة الفَرَنسيَّة على أرض مِصْر يبعث بخطاب إلى وَزِيرِ التَعْلِيمِ العامِّ الفَرَنْسِىّ يشرح لَهُ الموقف[14]:

---

(12) David, 1999, p. 246 (n.1).

(13) خطاب بتاريخ 6 مايو 1908، راجع: Ibid, P. 245.

(14) Ibid, P 245.

"أعرف مصْر جيِّدًا منذ ثلاثين عامًا، ورأيت الفَرَنسيَّة تَهْزِمُ الإيطَاليَّة فِي الإسْكَنْدَرِيَّة والْقَاهِرَة، وتكسب الجولة فِي صعيد مِصْر، وفيما سبق لم تكُن الفَرَنسيَّة معروفة خارج الأقصر، وتسير حركة المد بسرعة أكبر كل يوم، وهَذَا العامَ وعلى الطريقة الفَرَنسيَّة تنشأ الجَامِعَة المِصْرِيَّة الجَدِيدَة، فإِلَى متى يبقى هَذَا الدعم ليزداد المدُّ الفَرَنْسِيّ الثَّقَافِيُّ؟

ونلمح فِي حديث ماسبيرو عن الجَامِعَة المِصْرِيَّة يقظته وفاعليَّته كعضو مَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة، فهو يقول: "نشأت هذه الجَامِعَة علمانيَّةً". ثم نراه يرسل إلى صديقه شلومبرجر[15]: "ولن أشتكي كَثِيرًا، فلو كَانَت هذه سخرة فهي سخرة محبَّبة. لقد وضعنا لوائح الجَامِعَة (المِصْرِيَّة) وبَقِيَ أمامنا تنظيم العمليَّة التَعْلِيميَّة، وأول شيء هو تكوين أَسَاتِذَة وَطَنِيّين مزوَّدين بالوسائل الأُورُبّية، وسوف يرسلون إِلَى فَرَنْسَا وإِنْجِلْتِرَا وألمانيا فتيانًا يتابعون المُحَاضَرَات الجَامعيَّة ويحصلون على الشهادات، وحتى يتمَّ هَذَا ولكي يشاهد الجمهور شيئًا ملموسًا مِمَّا قمنا بِهِ فسوف يقومون بانتداب أَسَاتِذَةٍ من أُورُبَّا أو علماء، ثلاثة أو أربعة فِي السَّنَة، وسوف يُلقِي هَؤُلاَءِ مُحَاضَرَاتٍ عامَّة فِي مواضيع متنوِّعة، هَذَا العام حول الآدَاب الإِنْجليزِيَّة والفَرَنسيَّة أو تَارِيخ الفنّ، والعام القادم حول تَارِيخ الطِّبّ أو العُلُوم والفَلْسَفَة، وهكذا تباعا حَتَّى يتمَّ تكوين واستكمال هيئة التَّدْرِيس".

ذكر الخديوي عباس حلمي الثَّانِي فِي مذكِّراته حديثًا لَهُ دلالته عن الصِّرَاع الفَرَنْسِيّ الإِنْجِلِيزِيّ بين ردهات وفي قاعات كلِّـيَّة الحُقُوق، جاء فِيهِ[16]:

---

(15) خطاب ماسبيرو بتاريخ 22 أكتوبر 1908، راجع: Ibid, p. 246 (n.2).

(16) عباس حلمي- 2006- ص 144- 147.

"كَوَّنَ المسيو تستو Testout المدير الشهير لَمَدْرَسَة الحُقُوق فِى الْقَاهِرَة جيلاً كاملاً من المحامين، تَمَيَّزَ من بينهم رجال قَانُون لهم سمعتهم وأصبحت موسوعات دالوز Daloz وسيرى Sirey الفَرَنسِيَّة، تجاور فِى المكتبات مُؤَلَّفَات مونتسكيو Montesquieu وروسو Roussou وديدرو Diderot ولمبير Lambert وفولتير Voltaire وكندورسيه Condorcet...".

"وفى هذه الفترة وطبقًا للاتفاقيات بين فَرَنْسَا وإِنْجِلْتِرَا، بدأت إِنْجِلْتِرَا فِى إبعاد الموظَّفين الفَرَنْسِيِّينَ من الإدارة، ولكنها وجدت أن الفَرَنْسِيِّينَ لا يتنازلون عن مناصبهم بسهولة، ولم يكُن لبرِيطَانْيَا العظمى الحقُّ فِى أن تعيِّن غيرهم فِى أماكنهم إلاَّ فِى سنِّ تقاعدهم، أو وفاتهم، ولكنها تمكنت بمناورات ذَكِيَّة من أن تتخلص من أكبر المعاندين بتعويضهم عن فقدان مراكزهم بمميِّزات ماليَّة مغرية".

"ورغم هذه الاحتياطات، فإن أحداثًا كَثيرة جاءت لكى تثبت للدولة المحتلّة أنه حَتَّى فيما بين العلماء كَانَت توجد نفوس محاربة يمكنها أن تواجه الدولة المتسلطة، ففى حين أن المسيو جرانمولان Grandmoulin والذى كان معروفًا بميوله صوب إِنْجِلْتِرَا اضطُرَّ إِلَى ترك إِدَارَة مَدْرَسَة الحُقُوق، بعد احتجاجات طُلاَّبه ووقوع حادث مؤسف، فإن خليفته المسيو لامبير Lambert لم يبقَ إلاَّ بضعة أشهر، ورفض أن يخضع للإِنْجليز، وكان ذهابه مدعاة لاستخدام القوة ووضعوا إِنْجِلِيزِيًّا فِى مكانه".

"ولكن المسيو لامبير كان قَد سافر ومعه مشاعر طُلاَّبه، واستمرَّ فِى كلِّـيَّة ليون يعطى للمِصْرِيِّينَ مظاهر تقديره العاطفى ومحاسن دروسه المميزة".

"ولقد عرض المسيو إِدوارد لامبير الوضع الفعلىّ الذى فرضه الإِنْجليز، كَمَا عرض سِيَاسَة كرومر بالنسبة إلى التَعْلِيم فِى مِصْر، و"بجلزة" التَعْلِيم فِى مِصْر، فِى خطابٍ شرحٍ وافٍ".

"وأخيرًا، فإن المَدْرَسَة الفَرَنسيَّة للحُقُوق فتحت أبوابها واسعةً لأولئك الَّذينَ لم يرغبوا فِي دخول المدارس الحُكُوميَّة، التِي كَانَت قَد سارت، منذ وقت طويل، على إعطاء تَعْلِيم يُنظر إليه أسوأ النظرات، لدرجة أن الأَسَاتذَة الإنْجليز الَّذينَ كانوا مَسئُولِين فيها لم تكُن لهم شهادات كافية، وكَانَت حصيلتهم القَانُونيَّة هزيلة للغاية، ولقد رأينا أَسَاتذَة من الإنْجليز فِي المَدْرَسَة المِصْريَّة للحُقُوق يذهبون لأداء امتحانات الليسانس فِي بَارِيس وفى إِكس أو فِي ليون لتحسين دراستهم، أَمَّا أصحاب الكراسى منهم فكنا نرى فيهم أشخاصًا حديثى العهد، ولا يخرجون فِي مُحَاضَرَاتهم عن الكُتُب المقرَّرة".

وبعد شهادة الخديوى عباس حلمى الثَّانِي على هَذَا الصِّرَاع بين فَرَنْسَا وإنْجلْترَا على أرض كلِّـيَّة الحُقُوق، أنقل الآن شهادة ناظر مَدْرَسَة الحُقُوق الفَرَنْسِيّ المسيو إدوارد لامبير، وكان حديثُه عبارة عن خطاب أرسله إلى جريدة الطان الفَرَنسيَّة، قال فِيه[17]:

"لقد تحاشيت حَتَّى الآن إعطاء أى تبرير للمناقشات التِي أثارها أمر استقلالى، إذا أنَّنِي لم أكُن قَد تحررت بعدُ بالكامل من ارتباطات الموظَّف المِصْرِيّ. ولقد حصلت على حُرِّيَّتِي فِي الحديث، وأنا سعيد لكى أفيد من ذلك حَتَّى أتمكن من أن أشرح الأسباب التِي اضطرَّتنى إِلَى ترك مَدْرَسَة الحُقُوق الخديويَّة.

تركت هذه الوَظِيفَة والأسف يكاد يمزِّق فؤادى، لأن البقاء فيها لم يعُد فِي وسع رجل مثلى، جعل حياته وقفًا على العلم، ولأنى لم أكُن بقادر على حفظ هَذَا

(17) عباس حلمى- 2006- ص 301- 304.

المنصب ذى الراتب الضخم ما لم أرضَ بأن أكون آلة صمَّاء لسياسة غير قويمة ومكدِّرة لصفاء العلاقات بين المِصْرِيِّينَ والأُورُبِّيين.

إن الموظَّف الإِنْجليزىّ القابض فعلاً على الإدارة الحقيقيَّة لنظارة المَعَارِف هو المِسْتَر دوجلاس دنلوب، الذى كان قبل قدومى إِلَى مِصْر بعام قَد حارب ناظر مَدْرَسَة الحُقُوق السابق (المسيو جرانمولان) بثبات نادر، فغلبه على أمره، وسلب منه سلطته، ثم اغتنم تلك الفرصة التى آلت فيها هذه السلطة إِلَى العدم، فأخذ يثير مشاعر الطَّلَبَة بإصداره لهم أوامر متناهية فِى القسوة والغلظة، ولا مسوِّغ لَهَا، حَتَّى جرَّهم إِلَى الإضراب، ثم اتخذ إضرابهم ذريعةً للتشفِّى من سَلَفِى الذى كان حاقدًا عليه.

ولم يكُن حظِّى من المعاملة بأسعد من حظّ هَذَا السلف، إذا كَثِيرًا ما وضعنى المستشار الإِنْجليزى بسوء تصرُّفاته -ولا أدرى إن كَانَت مقصودة منه أو غير مقصودة- فِى مواقف حرجة عجزتُ عن الخروج منها، وعن توقِّى نتائجها، إذ كنت مقيَّدًا كل التقييد بلوائح تنزع من يدى كل سلطان، حَتَّى فِى المسائل الفنِّـيَّة الصرفة، والتى أُدخِلَت أيضا فِى اختصاص أقلام الوزارة.

حارب المِسْتَر دانلوب تقدُّم التَعْلِيم الفَرَنْسِىّ فِى مَدْرَسَة الحُقُوق بلا تبصُّر، على حين أن تَعْلِيم الحُقُوق فِى هذه المَدْرَسَة لا يزال -ويجب أن يبقى- تَعْلِيمًا فَرَنْسِيًّا، ما دامت قوانين البلاد لم تتغير تغييرًا كُلِّيًّا، لأنها عبارة عن ملخَّص لقوانيننا، ولأنه لا توجَد لَهَا شروح ومُؤَلَّفَات بالعَرَبِيَّة إلاّ فِى النادر، وقد مثّل المِسْتَر دانلوب رواية مضحكة للتَعْلِيم العالى فِى مَدْرَسَة الحُقُوق، فوقف تعيين ما يحتاج إليه القسم الفَرَنْسِىّ من الموظَّفين تتميمًا لِمَا ينقص من عددهم المحدَّد قَانُونا،

وحجته فِى ذلك أن مصير هَذَا القسم إِلَى الزوال فِى القريب العاجل، واكتسح من القسم الأكبر -وهو الذى تُدَرَّس فِيه الحُقُوق الفَرَنسيَّة باللُّغَة الإِنْجليزيَّة- الأَسَاتذَة الأَكْفَاء الَّذِينَ قاموا بأمره فِى بداية تأسيسه، وهم من القضاة الَّذِينَ أفادهم إقامتهم الطويلة فِى الدِّيَار المِصْرِيَّة خبرةً بأسرار قوانيننا، واستبدل بهم شُبَّانًا من الإِنْجلِيز يعيَّنون بمُجَرَّد تخرجهم فِى الكلِّــيَّة الإِنْجليزِيَّة، فيقدمون إِلَى مِصْر وهم يجهلون القوانين المِصْرِيَّة، بل إِن فريقًا من هَؤُلاَءِ المعلِّمين لم يبلغ إِلَى الآن فِى معرفته لُغَتَنا حدًّا يستطيع معه ترجمة المُؤَلَّفَات الفَرَنسِيَّة التى يُستعان بِهَا على التَّدْرِيس ترجمة سليمة.

ولقد رأيت تحطُّم الواحد بعد الآخر من مجهوداتى من أجل تحسين الثَّقَافَة المهنية لِهَؤُلاَءِ الناس، سواء بتخصُّصهم لتدريس فرع واحد، أو تقليل عدد الدروس التى يقومون بتدريسها، ويكلَّفون بِهَا، حَتَّى لا يصعب عليهم تحضيرها، أو توسيع مجال المنافسة بينهم بترقية النابهين منهم، أو بمنع الأسباب التى تدفع المعلِّمين الإِنْجلِيز إِلَى ترك المَدْرَسَة بمُجَرَّد استفادهم شيئًا من المبادئ القَانُونِيَّة يتمكنون بِهِ من الدخول قسرًا فِى المحاكم الأَهْلِيَّة، بذلتُ كل سعى فِى هَذَا السبيل، وذهبَتْ كلُّ مساعِيَّ بلا جدوى بسبب عناد المستر دنلوب وتعنُّته.

كان تدهوُر التَعْليم يتطلب الكَثِير من التبصُّر والحِكْمَة ومعاملة الطَّلَبَة بالحُسْنَى، خشية أن تؤدِّى حالتهم السيئة وانحطاط التعليم إِلَى هياج الطُّلاَّب، خصوصًا وأن فِى مِصْر الآن حركةً فِكْرِيَّةً ترمى إِلَى طلب العُلُوم والمعرفة. ولكن المستر دنلوب وضع لِهَؤُلاَءِ الطَّلَبَة، الَّذِينَ بلغوا مبلغ الرجال، نُظُمًا لا تليق إلاَّ بصغار تَلاَمِيذ المدارس الابْتِدَائِيَّة، وأخذ يعاملهم بقسوة متناهية، ويستعمل معهم

سِيَاسَة وخز الإِبَر، سِيَاسَة اضطهاد دنِىء، فكَانَت نتيجة ذلك أن انضمَّت فئة متعلمة راقية إِلَى الحزب المعارض للإِنْجليز وأن يسود على أفئدة الشبيبة الحقد والبغض للإِدارة الإِنْجليزِيَّة، وأن تتحول مَدْرَسَة الحُقُوق إِلَى معقل للوطنيَّة المِصْرِيَّة، بحيث لا تكاد تَرَى بين الطلاب الأربعمائة الموجودين فيها الآن عشرة لا يؤمنون كل الإيمان بمبادئ مصطفى كامل باشا.

حاولت مِرارًا أن ألفت نظر المستشار الإِنْجليزِىّ إِلَى الأخطار التى تنشأ عن اتِّباع خُطَّته فِى نِظَام التَعْلِيم، فلم أَنَل منه شيئًا سوى بعض تجاوُز وقتىٍّ عن بعض مسائل، ولكنه لم يُخْلِصْ مطلَقًا فِى التنازل نِهَائيًّا عن خُطَّةٍ كلُّها إِيلامٌ وإِرغامٌ، ولذلك فقد كنت أتوقع دائما من وراء عمل المستر دنلوب واستفزازه للخواطر من هَذَا النوع أن تعصف فِى مدرستى عواصف جَدِيدَة أشدُّ خطرًا من العاصفة التى عصفت بِهَا فِى عام 1906، وكَانَت تُلْقَى علىَّ مسئولية ذلك أمام الرأى العامِّ المِصْرِىّ.

وانتهى المستر دنلوب أخيرا بالتعرُّض لكرامتى تعرُّضًا مؤلِمًا، ذلك أنه أراد أن يجعلنى رغمًا عنى شريكًا فِى الدسائس التى يدبِّرها ضدّ وزير وطنىٍّ هو سعد زغلول باشا، ذلك الذى اختارته الوكالة الإِنْجليزِيَّة، بفعل تأثير الرأى العامِّ عليها، والذى لم يشَأْ أن يكون آلة لا إِرادة لَهَا، ولكى ينزع من هَذَا الوزير كل سلطة ويغلبه على كل أمر، أكرَهَ رؤساء الموظَّفين فِى الوزارة على أن يتألبوا حزبًا واحدًا لعرقلة كل عمل لرَئِيسهم الرسمىِّ، ولم يكُن حظِّى من هَذَا الإِكراه أقلَّ من حظِّ زملائى، فكنت أتلقَّى أوامره قبل تحرير تقاريرى الرَسْمِيَّة، ثم كان يجبرنى على تقديمها لَهُ قبل إِرسالها إلى الوزير، لينقح فيها ما يشاء، بل لقد حدث لى أحيانًا أنى،

بعد أن حررت أوراقى، وبعد أن خرجت من مكتبى وسجّلت فِى الوزارة، عدت فغيّرت ونقّحت منها ما شاء المستشار، كل ذلك مِمَّا لا طاقة لى على احتماله. و لم يكتف المِسْتَر دنلوب بذلك، بل كان يريد منى أنى ما دمت راغبًا فِى البقاء طويلاً بجانبه، فيجب أن أتدنَّى إِلَى حدِّ التضحية بضميرى وتعريض نفسى فِى كل حين للظهور بمظهر الخائن الأثيم أمام الوزير سعد زغلول باشا، وفى حقّه.

ونتج عن كل هذه الأسباب التى شرحتها أن علاقاتى مَعَ المِسْتَر دنلوب كَانَت دائما ينقصها الودُّ. ثم أنَّها توترت فجأة على أثر خلاف حدث بسبب تعيين بعض المُدَرِّسِينَ.

فقد ترك ثلاثة من المُدَرِّسِينَ وَظَائِفهم، ووُضعت لائحة جَدِيدَة للتعيين بِهَا عدد الحصص، فاضطُررتُ أمام هذه الحالة إِلَى أن أطلب للسنة الدِّرَاسِيَّة 1907–1908 تعيين مُدَرِّسَينَ اثنين على الأقلِّ، وبعد أن وعدنى المستر دنلوب وعدًا صريحًا بإجابة طلبى، عاد فنكث بوعده قائلاً إِن الظروف السِيَاسِيَّة لا تسمح باستخدام مُدَرِّسِينَ أُورُبّيين زيادة على الموجودين. ثم هو لا يقبل بحال من الأحوال استخدام الوَطَنِيّين للتَّدْرِيس فِى مَدْرَسَة الحُقُوق، ولكنى لم أذعن لهذه النتيجة، وتمكنت بفضل مساعدة أحد كبار الموظّفين الإِنْجليز من حمل المستر دنلوب على تعيين مُدَرِّسَينَ من أصل مِصْرِىّ فِى مَدْرَسَة الحُقُوق، ولكن بعد أن اضطُررت إِلَى أن أتساهل معه فِى مسائل كَثِيرة، أخَصُّها تعهُّدى لَهُ بإساءة الشهادة فِى كل مِصْرِىّ يُنتظر أن يتقدم للتَّدْرِيس بمَدْرَسَة الحُقُوق، إجابة للدعوة التى أعلنها وزير المَعَارِف فِى الجريدة الرَسْمِيَّة، وشدَّد المستر دنلوب حملته علىَّ كَمَا شدَّدها على سلفى، وبعد أن استنفدت كل وسائل الدفاع، وأيقينت أنّى قَد أصبحت عاجزًا عن حماية

موظّفى مَدْرَسَة الحُقُوق وتَلاَميذها من مظالم المستر دنلوب، اضطُررت إِلَى السفر إِلَى بلادى، ثم حدثت بعد ذلك كل حادثة يستنكرها الذوق السليم وقد أبلغها إِلَى الجرائد بصورة لو احتملتها لضيَّعت كل كرامة لى عند زملائى وتَلاَميذى، ولذلك فإِنى قَد أصررت على تنفيذ رغبتى فِى الاستقالة، وتقديمها فعلاً، فقَبلت بمنتهى الارتياح، وفى الْيَوْم التالى عَيَّن بدلا منى مدرِّسًا إِنْجليزيًّا، لا أجد جملة تَصْدُقُ عليه خيرًا من هذه الجملة التى نُسبت بحقٍّ، أو دون حقٍّ، إِلَى السير الدون جورست، وهى:

"إِن المستر هِلْ Hill جاهل، وإنه خير لنا أن يكون كَذَلِكَ، ليكون أسهل قيادًا".

وعتب لى نفر من أبناء وطنى فِى الْقَاهِرَة، وأخذوا علىّ تضحية مصالح فَرَنْسَا المُهِمَّة فِى سبيل عواطفى الذاتية، وقالوا إِنى قَد تركت وَظِيفَة من أسمى وَظَائِف التَعْلِيم فِى مِصْر كَانَت إلى الآن محفوظة للفَرَنْسِيِّينَ رغبةً فِى الخلاص من مهمَّة لم ترُقْ لى. ولست أرى رأيهم هَذَا فِى تقدير المصالح الفَرَنسيَّة، فإنه كَمَا كان من اللازم لنشر نفوذ أُمَّتِنا فِى الشَّرْق أن يتولى مَدْرَسَة الحُقُوق الخِدِيوِيَّة رجال أمثال فيدال Vidal باشا، وتستو Testoud، فِى وقت كَانَت أيديهم فِيه مُطْلَقة حرة، يعملون ما يشاءون لنشر علومنا القضائيَّة، كَذَلِكَ لا يليق بشرف فَرَنْسَا، ولا يوافق تأييد نفوذها فِى مِصْر، أن يرضى علماؤها بأن يقتل المِسْتَر دنلوب روح الأخلاق، ويهدم صروح العلم تحت ظلالهم.

ومن جانب آخر علينا أن لا نُخفِى أنه ليست لدينا أية فرصة للاحتفاظ بتمثيل، جزئىٍّ، فِى إطار التَعْلِيم المِصْرِىّ الرسمىِّ، فمنذ بضع سنوات، كان فِى وسعنا أن ندافع عن أنفسنا بطريقة نافعة، أَمَّا الْيَوْم، فإِن الوقت قَد فات. لقد ثبتت

هزيمتنا، وآخر تتويج لذلك قد أعطاه المستّر دنلوب بذلك العمل المعادى لفَرَنْسَا، وذلك بواسطة القرار الخديوىّ الأخير والخاصّ بالإلغاء النهائىّ للسنة الأُولَى من التَعْليم الرَئيسىّ للفَرَنسيَّة فِى آخر مَدْرَسَة ثَانَوِيَّة فِى الْقَاهِرَة، حيث كان لا يزال موجودًا فيها، وهى مَدْرَسَة التوفيقيَّة، وبالتالى، فإنه سوف يتمّ، فِى خلال أربع سنوات، اختفاء الفَرَنسيَّة كلغة للتَعْليم من مدارس الحُكُومَة، وتصفية القسم الفَرَنْسِىّ من مَدْرَسَة الحُقُوق الخِدِيوِيَّة والتى سوف تبدأ بعد ذلك.

وبعد هَذَا لا يمكننا أن نحافظ على نفوذنا الثَّقَافِىّ إلاَّ باستغلال أخطاء السِّيَاسَة المَدْرَسِيَّة الإِنْجليزِيَّة، من أجل تنمية مؤسساتنا الحرة. ونحن نمتلك فِى الْقَاهِرَة مَدْرَسَة فَرَنسِيَّة للحُقُوق، ولكى نحوِّل إليها الغالبية العظمى من الدارسين الحالِّين للمَدْرَسَة الخَدِيوِيَّة، يكفى أن نوفِّق برامجنا مَعَ برامج الاحتياجات الخاصَّة للبلاد، وأن نستخدم كفاءات الوَطَنِيِّين، وبخاصة كفاءات العلماء المتخصصين فِى الشريعة الإِسْلاَمِيَّة، وأن نرسل إليها لجان امتحان تشبه تلك التى تعمل قرب مَدْرَسَة الطِّبّ التابعة لنا فِى بيروت، وأن ننظِّم فيها مقررات تمهيديَّة فِى اللُّغَة الفَرَنسيَّة، وإنه لَمِنْ غير المتوقَّع أن نتمكن من أن نجد فرصة مواتية لإِعادة بناء فعلىّ لاحتكار تَعْلِيم الحُقُوق، والذى انتُزع منا فِى عام 1899.

إدوارد لامبير
أُسْتَاذ بكلِّـيَّة حُقُوق
جَامعَة ليون
والمدير السابق لَمدْرَسَة الحُقُوق
الخديوِيَّة بالْقَاهِرَة"

تعمَّدت إِيراد خطابه كاملا لأنه وثيقة تَارِيخية مهمَّة تعكس هَذَا الصِّرَاع الأنجلو فرانكفونى والذى سوف نُلقِى عليه مزيدًا من الضوء فِى موضع لاحق.

أَمَّا النفوذ الثَّقَافِىّ الأَلْمَانِىّ فلم يكُن مؤثِّرًا، فقد انحصر فِى الاهتمام بدار الكُتُب القَوْمِيَّة، كَمَا أن عدد المِصْرِيِّينَ الَّذِينَ يعرفون الأَلْمَانِيَّة قَلِيل، ولم يكُن بالجَامِعَة فى ما بين عامَى 1910 و1920 سوى أُسْتَاذ للُّغَات الساميَّة الأَلْمَانِىّ أينو ليتمان.

الفصل السادس

أَنْشِطَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ لِلأَسَاتِذَةِ الأَجَانِبِ

مُحَاضَرَات خارج الجَامِعَة:

كان للأَسَاتِذَة الأجَانِب الّذِينَ يحضرون للتَّدْرِيس داخل قاعات الجَامِعَة المِصْرِيَّة أنشطتهم العِلْمِيَّة أيضًا خارج أسوار الجَامِعَة، ومن ذلك إلقاء سلاسل من المُحَاضَرَات فِى الجَمْعِيَّة الجغرافيَّة المَلَكِيَّة.

ومن ذلك الجدول الذى أُعلن فِى أرجاء الجَامِعَة المِصْرِيَّة ينوِّه عن المُحَاضَرَات العَامَّة التى سوف يُلقيها الأُسْتَاذ الدُّكْتُور أندريه لالاند عضو المجمع العلمىّ الفَرَنْسِىّ والأُسْتَاذ بالسوربون وأُسْتَاذ الفَلْسَفَة بكلِّيَّة الآدَاب، بقاعة مُحَاضَرَات الجَمْعِيَّة الجغرافيَّة الملكيَّة فِى السادسة مساءً تمامًا من مساء الأيَّام المبيَّنة بعد:

٢ ديسمبر: اليوتوبيا- ما هى؟ جمهورية أفلاطون- يوتوبيا توماس مور.

٩ ديسمبر: اليوتوبيا العِلْمِيَّة فِى مبدأ القرن السابع عشر- مدينة الشمس- قصَّة الأتلانتيد.

١٦ ديسمبر: تَارِيخ السفارامب واليوتوبيين (الخياليِّين) العقليِّين فِى نهاية حكم لويس الرابع عشر.

٢٥ ديسمبر: الاشتراكية اليوتوبيكيَّة واليوتوبيُّون الوضعيُّون.

٣٠ ديسمبر: الإيكرونى ورنوفييه.

٧ يناير: الجنس اليوتوبى- عِلَل يوتوبيته المستمرة ونفسيته المبهمة- اليوتوبيا والتقدُّم.

وهناك لون آخر من المعرفة تُفْسَح لَهُ قاعة هذه الجَمْعيَّة العريقة، وهو ما قام بِهِ الأُسْتَاذ الفَرَنْسِيّ الكَبِير جان ماري كاريه .Carre .J.M أُسْتَاذ آداب اللُّغَة الفَرَنسيَّة بكلِّـيَّة الآدَاب، من إلقاء مُحَاضَرَات عامَّة فِي السادسة مساءً كل يوم أربعاء ابتداءً من ٢٧ نوفمبر، موضوع المُحَاضَرَات (الشعراء الفَرَنْسيُّونَ منذ بودلير)، فيبدأ الكلام عن بودلير الشاعر الفَرَنْسِيّ المشهور، ويتكلم أيضًا عن الشاعر الفَرَنْسِيّ المعروف جان آرثر رامبو وحياته الأَدَبِيَّة فِي بَارِيس، وينتهي الأُسْتَاذ من مُحَاضَرَاته بالكلام عن المقاهي الأَدَبِيَّة فِي الحيِّ اللاتينيِّ ببَارِيس.

ويُسْهِم أُسْتَاذ فَرَنْسِيّ كَبِير آخر هو العَمِيد بول جراندور أُسْتَاذ التَّارِيخ القَدِيم بكلِّـيَّة الآدَاب بِمُحَاضَرَاته في نفس القاعة فِي مساء كل يوم ثلاثاء الساعة السادسة ابتداءً من يوم ٢٦ نوفمبر سَنَة ١٩٢٩، وموضوع مُحَاضَرَات الأُسْتَاذ جراندور (قيصر فِي الإسكندرية)[1].

ومن ذلك النشاط القيِّم تلك المحاضرة المُهِمَّة التي ألقاها الأُسْتَاذ النِّمْسَاوِيّ شاده بنفس القاعة وعنوانها (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا)[2].

مؤتمرات بالخارج:

كان الأَسَاتِذَة الأَجَانِب يشاركون باسم الجَامِعَة المِصْرِيَّة فِي المؤتمرات الدولية، ومن ذلك ما قام بِهِ أرنولد هنري A. Henry أُسْتَاذ الجراحة الإكلينيكية، عندما شارك فِي شهر مايو سَنَة ١٩٢٩ فِي مؤتمر عن المستشفيات، انعقد بمدينة

(1) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة- جمادى الثانية ١٣٤٨/ نوفمبر ١٩٢٩- ص١٤٣- ١٤٤.

(2) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة- ذو الحجة ١٣٤٩/ مايو ١٩٣١- ص٣- ١٦.

أتلانتك بالولايات المتحدة، وكان معه ممثلون للحُكُومَة المِصْرِيَّة، هم على بك فريد مفتِّش مبانى الوجه القبلى والمستر بودن رَئِيس قسم التصميمات بمصلحة المبانى الأميرية والدُّكْتُور فهمى بك الرشيدى المدير بمصلحة الصِّحَّة.

ويذكر د.هنرى أن الغرض من المؤتمر الدَّوْلِيّ للمستشفيات بحث ودِرَاسَة كل ما يتعلق بالمستشفيات، خصوصًا وأنه انعقد عند إِنْشَاء جَمْعِيَّة المستشفيات الأمريكية، وحضره ممثِّلو أكثر من ثلاثين دولة، وهَذَا المؤتمر حديث، وشارك فِى المؤتمر بجانب الأَطِبَّاء إِخْصائيُّون فِى فنّ التمريض، وخبراء فِى الطعام، ورجال الاجتماع، وفنِّيُّون مختلفون، خصوصًا المُهَنْدِسون الصِّحِّيُّون من جميع أنحاء العالم، ويقوم بتلك الدِّرَاسَة على أكمل وجه جَمْعِيَّة المستشفيات الأمريكية للولايات المتحدة، ومع ذلك فكان هدفهم أن يعمِّموا هذه الفكرة الإِنسانية فِى العالم بانعقاد هَذَا المؤتمر الدَّوْلِيّ.

وذكر د.هنرى أن المؤتمر كان ناجحًا، وذلك لأنه كان يجمع بين ممثِّلى ثلاثين دولة، فكان اجتماعهم ذلك مدعاة إلى أن يعطيهم الفرصة لأبحاث ومناقشات رَسْمِيَّة فِى قضايا المستشفيات. ثم كَانَت هناك مباحثات مهمَّة غير رَسْمِيَّة بين الأعضاء خارج مكان الاجتماع الرسميّ، وبذلك كان من الممكن إِخراج مستشفى بواسطة هيئة مكوَّنة من مُهَنْدِس معمارى أمريكانى وإِدَارِيّ نمساوى وخبير فِى الطعام مجرى وطبيب هولنديّ، وغير هَؤُلاَءِ ممَّن يماثلهم، فكان نجاح المؤتمر باهرًا. وذكر د.هنرى أن أهمَّ الأشياء كَانَ هو السياحة التى أعقبت المؤتمر، فقد مكَّنت هذه السياحة الأعضاء من زيارة أهمِّ المستشفيات بالولايات الشَرْقيَّة، وقاموا بزيارة مدينة مونتريال بكندا وعاصمة البلاد واشنطن، وقد هيَّأت

هذه السياحة بظروفها الطَبيعيَّة والسرور الذى شمل الأعضاء خلالها جوًّا من حُسن التفاهم كَبيرًا[3].

الإِشراف العلمىّ على طَلَبَة الطِّبّ فِى الخرطوم:

كان أَسَاتِذَة كلِّــيَّة الطِّبّ الأجَانِب يقومون بجانب مهامِّهم العِلْمِيَّة بالجَامِعَة المِصْرِيَّة بالإِشراف على طُلاَّب الطِّبّ بالخرطوم وعقد امتحانات لهم فِى نهاية العام.

وهَذَا ما حدث مَعَ د.درى Derry أُسْتَاذ التشريح الكَبِير، وهو رجل حاضر البديهة كَمَا يذكر مَن عاصروه، وحلو الكلام وسريع النكتة ودائم الابتسام، واعتبروه أخفَّ دم بين الإِنْجلِيز.



سافر د.درى إِلَى الخرطوم فِى ديسمبر سَنَة ١٩٢٩ لامتحان طَلَبَة الطِّبّ هناك بناء على دعوة وصلت إِليه، وكان معه الدُّكْتُور ريمنيت Riment أُسْتَاذ الفسيولوجى. ويقول د.درى عن هذه المُهِمَّة: "فِى شهر ديسمبر الماضى طُلب إِلَىَّ أن أسافر إِلَى السودان لأمتحن طَلَبَة مَدْرَسَة كتشنر الطِّـبِّـيَّة فِى مَادَّة التشريح. ودِرَاسَة الفسيولوجى والتشريح هناك لا تستغرق سوى عام واحد فقط، وذلك لأن مُدَّة الدِّرَاسَة كلها أربعة أعوام لا غير. وعلى ذلك كان من الإِجحاف أن أطلب إِلَى هَؤُلاَءِ الطَّلَبَة أن يُبْدُوا جميع المعلومات التى يُنتظر إبداؤها من طَلَبَة كُلِّيَّتِنَا المِصْرِيَّة الَّذِينَ يقضون فِى هذه الدِّرَاسَة عامين، ولكن مَعَ ذلك لا

---

(3) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة- جمادى الثانية ١٣٤٨/ نوفمبر ١٩٢٩- ص٧٧-٧٩.

أستطيع أن أصف لك مقدار دهشتي عندما رأيت الغالبية منهم وقد أدَّت واجبها أحسن الأداء! فمعرفتهم للأجزاء المشرَّحة كَانَت حسنة جِدًّا، وأجوبتهم عن الأسئلة التي أُلقيَت عليهم كَانَت مُرْضِيَة بوجه عامٍّ على عكس ما كنت أنتظره منهم بالمرة، ولا ريب أن الفضل فِي كل ذلك يرجع إِلَى نتيجة اهتمام أُسْتَاذهم الشخصي، وإلى صرفه جميع أوقاته فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة، سواء أكان ذلك فِي إلقاء المُحَاضَرَات أو فِي الدروس العِلْمِيَّة. على أن الشيء الذي أظهر فِيهِ الطَّلَبَة أقلَّ المعلومات إنما كان التشريح التطبيقيّ، وقد كَانَت هذه الظاهرة أكثر وضوحًا فِي طَلَبَة السَّنَة الثَّالِثَة الَّذِينَ امتحنتُهم أيضًا، وهي ظاهرة خطِرة أشدَّ الخطَر، فالتشريح والفسيولوجيا هما الأساس القويُّ الذي يقوم بِهِ الطِّبُّ والجراحة فِي العالَم العلميّ، وفي التشريح على الخصوص إذا كان الطَّالِب عند قيامه بتشخيص الأمراض ودراستها عاجزًا عن تطبيق ما حفظه فِي المشرحة على الجسم الحيِّ، فهو بلا شكٍّ قَد أضاع وقته هباءً. وهنا فِي مِصْر يوجد خطر مشابهٌ هو خطر الاهتمام بحفظ الألفاظ دون تفهُّمِ حقيقتها على الجُثَّة، وكَثِيرًا ما تصادفني أمثلة من هَذَا النوع فِي الامتحانات، يكتب أكثر من طالب إجابتَه التحريريَّة بتفوُّق ومهارة، ولكني أدهش عندما أجده لا يستطيع معرفة هذه الأشياء التي كتبها عند عرضها عليه فِي المشرحة...".

"وعلى ذلك فنصيحتي الذهبية التي أسوقها إِلَى كل طالب هي أن يستوعب الجُثَّة لا الكتاب، وإِنِّي لأذكر الآن كلمة فِي هَذَا الصدد للأُسْتَاذ وينتول بجَامعَة ماكجيل بمونتريال، فهو يقول: [قَد أتسامح مَعَ الطَّالِب الذي يجيبني ببساطة قائلًا: (لا يا سيدي، فأنا لا أستطيع أن أصف لك بالضبط أين هي الزائدة الدوديَّة،

ولكنى أستطيع أن أُرِيَها لك فِى الجُثّة). قَد أقبل من هَذَا الطّالب مثل هَذَا القول، ولكنى لا أقبل ولا أتسامح بأىٍّ حال من الأحوال مَعَ ذلك الطّالب الذى إذا سألته عن شىء فِى جزء مشرَّح أمامه نظر إِلَى سقف الغرفة كأن الشىءَ هناك فِى السقف لا أمامه]"(4).

توماس أرنولد يلقى مُحَاضَرَات بالجَامِعَة المِصْرِيَّة:



ألقى مُحَاضَرَات على طَلَبَة كلِّيَّة الآدَاب عام ١٩٣٠ وكان موضوع حفاوة كَبِيرَة وكتب عنه عبد الوهاب عزَّام يقول: "لا يكترث السير توماس أرنولد بشىء فِى الدنيا إِلاَّ بعلمه ودرسه. وقد أقام بالهند ستَّة عَشَرَ عامًا يدرس الفَلْسَفَة الإِسْلاَمِيَّة فِى جَامِعَة عليكرة، وهو صاحب كتاب "الدعوة الإِسْلاَمِيَّة" "Preaching of Islam"، وهو فريد فِى بابه، يدلُّ على علمه الغزير، وهو صاحب كتاب "الخلافة". وأقدِّم بعض آداب الأُسْتَاذ الجليل: كان بشوشًا متواضعًا، وما كان يستحى من الاستزادة من العلم، وإذا سألته السؤال قال: "لا أعرف" بلا تردد ولا استكبار. زرته مرة فِى بيته وقدَّم لى القهوة فِى إناء مِصْرِىٍّ، وأظهر سرورًا به، وقد جلست مرة على مائدته فبدأ الأكل قائلًا: "بسم الله" تودُّدًا إِلَى ضيفه ومبالغةً فِى إكرامه، وعند الانصراف ودَّعنى فِى أمانٍ قائلًا: "فِى أمان الله"، وأذكر أنى كنت أنتظر الامتحان الشفهىَّ الأخير فسألنى: "ماذا تنتظر؟"، فلما

---

(4) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة- رمضان ١٣٤٨/ فبراير ١٩٣٠- ص٥٣-٥٥.

أخبرته قال ضاحكًا: "ألم يضعوا الحدائد فِي النار ويستعدُّوا لتعذيبك حَتَّى الآن؟"، وأفاض فِي فكاهة ودعابة".

"وأخبرني الأُسْتَاذ الفاضل مصطفى عبد الرازق أنه قابل الأُسْتَاذ أرنولد فِي مؤتمر الأديان الأخير (قبل عام ١٩٣٢) فكان يراه يُعْرِض بوجهه ويتَّقي بيديه كُلَّمَا همَّ مصوِّر بأخذ صورة الأعضاء. وقد قَدِم الأُسْتَاذ إلى مِصْر العام الماضي وكتب قبل قدومه أنه يفضِّل النزول فِي حلوان وأنه يودُّ أن يقيم مَعَ أسرة مسلمة، وانتهى الأمر بأن اخترت لَهُ أنا وصديقي تلميذه الدُّكْتُور حسن إبراهيم بحلوان. وكنت فِي الشام عند قدومه وعزمت على زيارته صباحًا، فلمَّا أصبحت إِذا بالأُسْتَاذ الكريم يسبق إِلَى الزيارة، وكان بعدُ يتفضل بالزيارة غير متكلِّف لا سيما فِي ليالي رمضان حين يأتي لسماع القرآن".

"وبعد أن ألقى مُحَاضَرَاته على طَلَبَة كلِّـيَّة الآدَاب كان يسألني: ما حال الطَّلَبَة؟ أيفهمون؟ أيستطيعون كتابة ما أقول؟ ماذا ترى من عيب فِي مُحَاضَرَاتي؟ وهَلُمَّ جرًّا كأنه ليس الأُسْتَاذ أرنولد الثقة فيما يقول...".

"وقد سألته يومًا صورته لنشرها فِي صحيفة الجَامِعَة فأجاب، فسألته أن يتفضل بكلمة موجَزة فِي سيرته فأبى، فلمَّا ألححت قال -وكنا متوجِّهَين من محطة باب اللوق إِلَى كلِّـيَّة الآدَاب وقد جاوزنا قصر النيل-: اسمع، إن شئت أن تعرف طرفًا من سيرتي فأبرق إِلَى جريدة التايمز قائلًا إن أرنولد سقط من كوبري قصر النيل فغرق، فستكتب الجريدة ما تريد"!

"وفى يوم الخميس ٩ ذى الحجة سَنَة ١٣٤٨ الموافق ٨ يونيو سَنَة ١٩٣٠ اجتمعنا فِى محطة الْقَاهِرَة لنرى العالِم الكَبِير والصَّدِيقَ المحبوب لآخر مرة، ولَمَّا وصل الأستانة بعث إلىَّ يقول: أودُّ زيارة بلدكم الجميل، فله فِى نفسى ذكريات، وسوف أصل لندرة فى ٢٧ مايو. والسلام...".

"وبينما كنت أنتظر رسالة من الأُسْتَاذ الكريم إذ بأحد خرِّيجِى الكلِّــيَّة يزورنى فِى حلوان فيقول: "نسيت أن أعزِّيكم فِى السير توماس أرنولد، عظَّم الله أجركم"[5].

المشاركة فِى الحفلات الجَامِعِيَّة:

ومن ذلك ما حدث فِى ٩ مارس سَنَة ١٩٣٠ عندما أقام أَسَاتِذَة وطَلَبَة كلِّــيَّة الآدَاب حفلة جميلة فِى يوم ٩ مارس سَنَة ١٩٣١ تحت رعاية عَمِيدهم د.طه حسين، ألقى فيها المسيو بران Brin كلمةً شكر فيها للمدعوِّين تشجيعهم بالحضور. وكَذَلِكَ اشترك الأُسْتَاذ سكيف Scaife ومثَّل دور التلميذ فِى أداء امتحان شفوىٍّ فكان مضحكًا لدرجة كَبِيرَة؛ أثار ضحك الحاضرين فِى كلماته ونظراته وإِجاباته. ولقد تجلَّت الروح الجَامِعِيَّة فِى الأَسَاتِذَة الأَجَانِب تجليًّا أُعجب بِهِ جميع من حضروا. كَمَا عزفت على البيانو المدام سامى جبرة -الأُسْتَاذَة بالكلِّــيَّة- وغنَّت مقطوعة فَرَنسِيَّة أثارت استحسان الجميع، فهى سيدة فَرَنسِيَّة.

(5) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة- عدد يناير ١٩٣١- ص٨٢-٨٥.

ومثّل طَلَبَة قسم اللُّغَة الفَرَنسيَّة بالكلّـيَّة الفصل الثَّانِي من رواية (طبيب رغم أنفه)، ومثّل أحدهم دور السكير ممَّا أثار تعليق أحد الأسَاتِذَة الأجَانِب فقال: "إِنه لحريٌّ بالطَّالِب فِي الجَامِعَة أن يمثّل المثل الأعلى لا أن يمثّل سكيرًا!".

مشاركة الطُلاَّب أحزان الأسَاتِذَة الأجَانِب:

وأذكر هنا مثالين: الأول عندما وصل إِلَى الجَامِعَة نبأ وفاة الأُسْتَاذ دانييل إسرتييه أُسْتَاذ الفَلْسَفَة فِي كلّـيَّة الآدَاب، وذلك يوم ٩ يونيو عام ١٩٣٠، أصاب جميع من فِي الكلّـيَّة بالحزن وبخاصة طَلَبَته والَّذِينَ اختلطوا بِهِ.

فقد وُلد الأُسْتَاذ إسرتييه Daniel Essertier عام ١٨٨٨ ثم أخذ يدرس حَتَّى حصل على لقب دُكْتُور ثم دَرَجَة أجرجيه فِي الآدَاب، وعُيِّن أُسْتَاذًا بالمعهد الفَرَنْسِيّ فِي براغ من سَنَة ١٩٢٠ وحتى سَنَة ١٩٢٧، فأُسْتَاذًا فِي جَامِعَة بواتييه وعضوًا فِي المعهد الدَّوْلِيّ لعلم الاجتماع، وعُيِّن أخيرًا فِي سبتمبر سَنَة ١٩٣٠ أُسْتَاذًا للفَلْسَفَة بالجَامِعَة المِصْرِيَّة بعقد لمدَّة ثلاث سنوات، إِلاَّ أن القدر لم يمهله حَتَّى يُتِمَّ المُدَّة.

وله أبحاثه ومُؤَلَّفَاته فِي تطوُّر الفكر الإِنسانيّ وعلم النفس وعلم الاجتماع. وقد كان إسرتييه كَثِير النشاط، فكان إِلَى جانب مُحَاضَرَاته فِي الجَامِعَة يُلْقِي مُحَاضَرَات فِي معهد التربية ومُحَاضَرَات عامَّةً فِي الْقَاهِرَة والإِسكندرية وبورسعيد[6].

---

(6) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة — محرم ١٣٥٠/ يونيو ١٩٣١- ص١١٩.

وأما الثّانى فهو وفاة الدُّكْتُور مادن، وهو أول من حمل لقب "عَميد كلّــيَّة طب قصر العينى" من مارس ١٩٢٦ وحتى أبريل ١٩٢٩، وشغل كَذَلِكَ منصب مدير مستشفى قصر العينى فِى نفس الفترة التى تُوُفّىَ بعدها مباشرة. وكان لِهَذَا النبأ صداه فِى صحيفة الجَامعَة المِصْريَّة التى كتبت تقول[7]: "رُوِّعنا بنبأ وفاة الدُّكْتُور مادن عَميد كلّــيَّة الطِّبّ، فكان الخبر صدمة كَبيرَة قابلناها بالأسف العظيم لحرمان مِصْر من خدمات ذلك الرجل الكَبير، وقد كان أسفُنا أشدَّ لهذه المصيبة الثَّالثَة التى انتابت كلّــيَّة الطِّبّ، فقد سبقها وفاة الدُّكْتُور على بك رامز والدُّكْتُور رياض. ولقد كان بوُدِّنا أن نَفيَهُ حقَّه من الرثاء لولا ضيقُ الوقت والمقام، ولكن المكانة السامية التى لَهُ فِى نفوس زملائه أَسَاتِذَة كلّــيَّة الطِّبّ وَطَلَبَتِهَا والاحترام الذى يحملونه لَهُ كان لبيان مقدار ما كان للفقيد من مكانة فِى النفوس".

وقد أدَّى المأسوف عليه الدُّكْتُور مادن خدمات كَبيرَة لكلّــيَّة الطِّبِّ وللمؤتمر الطِّبِّىِّ للجراحة وأمراض المنطقة الحارَّة الذى عُقد فِى هذه السَّنَة بالْقَاهِرَة والذى أَمَّهُ مَنْدُوبو الدُّوَل فِى العالَم أجمع، مِمَّا لا يزال يتحدث بِهِ كل عارفٍ لفضل الأُسْتَاذ مادن وفضل الخدمات التى أدَّاها.

وقد شُيِّعت جنازته باحتفال مَهيب من قصر العينى مشى فِيهِ مَنْدُوب حضرة صاحب الجلالة الملك والأمراء والوُزَرَاء الحاليُّون والسابقون وعظماء الْقَاهِرَة.

---

(7) صحيفة الجَامعَة المِصْريَّة – عدد ٢١ ذى القعدة سَنَة ١٣٧– أو مايو سَنَة ١٩٢٩– السنة الأولى– العدد الأول– ص١٥٥-١٥٦.

وسارت الجنازة يتقدمها حَمَلَةُ الأكاليل العديدة حَتَّى فم الخليج، ومن هناك استقلَّ المشيِّعون المركبات إِلَى مقبرة الإنجليز بمِصْر القَدِيمة حيث دُفن الفقيد العظيم بين الحزن الشامل والألم.

ومن ذلك حفل تكريم ووداع العالِم الكَبِير فيليب سانياك أُسْتَاذ التَّارِيخ الحديث بكلِّـيَّة الآدَاب.

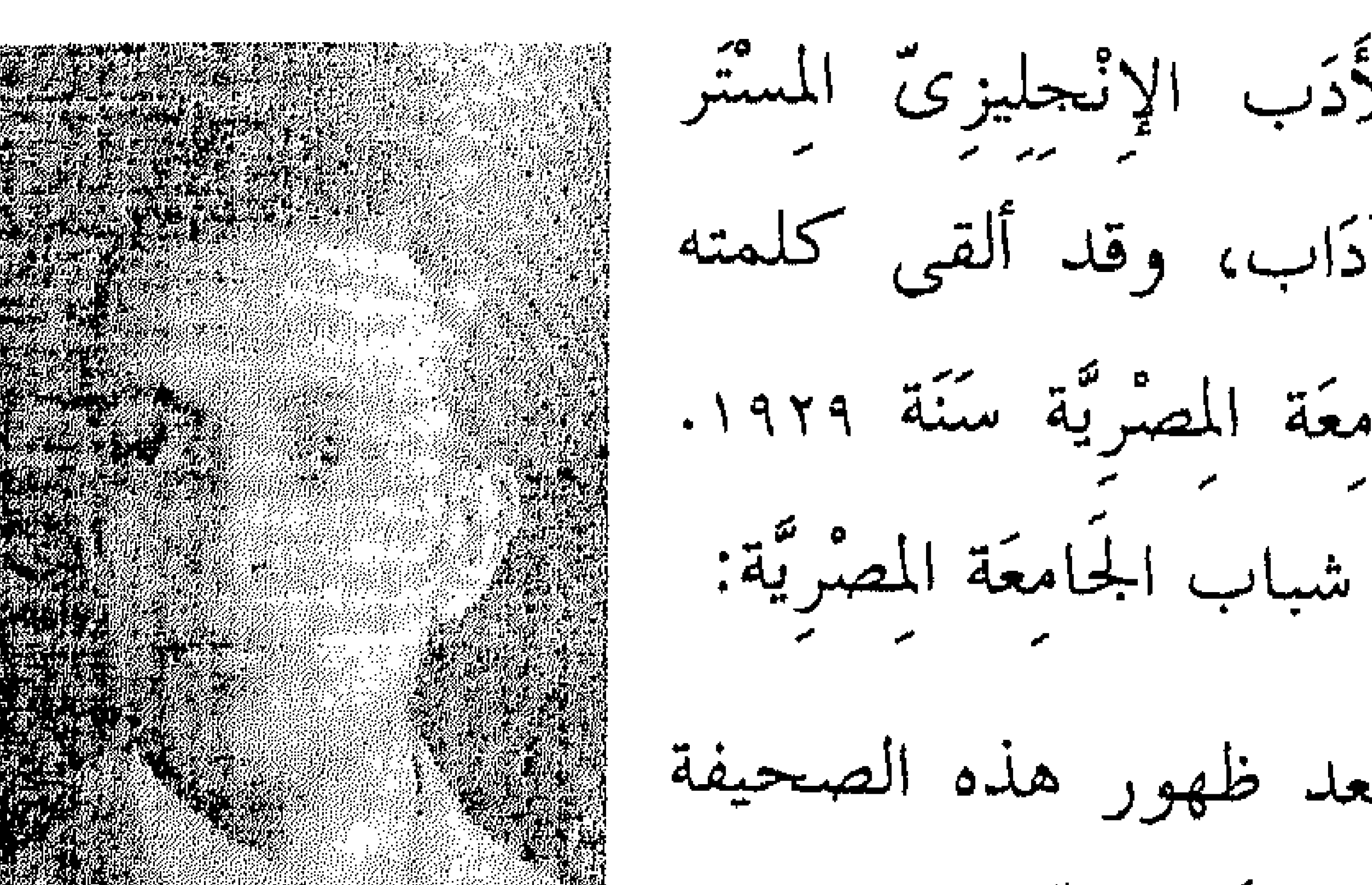
وقد أقام الاتِّحَادُ التَّارِيخي، الذى هو ثمرة من ثمرات الأُسْتَاذ، تلك الحفلةَ الشائقة ودعا إِلَيْهَا أَسَاتِذَة كلِّـيَّة الآدَاب ومحرِّرى الصحف العَرَبِيَّة والفَرَنسِيَّة بالْقَاهِرَة، وقد أُقيمت تلك الحفلة بعد الظهر يوم ٢٤ أبريل سَنَة ١٩٢٩، فتصدَّر الحفلةَ الأُسْتَاذ سانياك نفسه وبجانبه زوجته وعن يمينه ويساره أَسَاتِذَة قسم التَّارِيخ وباقى الحاضرين من أَسَاتِذَة الكلِّـيَّة. وافتتح الحفل سكرتير الاتِّحَاد فذكر فضل الأُسْتَاذ وأعماله العظيمة التى لن ينساها المِصْرِيُّونَ الَّذِينَ عرفوا كيف أن الأُسْتَاذ لم يألُ جهدًا فِى سبيل تثقيف طَلَبَته بالجَامِعَة وتثقيف الجمهور المِصْرِىّ الذى استمع لمُحَاضَرَاته الشائقة التى كان يُلْقِيها بقاعة مُحَاضَرَات الجَمْعِيَّة الجغرافيَّة الملكيَّة ثلاث سنين متوالية لم يعرف فيها طعم الراحة فِى سبيل العلم والتَّارِيخ.

وبعد خُطَب بعض أعضاء الاتِّحَاد قام سانياك نفسه وسط تصفيق الجمهور فخطب خطبة ضافية قُوطعت بالتصفيق الشديد والاستحسان العظيم.

وقد شكر الأُسْتَاذ زملاءه الأَسَاتِذَة وأبناءه الطُّلاَّب على حفاوتهم، ثم تَكَلَّمَ عن التَّارِيخ طويلًا: عن تَارِيخ التَّارِيخ وأول من تكلم فِى هَذَا العلم، كَمَا بيَّن فضل هَذَا العلم بفروعه المختلفة على العلم أجمع. وتَمَنَّى أن يأتىَ الْيَوْم الذى نرى فِيهِ

لمصرَ علماءَ مؤرِّخينَ من أبنائها الطَّلَبَة، ثم ختم كلامه بالثناء على حضرة الملك وجلس بين الهتاف والتصفيق(8).

سكيف مَعَ طَلَبَةِ الجَامِعَة المِصْرِيَّة فِى اتِّحَاد الجَامِعَة:



هو الأُسْتَاذ المساعد للأَدَب الإِنْجِلِيزِىّ المِسْتَر سكيف Scaife بكلِّــيَّة الآدَاب، وقد ألقى كلمته هذه بوصفه عضوًا باتِّحَاد الجَامِعَة المِصْرِيَّة سَنَة ١٩٢٩. يقول سكيف موجِّهًا حديثه إلى شباب الجَامِعَة المِصْرِيَّة:

"لن يمضى زمن طويل بعد ظهور هذه الصحيفة حَتَّى تنتقل كُلِّيَّتَا الآدَاب والحُقُوق إِلَى مقرِّهما الدائم فِى الجيزة، وبِهَذَا الانتقال نخطو الخطوة الثَّانِيَة الكَبِيرَة فِى سبيل تحقيق الأمنية، أمنية جَامِعَة مِصْرِيَّة. وسيبلغ السير نصف الطريق فحسب حين تنضمُّ كلِّــيَّة العُلُوم إِلَى هاتين الكليتين فِى المكان نفسه وحين تُنشأ مساكن لِلطَّلَبَة المقيمين ثم يُنتفع بِهَا. فإذا تَمَّ هَذَا فقد وُجد هيكل جَامِعَة، ولكن الجَامِعَة الحقَّة لن توجَد حَتَّى تكون الروح التى تملأ الهيكل حياةً.

"لكل جَامِعَة وجهتان: وجهة البحث التى تتجلَّى فِى طلب المعرفة والتقاط الحقائق والصبر على جمع الوقائع ونخلها، ثم فِى التفسير والتفكير والنقد. ووجهة التربية التى تكون فِى الجَامِعَة مهذِّبةً للناشئين ومربِّية فيهم الخُلُق الصالح، ومستودعًا لتقاليد الأُمَّة وينبوعًا للإِلهام. الوجهة الأُولَى تتعلق بالأعضاء المتخرجين، وقد أظَلَّت

---

(8) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة محرم ١٣٥٠/ يونيو ١٩٣١- ص١٥٣-١٥٤.

وجهة التَعْليم على هذه الوجهة فِى الزمن الأخير، ولكن ينبغى أن لا ننسى أن الجَامعَة إن أُريدَ أن تكون خيرًا من مَدْرَسَة ثَانَوِيَّة كَبيرَة غير منظّمة فهى دار للتَعْليم يجب أن تُطلَب فيها المعرفة لنفسها. وأمَّا الوجهة الثَّانِيَة فترجع إِلَى الطُلاَّب، وهى الوجهة التى يعالجها هَذَا المقال.

قَد أمدَّت الجَامِعَة المِصْرِيَّة بعلماء ذوى صيت ذائع فِى المَعَارِف الإِسْلاَمِيَّة والأُورُوبِّـيَّة، ولكن حياة الطَّلَبَة لا تزال فِى طور النشوء، وإذا أُريدَ للجَامِعَة أن تؤدِّى ما يُرجَى منها من الهيمنة على الحياة المِصْرِيَّة فلا بدّ تَطَوُّر عظيم فِى أعمال الطَّلَبَة الاجْتِمَاعِيَّة يعقب انتقال الكُلِّيَّتَيْنِ إِلَى الجِيزَة فورًا.

ما القاعدة التى يجب أن تُقام عليها هذه الأعمال؟ إن لحظةً من التأمُّل فِى الجَامعَات القَديمة التى كان لَهَا أثر يتجاوز الحسبان فى الحياة الوطنيَّة، حياة الأمم اللاَّتِينِيَّة وبرِيطَانْيَا العظيمة، أو إِلَى الجَامِعَات التى أُنشئَت من بَعْدُ فِى أُورُوبَّا الشماليَّة والوسطى والتى كان أثرها فِى التطوُّر الوطنى عظيمًا، وإن لم يكُن فِى استقرار دائم، بل نظرة عجلى إِلَى هذه الجَامِعَات، تُرِينَا أن حياة طَلَبَتِهَا تمتاز بالاعتماد على النفس، فأعمال الطَّلَبَة يُوحِى بِهَا الطَّلَبَة أنفسهم وينظِّمونها ويسيطرون عليها غير لاجئين إِلَى وُلاَةِ الجَامعَة أو أَسَاتذَتها ليمدُّوهم بالمال أو بغيره. هَذَا أعظم ما يكشف عن أثر التربية العظيم فِى حياة طَلَبَة الجَامِعَات القَديمة.

ما الذى يسيِّر هَذَا؟ أوَّلًا شعور الطَّلَبَة أنهم قَد فارقوا طَور الصبىِّ ودخلوا طَور الرجولة، وشعورهم مَعَ هَذَا أن الرجولة حين تمنح الاستقلال تُلْقِى كَذَلِكَ تبِعات على كاهل الرجل... أنا أتذكر هَذَا الإِحساس المجيد، إِحساس أحدنا بقَدْرِهِ

فِي الأسبوع الأول من حياته فِي الجَامِعَة، إِحساسه بالعلوِّ على من خلَّفهم وراءه، وإِن شئت الغلظة فِي التعبير فقُل ضَرْبٌ من الغرور لذيذٌ جدًّا. ولكن تحققنا مَعَ هَذَا أن هذه العظمة إِنما تيسَّرت إِذ صار كل واحد منَّا عضوًا فِي تعاون تتوقف حياته على اجتهاد كل عضوٍ. قَد علم كُلٌّ منَّا أن قيمةَ ما تمد بِهِ الجَامِعَة العلم لا يتغير، سواءٌ أنال الطَّالِب دَرَجَة عالية أم لم ينَل دَرَجَة قط. ولكنا أدركنا كَذَلِكَ أن الطَّالِب إِن لم يجدِّف أو يلعب بالكرة أو يناظر أو يكتب ويبحث فيما يكتب أو يمثِّل أو يخرج للعشاء كُلٌّ على قدر سجيَّته فلن يجد من يرتِّب هذه الأعمال. وكان أكثر تَعَاظُمنَا ناشئًا من انتسابنا إِلَى جَامِعَة ذائعة الصيت فِي هذه الأُمُور.

ولكنَّ أفعلَ شيءٍ فِي حياة طَلَبَة الجَامِعَات القَدِيمة هو أن نشاطَها ينبعث من مسرَّاهًا، وحقٌّ أن الأندية والجَمْعِيَّات القَدِيمة قَد اصطبغت بتقاليدَ وعظمةٍ تجعل كَثِيرًا من الطَّلَبَة يقومون بأعمالهم، ولاسيما الرِّيَاضَة منها، لغير سببٍ إِلاَّ أن هَذَا هو العمل المستظرَف. وإِنما صارت هذه الأعمال مستظرَفة لأن مبتدعيها ورجالَها الأوَّلين قَد نعموا بالانتساب إِلَيْهَا وفرحوا بِهَا فرَحًا أمدَّها بقوَّة مكَّنَت لَهَا فِي حلبة الطرائف المتقلبة. ولا يبرِّر قيام الإِنسان بعمل غير مضطرٍّ إِليه إِلاَّ سروره بِهِ، وقد يدخل فِي هَذَا الشرف والمجد والواجب أيضًا، ولكن الاستمتاع هو السبب الصحيح حقًّا.

إِن هَذَا القول عسى أن يترل على غضب فلاسفة الأخلاق، وأنا أقول خشية أن تؤاخذني السلطات بأنِّي مضلِّل بالشباب. إِنني لا أعني أنه يجب أن يكون غرض الجَامِعَة أن تدرِّب الطَّلَبَة على اللهو، وإِنما أعني أننا لا نستفيد كَثِيرًا فِي تربيتنا من أعمال لا نُحِبُّها، وإِنه إِن هُيِّئَتِ الأسباب لبعض الأعمال كلعب الكرة أو المناظرة

أو تنس الطاولة أو الموسيقى... ثم لم تصادف هوًى فى نفوس القائمين بِهَا ممَّن هم فِي حاجة إِلَى أن يرنوا إِلَيْهَا أو يُدْفَعُوا إِلَيْهَا، فهذه الأعمال لا تستحقُّ التعب للمحافظة عليها. وهنا يأتى السؤال البيِّن: كيف نوفِّق بين هذه القواعد والأحوال القائمة فِي جامعتنا؟ كلُّنا نعلم أن الطَّلَبَة يفضِّلون الذهاب إِلَى السينما مساء الخميس على الاستماع إلى مناظرة، وأنَّ كَثِيرًا من الرياضيين يسرُّهم أن يشاركوا فِي اللعب، وكلهم يحمِّلون أنفسهم مشقَّة التمرين، وأن كَثِيرًا من الطَّلَبَة يودُّون أن ينالوا شرف الانتخاب للِّجان.... ولكنّ قليلًا يُعْنَى بأن يَتَعَلَّم المثابرة ونِظَام العمل.

لا ريب أن هذه الأعمال غير مُحَبَّبَة إِلَى النفوس الآن، ولكننا لا نزال فِي أول العهد. إن الإِنسان لم يُخلَقْ مزوَّدًا بتخيُّر مسرَّاته، فعليه أن يَتَعَلَّم ما يتمتع بِهِ وكيف يتمتع بِهِ كَمَا يَتَعَلَّم كيف يمشى وكيف يتكلم. إن العبء الذى نتحمله ونحن الجيل الأول فِي هذه الجَامِعَة هو أن نخلق تقاليد تمكِّن أخلافنا من أن ينعموا بالأعمال المختلفة التى جعلت جماعات الطَّلَبَة فِي الجَامِعَات القَدِيمة ذات خطر عظيم فِي التربية. إن العناصر اللازمة لتكوين تقاليد فِي جماعة من الطَّلَبَة يجب أن تُوجَد فيها، كَمَا أن تغذية الجنين الإِنسانى مستمَدَّة من الأُمِّ لا محالة.

قَد يستطيع كبار الأعضاء فِي جَامِعَةٍ أن يُكْثِروا الأندية والجماعات، ولكن نُمُوَّها يتوقف كلَّ التوقف على غيرة أفرادٍ الطَّلَبَة الَّذِينَ يميلون حقًّا إِلَى الأعمال التى تكون لَهَا هذه الأندية والجماعات. لا بدّ أن يكون عدد المهتمِّين بهذه الأعمال قليلًا فِي هذه الأَيَّام الأُولَى من حياة الجَامِعَة، لأن التقاليد التى تشوِّق الكَثِيرين لَمَّا تُخلَقْ. وليس معقولًا أن يُرجَى أن تكمل حياة الطَّلَبَة فجأةً.

ويؤسفنا أن النِّظَام الذى وُضع لترقية حياة الطَّلَبَة الاجْتِمَاعِيَّة بُنِىَ على قاعدة تستلزم روح تعاوُن قويَّة نشيطة راقية، على حين ليس عندنا قوَّة كافية للقيام بقليل من جَمْعِيَّات الطَّلَبَة وفرق الرِّيَاضَة. نَحْنُ نكلِّف الاتِّحَادَ بالعمل الذى لا يُغبَط بِهِ حين ننتخبه لينظِّم كل نواحى حياة الطَّلَبَة، فِى حين كلُّ نشاط لِلطَّلَبَة مستفرَغ فِى الانتخاب فقط.

إن تطوُّر جماعات الطَّلَبَة فِى الجَامِعَات الأُورُوبِّـــيَّة التى أشرنا إِلَيْهَا من قبلُ يُرينا أننا (نضع العجلة أمام الحصان) حينما نحاول أن نبدأ باستبدال نظم الطَّلَبَة بنظَام مركزىٍّ شديد، بل أن نوجِّه كل قوانا إِلَى ترويج الأندية والجَمْعِيَّات الصَغِيرَة كُلَّمَا رغبت فِى إنشائها طائفة قليلة رغبةً كافيةً لتأسيسها. إننا نتكلم عن تجربة، فحياة الطُلاَّب فِى أكسفورد وكمبردج التى قَد تكون بلغت من القوة مبلغًا لا يُلقَى فِى مكان آخر إنما نَمَتْ وارتقت على أقطاب العمل مستقلّةً، فما وُجدت قَطُّ هيئة مركزيَّة تمثّل الطَّلَبَة جميعًا.

فجماعات الاتِّحَاد فِى كلتا الجامعتين صارت الآن هيئات غنيَّةً ذات دخل سنوىٍّ عظيم تملك أبنية ومكاتب تقدَّر بآلاف كَثِيرة من الجنيهات، ولكن ليس لَهَا أى حقٍّ فى أن تتكلم باسم الطَّلَبَة كلهم. فجماعة الاتِّحَاد فِى أكسفورد لا تكاد تجمع بين أعضائها ثلث الطَّلَبَة المقيمين، وقد تبيَّن أن القيمة لا ترتبط بالكمية، فقد شهد احتفالَها بعيدها المئوىِّ أعضاؤها وضُبَّاطُها القدماء، فكان فيهم كَثِير من أعظم رجال الحكم والمحامين ورجال الدين والأدباء فِى المملكة.

واتِّحَاد كمبردج أكثر عددًا بما عنده من قاعة عشاء، ولكنى أرتاب كَثِيرًا فِى أن يبلغ عدد أعضائه نصف طُلاَّب الجَامِعَة. وفى كلتا الجامعتين بدأت جماعات الطَّلَبَة لديه صَغِيرَةً للمباحثة يقوم عليها جماعة من الطُلاَّب التوَّاقين إلى البحث. وكَانَت بعيدة من تأييد السلطات، بل كان عيها أن تتغلب على معارضة شديدة وأن تلاقى قيودًا متعبة مدَّةً طويلة بعد تأسيسها، وقد سلكَت هَذَا السبيل نفسه الأندية العظيمة للتمثيل والرِّيَاضَة والموسيقى.

الحال فِى جامعتنا تختلف، وواضح أن هنا عملًا لَمجْلِسٍ مركزىٍّ، ولكن إن أردنا أن نظفر بحياة قويَّة بين الطُلاَّب (وهَذَا وحده يكفى لإحياء عهد الدِّرَاسَة للطَّالب الوسط) فلا بدّ أن نقيمها على حماسة أفراد الطَّلَبَة وأن نأخذ عناصرها من هذه الحماسة. ويستطيع الأعضاء الكبار أن يعيِّنوا آراءهم أحيانًا، ولكنهم أنفع ما يكونون لإخوانهم حين لا يفعلون شيئًا".

هكذا كان حديث سكيف الأُسْتَاذ الجَامِعِىِّ خارج قاعة المحاضرة تربويًا ومفيدًا، فقد كان عضوًا باتِّحَادِ الجَامِعَة المِصْرِيَّة النشيطة وكان محبوبًا من الطَّلَبَة.

الأسَاتِذَة الأجَانِب يشاركون فِى الرحلات:

ومن ذلك ما قام بهِ طَلَبَة البكالوريوس بكلِّـيَّة العُلُوم سَنَة ١٩٣٠ من رحلة إِلَى السويس لمشاهدة بعض الأحياء المائية على شواطئ البحر الأحمر، وقد كَانَت الرحلة غاية فِى الفائدة لِلطَّلَبَة الَّذِينَ يدرسون علم الحَيَوَان، وقد عثروا على الكَثِير

من الحَيَوَانات الغريبة هناك. وكان فِي صحبتهم بعض الأَسَاتِذَة، منهم الأُسْتَاذ أدولف نيف الذى كان رَئِيس الرحلة[9].

روكسى أُسْتَاذ ليفربول فِي كلِّـيَّة الآدَاب:

وجَّهت وزارة المَعَارِف إِلَى حضرات نُظَّار مدارسها المنشور الآتى: "علمت الوزارة من كتاب الجَامِعَة المِصْرِيَّة أن جناب المستر روكسى الأُسْتَاذ بجَامِعَة ليفربول اعتزم إلقاء أربع مُحَاضَرَات بدار كلِّـيَّة الآدَاب بالجيزة فِي تدريس مَادَّة الجُغْرَافيَا، وطلبت الإذاعةُ إذاعةَ المُحَاضَرَات نظرًا إلى أنها ذات أَهَمِّـيَّة كَبِيرَة وجديرةٌ بانتفاع رجال التَعْلِيم، فالرجاء إبلاغ ذلك إِلَى حضرات المُدَرِّسِينَ بمدارسكم".

وقد بدأ الأُسْتَاذ روكسى مُحَاضَرَاته فِي الساعة السادسة من بعد ظهر يوم الإثنين ١٧ مارس سَنَة ١٩٣٠، وكان موضوع المحاضرة "حضارة الصِّين وتأثير العوامل الجغرافيَّة فيها"، وكان الإقبال عليها شديدًا جِدًّا[10].

جوائز باسم الأَسَاتِذَة الأَجَانِب للمتفوِّقِين:

لكى يَحُثَّ الأَسَاتِذَةُ الأَجَانِبُ طُلاَّبَهم فِي الجَامِعَة المِصْرِيَّة على الجدِّية فِي الدِّرَاسَة والتحصيل كانوا يرصدون لهم جوائز، وظَلَّت تحمل أسماءهم، ومن ذلك ما حدث فِي كلِّـيَّة الحُقُوق التى قدَّمت كشفًا بأسماء الطَّلَبَة المتفوقين فِي امتحان مايو ١٩٣٠ كَمَا يلى:

---

(9) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة – ذو القعدة ١٣٤٨/ أبريل ١٩٣٠– ص٧٢.

(10) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة – شوال ١٣٤٨/ مارس ١٩٣٠– ص٦٠.

١- جائزة المسيو والمدام أرستفرون M. et Mme Aristophron:

تشجيعًا لشُبَّان الجامعة المصرية على التوسُّع فى الدراسة تفضَّل المسيو أرستفرون وقرينته فوهبا لكلية الآداب هبة مقدارها ١٢٠٠ جنيه، ويُصرف من ربحها كل سنتين جائزة لمن يكتب أحسن بحث فى المدينة اليونانيَّة، وتنصُّ شروط منح الجائزة على أنها تُمنح لطالب مصرى الجنسيَّة من طُلاَّب الجامعة يكون قد كتب أحسن بحث فى موضوع المدنية اليونانية القديمة سواء فى الآداب أو فى الفلسفة أو التاريخ أو الآثار يمنحها مجلس الكلية، وإذا أبطلت الدراسة الرسمية للآداب اليونانية فى الجامعة المصرية فإن مجلس الكلية يمنح هذه الجائزة لمن يفوز فى مسابقة يعقدها المجلس لكتابة أحسن بحث فى المدينة اليونانية بالكيفيَّة السالفة الذكر(11).

وبدأت الجائزة من يوم ٣ فبراير سنة ١٩٢٦، وفاز بها لسنة ١٩٣٣/١٩٣٤ الطالب أنطوان جرجس أفندى، فقد مُنح مبلغ ٣٠ جنيهًا لوضعه رسالة عنوانها "عادات وأخلاق قدماء المصريين وفقًا لرواية هيرودوت"(12).

٢- جائزة السير جون سكوت John Scott:

وجون سكوت مستشار قانونى قديم للحكومة المصرية، وقيمة الجائزة ١٠ جنيهات سنويًّا وهدفها تشجيع الطلبة على البحث العلمى، وهى مرصودة منذ عام ١٨٩٨ ويُعطَى الأول ستة جنيهات والثانى أربعة جنيهات(13).

---

(11) Annuaire de la Fac. Des lettres 1934-35, le Caire, 1934, p.20.

(12) Id, 1933, P. 21.

(13) صحيفة الجامعة المصرية- شوال ١٣٤٨/ مارس ١٩٣٠- ص٦٠.

٣- **جائزة السير مالكولن لوريث Malclon Mc. Liwraith:**

وهذه الجائزة موجودة منذ عام ١٩١٦ وهى بمناسبة مغادرة السير لويث عمله كمستشار قانونىّ قديم لدى الحكومة المصرية. وقيمة الجائزة ٨ جنيهات مصرية. يُقسم المبلغ بالتساوى إلى جزأين: واحد لأنبغ طالب فى السنة الثانية (الآن السنة الأولى حسب النظام الجديد) في القانون المدنى، والثانى للمتفوق فى القانون الجنائى فى الفرقة الثالثة[14].

وقد نالها كل من:

- عبد السلام جابر الفقى أفندى وحصل على ثلاثة جنيهات وسبعمائة وخمسين مليمًا.
- حميد عبد الله محمد أفندى (الأول مكرر) وحصل على ٣ جنيهات وسبعمائة وخمسين ملّيمًا[15].

٤- **جائزة روى دوبن Roy S. Dobin:**

ويمنحها مجلس كلية الطبّ من أرباح مبلغ ١٤٠ جنيهًا موضوعة بالبنك الوطنى ويشترون ميدالية ذهبية كل عام للمتفوقين، وهدف الجائزة تخليد ذكرى الأستاذ روى دوبن.

٥- **جائزة مادن وفيليب Madden et Philips:**

لتخليد ذكرى هذين الأستاذين بكلية الطب، وبمناسبة رحيلهما جمع بعض زملائهما وتلامذتهما القدامى مبلغ ١٥٠ جنيهًا لكى يمنحوا جائزتين باسمهما، ومن

---

(14) Smuaire de Univ. de Caire Le Caire, 1955, p.182.

(15) صحيفة الجامعة المصرية- رمضان وشوال ١٣٤٩/ فبراير ١٩٣١، ص١٥٤.

أرباح هذا المبلغ يشترون ميداليتين من الفِضّة للمتفوقين، وبدأت هذه الجائزة عام ١٩٢٥م، واحدة للمتفوقين فى الجراحة الإكلينيكية فى البكالوريوس فى شهرى مايو وديسمبر كل عام بشرط أن لا يرسب، وكذلك تُمنح لأفضل طالب فى امتحان الشفوى.

٦- جائزة كلان Klan:

يعطيها مندوبان عن بيت كلان وهما كومروس Coumer وهدفها تشجيع الطلبة على التفوق، وبدأت منذ ٢٢ فبراير ١٩٣٦(16).

٧- جائزة داى H. Day:

بدأت هذه الجائزة منذ ٢٠ يونيو عام ١٩٣٦ وتُمنح كل عام على هيئة ميدالية فضية للمتفوق فى الجراحة فى البكالوريوس.

٨- جائزة لالاند Andre Laland:

بمناسبة تركه لكرسيِّه وتعيينه دكتورًا شرفيًا بجامعة القاهرة قرَّر مجلس كلية الآداب منح جائزة تحمل اسمه منذ عام ١٩٤١ وتُعطَى للطالب الأول بقسم الفلسفة فى الليسانس(17).

اتِّحَاد الجَامعَة المِصْرِيَّة وبرناردشو:

---

(16) Annuaire de L Universite du Caire 1955/ 56, le Caire, 1955, p. 195-6.

(17) I bid, p. 188.

كان اتِّحَاد الجَامِعَة المِصْرِيَّة يرأسه الدُّكْتُور عبد الوهاب عزام، ويُصدِر هَذَا الاتِّحَاد مجلَّة (صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة)، وكان لَهُ نشاطه الثَّقَافِيّ الكَبِير، فلم يُرِدْ عام ١٩٣١ أن يترك فرصة وجود الكاتب الإِنْجِلِيزِيّ الكَبِير المستر (برناردشو) بالْقَاهِرَة، فقرَّر بالإِجماع إِرسال برقيَّة ترحيب، كَمَا فوَّض لجنة المناظرات فِي دعوته إِلَى إِلقاء كلمة فِي طَلَبَة الجَامِعَة، وفوَّض لجنة النادى فِى دعوته إِلَى حضور حفل افتتاحه، وعلى ذلك:

١- أُرسلت إِليه البرقية الآتى صورها: (اتِّحَاد الجَامِعَة المِصْرِيَّة يتمنَّى للكاتب العظيم أَيَّامًا سعيدة فِي مِصْر، ويعبِّر لَهُ عن شكره لدفاعه المُخْلِص عن الوطن).

٢- كَمَا ذهب حضرة الأُسْتَاذ الدُّكْتُور وحيد فكرى رأفت إِلَى الفندق وترك لَهُ الدعوتين المذكورتين.

فتلقى حضرته من المستر برناردشو بطاقة واردة من فلسطين هذه ترجمتها:

نایاریث فِي ١٥ مارس ١٩٣١:

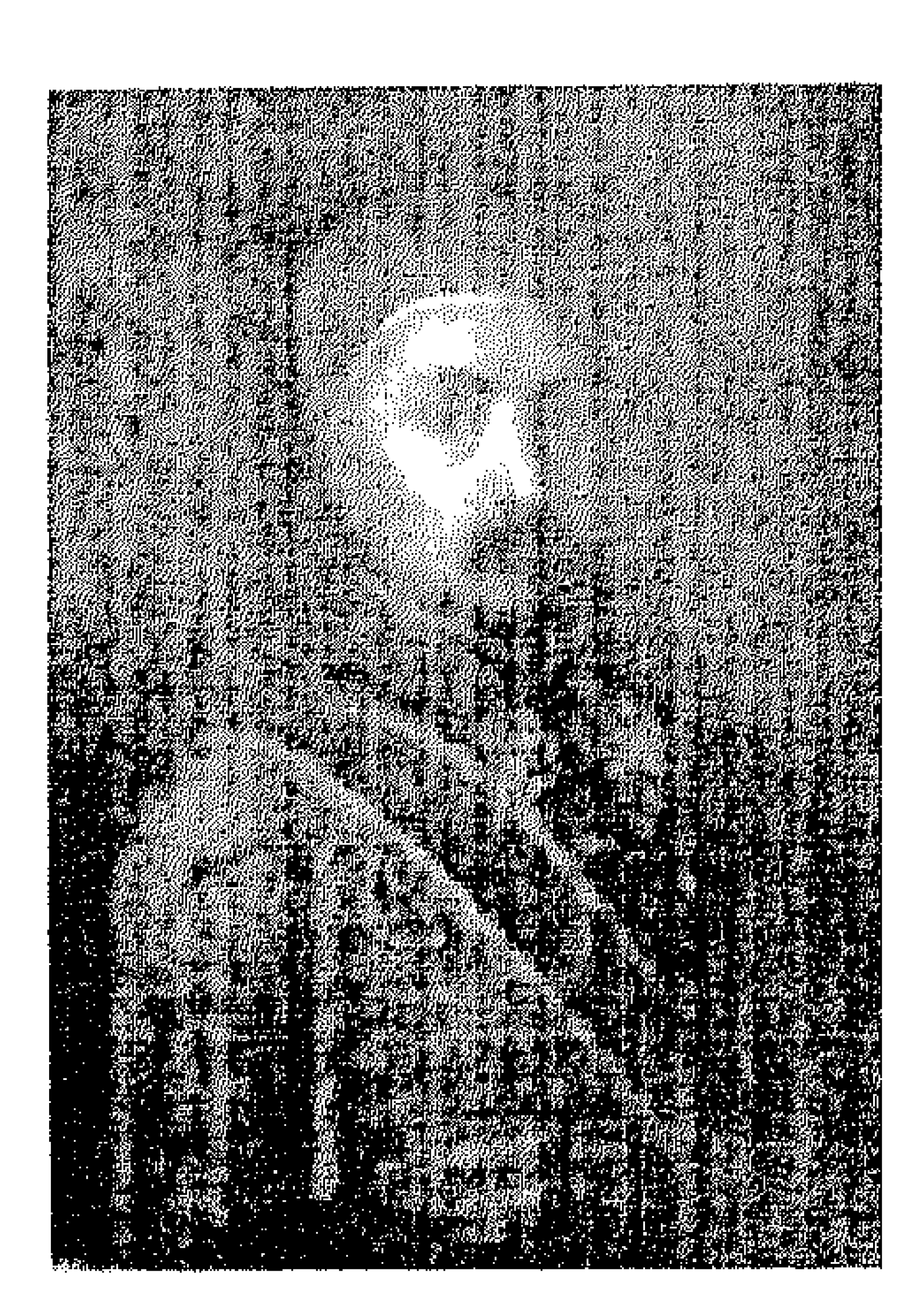
"أرجو أن تتكرموا بِإِبلاغ عبارات اعتذارى إِلَى مَجْلِس اتِّحَاد الجَامِعَة المِصْرِيَّة، ولقد تأثَّرت كَثِيرًا بالبرقيَّة التى أرسلها الاتِّحَاد تحيَّةً لى، ولو لم أُضطرَّ إِلَى تحديد مدة إِقامتى فِي الْقَاهِرَة بثلاث وثلاثين ساعة فقط لقبلت الدعوة بكل تأكيد

التى حملتموها إِلىّ، ولكنى كنت مُجْبَرًا على مغادرة الْقَاهِرَة فى السادسة من مساء الثلاثاء"[18].

(18) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة – ذو القعدة ١٣٤٩/ أبريل ١٩٣١– ص٨٠.

الفصل السابع
وقفة مَعَ هَؤُلَاءِ الأَسَاتِذَة

كلوت بك (١٧٩٣–١٨٦٨)[1]:



وُلد أنطوان بارتلمى كلوت فِى جرينوبل ودرس الطِّبّ فِى مُونْبِلْييهْ، وفى عام ١٨٢٥م حصل عَلَى وَظِيفَة لدى مُحَمَّد عَلِىّ الَّذِى كَانَ يبحث عَن طبيب يعتنى بصحَّة جيشه، ووصل إِلَى مِصْر وأصبح مقرَّبًا إلى مُحَمَّد عَلِىّ الَّذِى عيَّنه كَبِيرًا للجرَّاحين بالجيش وأنعم عليه بلقب بك، وأدرك كلوت بك أن عليه أن يقوم بأشياء كَثِيرة فِى مجال الصِّحَّة بِمِصْرَ، فقد كَانَت الحالة سيِّئة للغاية، وعليه إِرساء القواعد والوالى يسانده، فقد أسس مَدْرَسَة الطِّبّ بأبو زعبل (ثم الْقَاهِرَة)، وأنشأ مَصْلَحَة الصِّحَّة، وأوجدت الإِدارة المركزيَّة وَظِيفَة وزير الصِّحَّة العَامَّة، وأسس مستشفى قصر العينى بالْقَاهِرَة، وأنشأ مَدْرَسَة القابلات (مَدْرَسَة الحكيمات)، وَكَانَ عليه فِى سبيل ذَلِكَ أن يتغلب عَلَى كَثِير من الصِّعاب، كَمَا لم يكُن لطب الأطفال وجود، وَكَانَ الأطفال يَلْقَون حتفهم بالآلاف، نحو ٥٠,٠٠٠ طفل يموتون سنويًّا بسبب الأمراض الوبائيَّة، فقاد كلوت بك حملات التطعيم، وأوعز إِلَى الناس بضرورة ذَلِكَ، وأن من يتخلف سيعاقَب، وجعل مُحَمَّد عَلِىّ هَذَا التطعيم إِجباريًّا عام ١٨٤٦، وفى كُلّ أحياء الْقَاهِرَة والمدن الكبرى كَانَت هيئة

---

(1) رغم أنه لم يدرس بالجَامِعَة المِصْرِيَّة فإنه هُوَ الرائد المؤسِّس لمَدْرَسَة ومصلحة الطِّبّ، فلا بأس من التعريف به.

التمريض المسئولة عَن التطعيم مصحوبة بقوَّة من البوليس لعقاب من يتخلف أَو يتهرب من التطعيم[2].

واستدعى كلوت بك زملاءه من الأَطبَّاء الكبار وَكَانَ عَلَى رأسهم تيودور بلهارس الَّذِى اكتشف الدودة الَّتِى تعيش فِى الماء وتسبِّب مرض البلهارسيا وَالَّذِى عانى منه معظم الشعب، ومن أجل استمرارية ما بدأه وضمان مستقبل أفضل لمهنة الطِّبِّ بمِصْر أرسل كلوت بك الطُلاَّب المِصْرِيِّينَ الناهين فِى بعثات دراسيَّة، وعادوا أَطِبَّاء معهم شهاداتهم، واحتلُّوا مكانهم فِى المستشفيات. وفى عام ١٨٤٠ أَلَّف كتاب "لمحة عامَّة عَن مِصْر" Apas، cu general de le Egypt ضمَّنه خبرته وتجربته، وعرض لمُشْكلاَت مِصْر بمساعدة Jomar ولينان بلفوند، وعُيِّنَ عضوًا فِى الأَكَادِيمِيَّة الملكيَّة لِلطِّبِّ فِى بَارِيس، وأنعم عليه مُحَمَّد عَلِىّ برتبة جنرَال، وفى عام ١٨٥٩م عاد إِلَى فَرَنْسَا بعد أن مضى ٣٤ عامًا بمِصْر، وحصل فِى فَرَنْسَا عَلَى لقب كونت، وهو يعادل لقب بك، ثم أنعم عليه البابا "بى" Pie التَّاسِع بلقب كَنَسِىٍّ كَبِير اعترافًا بالخدمات الإِنسانيَّة، وظل معه حَتَّى وفاته عام ١٨٦٩م[3].

وقام كلوت بك بكتابة وثيقة خاصَّة عَن مرض الزهرى لمواجهة انتشاره الشديد وعدم قدرة الأَطِبَّاء عَلَى علاجه، وتُرجمت الوثيقة إِلَى العَرَبِيَّة وطُبِعَتْ فِى مطابع الجيش[4].

---

(2) Tulard, 1995, P. 91.

(3) Ezsan.1998, 95-6.

(4) فهمى ١٩٩٩ – ص ٤٧.

مِمَّا لا يعرفه كَثِيرون أن كلوت بك كَانَ من هواة جمع التحف، وقد زاره مرارًا ماريت بِمصْر فى أثناء وجوده بِهَا، وعمل هَذَا الأخير كَثِيرا بنصائحه[5].

كَانَ كلوت بك صديق روجيه Rouge، وَمِنْ ثَمَّ فقد أرسل إِليه خطاب توصيه عَلَى أوجست ماريت. وهو - أى كلوت- قصير القامة ووجهه مستدير وشعره أبيض ويسكن منزلاً عَلَى الكورنيش وسكرتيره يرتدى الزىَّ التركى. وقد أرسل كلوت بك مَجْمُوعَة آثار إِلَى فَرَنْسَا وحدَّث عنها ماريت وتذكَّر كَذَلِكَ قصره بالْقَاهِرَة الْقَدِيمَة: "كَانَ بِهِ بارك فسيح، عطيَّة من الوالى، كنت أقوم فِيهِ بتربية الزراف!".

وساعد كلوت بك الشابَّ ماريت القادم لتوِّه من فَرَنْسَا، وأرسل معه خطاب توصيه إِلَى الْمُهَنْدِس موريس لينان Mourice Linant[6].

ماكس مايرهوف (١٨٧٤–١٩٤٥):

وُلد فِى عام ١٨٧٤ بأَلْمَانْيَا، وانتقل إِلَى الْقَاهِرَة فِى عام ١٩٠٣م وبقِىَ بِهَا حَتَّى وفاته. وعندما قامت الحرب العالَميَّة الأُولَى بين عامَى ١٩١٤ و١٩١٨م رجع إِلَى بلاده، ثم عاد إِلَى مِصْر ثَانِيَةً، وهو طبيب مُسْتَشْرِق أَلْمَانِىٌّ درس الْعُلُوم

---

(5) Lambert, 1997, p. 60.

(6) عيَّنه محمد على كبير مفتِّشين، وهو الذى أشرف على مشاريع الرى الكبيرة بمصر، راجع: Lambert, 1997, P.61.

الطِّـبِّـيَّة فِي جَامِعَة فرايبورج[7]، مَارَسَ طِبَّ العيون، وبلغ شهرة واسعة، وانتُخِبَ رَئِيسًا للجَمْعِيَّة الرَّمَدِيَّة المِصْرِيَّة فى ما بين عامَى ١٩٠٨ و١٩٠٩م، ونائبًا للمجمع العلميّ المِصْرِيّ كَمَا فِي عامَى ١٩٤٠ و١٩٤١م، وقد منحه الملك فُؤَاد قلادة النيل واكتسب الجِنْسِيَّة المِصْرِيَّة فِي عام ١٩٦٣م، وقام بدِرَاسَات كَثيرة ومتعمِّقة فِي تَارِيخ الطِّبّ العَرَبِيّ، ونشر كتاب جالينوس "الاصطلاحات الطِّـبِّـيَّة[8]، وقدَّم ترجمة أَلْمَانِيَّة وشروحًا وافية شارك فيها الأُسْتَاذ يوسف شاخت، وكتب فصلاً عَن حياة حسين بن إسحاق نشره فِي مقدِّمة طبعته لكتاب "العشر المقالات فِي العين"، ونشر "شرح أسماء العقّار" لابن ميمون، و"منتخب جامع المفردات" للغافقى.

وله كَذَلِكَ مُؤَلَّفَات وشروح وتعاليق كَثِيرة عَلَى ابن النفيس وابن رضوان وابن بطلان[9].

كَانَ لَهُ اهتمامه بالتَّارِيخ والفقه الإسلامى، ولم يهمل مَعَ ذَلِكَ تدريس اللُّغَات الساميَّة والتُّرْكِيَّة ونشر فيها مقالات فِي مجلاّت المُسْتَشْرِقين بأَلْمَانْيَا، وجمع كَثِيرًا من الكلمات التُّرْكِيَّة الخاصَّة ببعض اللهجات الْقَدِيمَة، كَمَا اهتمَّ بالاطِّلاع عَلَى الحركة العِلْمِيَّة الجارية الآن فِي بلاد العَرَب لاسيما فِي مِصْر وسوريا الَّتِى

(7) وليس ستراسبورج كَمَا يذكر المناوى ١٩٩٩- ص ٣٠٣.

(8) بالألمانية، وترجمه جبيش[؟؟؟] المترجم المشهور فى الثلاثينيَّات، ولم ينشره بالعربية كَمَا يذكر المناوى. نفس المرجع ص ٣٠٣.

(9) المناوى ١٩٩٩-ص٣٠٣.

اقتضَت أخذ أصول العلوم وأساليبها من علماء الغرب لاسيما فِي علم اللُّغَات والتَّارِيخ[10].

كَانَت وفاته بِمِصْر عام ١٩٤٥.

الدُّكْتُور رِيتْشَارْد:

كَانَ الدُّكْتُور رِيتْشَارْد أُسْتَاذًا للجراحة بالمستشفى، ثم عُيِّن خلفًا للدُّكْتُور كيتنج عام ١٩١٩ للمَدْرَسَة والمستشفى. وَكَانَ الدُّكْتُور رِيتْشَارْد قَد التحق فِي الحرب الكبرى بالجيوش الإِنْجليزِيَّة فِي فَرَنْسَا وأظهر كفاءة إداريَّة كبرى وكوفئ عَلَى ذَلِكَ برتبة الكولونيل، وتَقَرَّر بادئ الرأى تعيينه وكيلاً لمَدْرَسَة الطِّبِّ حَتَّى تصل سنُّ الدُّكْتُور كيتنج إِلَى السِّـتِّينَ فِي سَنَة ١٩٢٠، ولكن حوادث سَنَة ١٩١٩ عجَّلَتْ بسفر هَذَا الأخير.

ورحل الأَسَاتذَة الأَلْمَانُ بسبب الحرب العالَميَّة الأُولَى، كَمَا تَطَوَّعَ الإِنْجليزُ لخدمة وطنهم، فكَانَت فرصة للمِصْرِيِّينَ ليظهروا كفاءتهم...

طالب المِصْرِيُّونَ الدُّكْتُور رِيتْشَارْد بأن يُسْنِدَ إِلَى الكفء منهم منصب الأُسْتَاذيَّة وأن يكونوا مُمَثِّلين فِي مَجْلس المَدْرَسَة، وعدد رجاله اثْنَا عَشَرَ، فانتخب بعض الأَسَاتِذَة من المِصْرِيِّينَ وانتخب منهم ثلاثةً لمَجْلس المَدْرَسَة.

---

(10) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة – السنة الأولى– العدد السادس، ذو القعدة عام ١٣٨٤ الموافق أَبْريل ١٩٣، ص٧٥-٧٦.

وَكَانَ الدُّكْتُور رِيتْشَارْد مُصْلِحًا ومُجَدِّدًا وإداريًا حازمًا ومنظّمًا حكيمًا، وزاد فِى إصلاحاته قيمة وجود العنصر المِصْرِىّ من وجهة النظر المِصْرِيَّة. وَكَانَ يعمل بمشورة من يثق بهم من زملائه، وكَثِيرًا ما كَانَ يخالف رأى الأَغْلَبِيَّة فِى مَجْلِس المَدْرَسَة ولا يعمل بِهِ مهما كَانَ الأمر. فرأى زيادة عدد الطَّلَبَة من ٥٠ إِلَى ١٠٠ فِى السَّنَة، وَكَانَ عليه أن يُهَيِّئَ لهم المعامل الَّتِى تَسَعُهُمْ فِى بناءٍ لم يَعُدْ مُطِيقًا لِهَذَا العدد.

وقد نقل مُتْحَف التَّارِيخ الطبيعىّ إِلَى حديقة الحَيَوَانات وحوَّله إِلَى معمل لعِلْمَىِ الحَيَوَانات والنَّبَات، ثم نقل مُتْحَف التشريح المقارن إِلَى المُتْحَف المِصْرِىّ، وحوَّله إِلَى معمل للفسيولوجيا، وأخلى نادى الطَّلَبَة وسكن النُّوَّاب الَّذِى كَانَ يحتلُّ مكانًا يُعْتَدُّ بِهِ من بناء المَدْرَسَة، وبنى بدلاً منهما جناحًا قائمًا بذاته فِى فناء المَدْرَسَة (الدور الأرضى للنادى والعلوى لسكن النُّوَّاب)، وانتفع بمكان النُّوَّاب لقسم الميكروبات، وبنادى الطَّلَبَة لقسم تركيب العَقَاقِير.

وهدم بناء المشرحة المكوَّن من دور أرضىٍّ فقط ولا يحتمل طابقًا فوقه، وبنى مكانه جناحًا مكوَّنًا من دورين (الأرضىُّ للمشرحة والعلوىُّ للكِيمْيَاء الحَيَوِيَّة)، وبذلك تعددت الأماكن بالمَدْرَسَة واتسعت لمائة طالب يلتحقون بِهَا كُلّ سَنَة.

كوَّن رِيتْشَارْد لجنة نقَّحت المناهج لتصبح عَصْرِيَّة، وزيدت مُدَّة الدِّرَاسَة إِلَى خمس سنوات وثلاثة أشهر بدلاً من أربع، واستصدر بِهِ قرارات وزاريَّة سَنَة ١٩١٩ وتخيَّر أفضل الأَسَاتِذَة الإِنْجليز لملء الكراسى الشاغرة والمستجَدَّة بالكلِّـيَّة، ولَمَّا لم يكُن بين الأَطِبَّاء المِصْرِيِّينَ من يصلحون أن يكونوا مساعدين أَو مُدَرِّسِينَ فِى

هَذَا الفرع، عيَّن نفرًا من الأَطِبَّاء الإِنْجِلِيز فِي هَذِهِ الوَظَائِف بعقود لِمُدَّة ثلاث سنوات لا تُجَدَّدُ حَتَّى يعود من البعثات من يشغل هَذِهِ الوَظَائِف من المِصْرِيِّينَ.

وأرسل الدُّكْتُور رِيتْشَارْد بعثةً عددُ أفرادها ١٢ من مُتَخَرِّجِى المَدْرَسَة لِيَتَخَصَّصُوا فِي هَذِهِ الفروع عَلَى أن تكون مدَّة البعثة ثلاث سنوات وأن يحصلوا عَلَى درجات عِلْمِيَّة مُحْتَرَمَة، وبعد ذَلِكَ يرجعون مُدَرِّسِينَ لمدة ثلاث سنوات أُخْرَى ويُكَلَّفُونَ أَقَلَّ ما يُمْكِنُ من التَّدْرِيس عَلَى أن يُظْهِرُوا مَقْدِرَتَهُمْ عَلَى البحث العلميّ ولا يُثَبَّتُوا فِي وَظَائِفهم إلاَّ بعد ذَلِكَ. وَكَانَ البحث العلميّ هُوَ مطلبه الأكبر وعليه يقدِّر قيمة الأَسَاتِذَة والمساعدين.

وعيَّن الدُّكْتُور رِيتْشَارْد لَهُ وكيلاً من المِصْرِيِّينَ وتخيَّره من بين الشُّبَّان الأذكياء وذوى النشاط القادرين عَلَى مساعدته.

عمل الدُّكْتُور رِيتْشَارْد عَلَى أن يكون المستشفى كَبِيرًا والمَدْرَسَة كَبِيرَة عَلَى النمط الحديث، فتكونت لجنة عاينت مختلف الأمكنة الفضاء بالْقَاهِرَة، واختارت المركز الَّذِى خُصِّصَ لَهَا الآن، أى شمال جزيرة الروضة، وعمل تصميم البناء بمسابقة دوليَّة بحجت فيها مَحَلاَّت ديكسون سبين، ثم أعيدت المسابقة ثَانِيَةً بين الناجح وعَشَرَة من البيوتات الكَبِيرَة الدَّوْلِيَّة الَّتِى لم تشترك فِي المسابقة الأُولَى فكَانَت أول الناجحين أيضًا.

واستقال الدُّكْتُور رِيتْشَارْد من منصبه سَنَة ١٩٢٤ عَلَى إثر خلاف ومشادَّة بينه وبين وزير المَعَارِف سعيد باشا فِي وَزَارَة سعد باشا، وَذَلِكَ لأنه كَانَ ينقصه – أى رِيتْشَارْد– الكَثِير من المرونة.

ونُفِّذَتْ إصلاحاته الْعَديدة بسرعة كَبيرَة وبمنتهى الدقَّة فِي الزمن القصير الَّذِى سمح لَهُ بعمل كُلّ التغييرات، وإذا لم يلقَ ما يستحقُّه من الإنصاف فَمَرَدُّ ذَلكَ إلى ضغائنَ شَخْصِيَّة، ودسائس دُبِّرَت لَهُ لأسباب ومطامع صَغيرَة.

وبخروجه تخبطت المَدْرَسَة وكاد يُقْضَى عليها، خصوصًا بعد أن التحقت بهَا عناصر انتفعت بِهَذَا الظَّرف وكَثُرَ الدَّسُّ بين أعضاء هيئة التَّدْرِيس وتَفَشَّى التشاحُن والتخاصُم وأصبحت مسرحًا للفوضى لو لم تتداركها عناية جلالة الملك فُؤَاد إذ صدر فِي هَذَا الْوَقْت قرار بإِنْشَاء الجَامِعَة المِصْرِيَّة وجَعْل مَدْرَسَة الطِّبّ إحدى كُلِّـيَّاهَا، وأن تتبع فِي نِظَامها وأحكامها نِظَام وأحكام الجَامِعَات[11].

الأُسْتَاذ الدُّكْتُور هرمان شفيتزر:

حصل عَلَى دبلوم المَدْرَسَة الفيدرالية العُلْيَا بزيورخ فِي سويسرا (١٩٠١)، ثم دُكْتُوراه من المَدْرَسَة الفيدرالية العُلْيَا بزيورخ فِي سويسرا (١٩٢٠). وقد عمل مُهَنْدِسًا بشركة R.N.A بقسم الْكَبَارِى (١٩٠٢-١٩٠٤)، ومُهَنْدِسًا بقسم الخرسانة المسلَّحة بفرانكفورت (١٩٠٤- ١٩٠٦) ومُهَنْدِسًا بقسم الْكَبَارِى بشركة بنسلفانيا للمنشآت الْمَعْدنِيَّة بأمريكا (١٩٠٦- ١٩٠٨) وقد قام بتصميم وتنفيذ مَجْمُوعَة من الْكَبَارِى الْمَعْدنِيَّة عَلَى قناة كيل بأَلْمَانْيَا (١٩٠٩- ١٩١٩) وعمل بقسم الْكَبَارِى بالسكة الحديد السويسرية (١٩٢٠- ١٩٢٥) وأُسْتَاذًا بمَدْرَسَة الهَنْدَسَة الملكيَّة العُلْيَا بالجيزة (١٩٢٥) وأُسْتَاذًا متفرغًا بكلِّـيَّة الهَنْدَسَة بجَامِعَة الْقَاهِرَة (١٩٥٥).

---

(11) عزب وعابد- ٢٠٠٧ - ص٢١٣- ٢١٤.

ويُعتبر الدُّكْتُور هرمان شفيتزر رائد الهَنْدَسَة الإنشائية بِمِصْر حيث وضع أسس تدريس مَوَادِّ الهَنْدَسَة الإنشائية جميعها منذ مَقْدِمِهِ من سويسرا إِلَى مِصْر عام ١٩٢٥، وَكَانَ يجمع بين الجانبَيْن النظريِّ والعَمَلِيِّ. وقام بترجمة مقرَّرات حساب الإنْشَاءات والْكَبَارِي والمنشآت الْمَعْدِنيَّة والخرسانيَّة إِلَى اللُّغَة الإنْجليزيَّة، وَكَانَ يدرِّسها جميعها بنفسه لجميع السنوات الدِّرَاسيَّة. قام بأَبْحَاث رائدة فِي مجال التحليل الفراغي للمنشآت والْكَبَارِي الْمَعْدِنيَّة، وقد تَمَكَّنَ من الحصول عَلَى مركز الالتواء للقطاعات المختلفة قبل معرفته عالَمِيًّا، ووضع النظريَّة العِلْميَّة لاتحاد الخرسانة مَعَ الحديد ليعملا فِي قطاع مشترك قبل الحرب العالَميَّة الثَّانيَة، وقد استخدام الأَلْمَان هَذِهِ النَّظَرِيَّة فِي بناء عَدِيد من الْكَبَارِي. ووضَع الْعَديد من مقرَّرات الدِّرَاسَات العُلْيَا بكلِّيَّة الهَنْدَسَة ومنها نَظَرِيَّة الْمُرُونَة واللُّدُونَة واللحام من الناحية الإنشائية الْكَبَارِي المتحرِّكَة، والطرق المختلفة لإقامة الْكَبَارِي الْمَعْدِنيَّة، وأشرف عَلَى الْعَديد من رسائل الماجستير والدُّكْتُوراه بالكلِّيَّة بعد أن صدرت لائحة الدِّرَاسَات العُلْيَا عام ١٩٤٠[12].

شارل كويتز Charles Kuertz (1895-1978):



عالِم لُغَوِيَّاتٍ متميِّز، رأس أَكَادِيمِيَّة الْفُنُون واللعوم والآدَاب عام ١٩٣٨، وعلى يد فيكتور لوريه اتجه إلى عالَم الاستشراق، ويهتمُّ بالوثائق

(12) دليل قسم الهندسة الإنشائية- كلِّيَّة الهندسة- جَامِعَة القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٢.

الهيرُوغْلِيفِيَّة وكَذَلِكَ القِبْطِيَّة والعَرَبِيَّة. فِى عام ١٩١٩ وصل الْقَاهِرَة وأقامَ بالْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ للآثار الشَرْقِيَّة لمدة عامين، وعمل بمَصْلَحَة الآثار حيث شارك فِى إعداد كتالوج مُتْحَف الْقَاهِرَة، وعمل بمَدْرَسَة الآثار المِصْرِيَّة، ثم بالجَامِعَة المِصْرِيَّة، وأسهم فِى إعداد علماء المِصْرِيَّات الأوائل. وبعودته إلى الْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ للآثار الشَرْقِيَّة أَصْبَحَ أمين المكتبة تحت قيادة بيير جوجيه. فِى عام ١٩٥٣ عُيِّنَ مُدير الأَبْحَاث بالسنرس CNRS، ولكنه بَقِىَ بالْقَاهِرَة، والتحق بمركز الدِّرَاسَات والتوثيق القَدِيم بالْقَاهِرَة (CEDAE)، وشارك فِى الأَعْمَال الأثرية بالنوبة، ونشر بالاشتراك مَعَ كريستيان ديروش نوبلكور "المعبد الصغير بأبو سمبل" عام ١٩٦٨، وقام بدور نشيط فِى الْمَعْهَد المِصْرِيّ وفى الأَكَادِيميَّة العَرَبِيَّة وجَمْعِيَّة الآثار القِبْطِيَّة. وعاش بمِصْر حَتَّى وفاته، وَكَانَ يزور من وقت إلى آخر الـــ CEDAE، وهو عالم لُغَوِيَّات بالفطرة لدرجة أنك عندما تقابله لا يستطيع أن يمنع نفسه من تحليل اسمك ورَجْعه إلى أصوله اللُّغَوِيَّة. واهتمَّ كَثِيرًا باللهجات النوبيَّة، والإفْرِيقية كَذَلِكَ، والكتاب الَّذِى ظهر فِى ذِكْرَاهُ لم يكُن عَلَى قدر معارفه المتنوعة وأَبْحَاثه[13].

بيير جوجيه Pierre Jouguet (1869- 1949):



خَلَفَ جاستون ماسبيرو كمدير للمَعْهَد الفَرَنْسِيّ للآثار الشَرْقِيَّة بالمنيرة، رغم أنه لم يكُن عَالِمَ مِصْرِيَّات، ولكنه عَالِمٌ مُتَخَصِّص فِى الدِّرَاسَات اليُونَانيَّة وعضو بأَكَادِيميَّة أثنيا، وَكَانَ

(13) Lecuyot, 1998, P.40.

هُوَ المؤسِّس الثَّانى لعلم الدِّرَاسَات البَرْدِيَّة اليُونَانيَّة فِى فَرَنْسَا. كَانَ مديرًا للمَعْهَد الفَرَنْسِىّ -كَمَا قلت- منذ عام ١٩٢٨ وحتى ١٩٤٠، وانتُخب عضوًا بأكاديميَّة النقوش والْفُنُون الجَمِيلَة، وشغل وَظِيفَة بُرُوفِيسُور بكلِّـيَّة الآدَاب فِى ليل Lille (١٨٩٨- ١٩١٤) وفى EPHE (١٩١٨- ١٩٢٠) وفى السُّوربُون (١٩٢٠- ١٩٢٧).

يَصِفُهُ العالِم المعروف جون شيرر بأنه (رجل جنوبىٌّ) يتّقد حماسةً ولا يكلّ ولا يتعب من العمل، ويحب المشاريع الكبرى. ونشر بوصفه مؤرِّخًا لمصر الهلّلينستِيَّة كتابه "الحياة المحلية فِى مِصْر الرُّومَانيَّة" عام ١٩١١، و"الاستعمار المقدونى وهلّلينستِيَّة الشَّرْق" عام ١٩٢٦، و"مصر اليُونَانيَّة الرُّومَانيَّة منذ غزو الإسكندر حَتَّى دقلديانوس" عام ١٩٣٢.

جاء إلى مصر عام ١٨٩٤ بناءً عَلَى طلب جاك دو مورجان، من أجل دِرَاسَة المواقع اليُونَانيَّة الرُّومَانيَّة والآثَار وبخاصَّة البردىّ، وعاد لَهَا عام ١٨٩٧-١٨٩٨ وعام ١٩٠١ للقيام بحفائر فِى الفيوم، وأرسل إلى فَرَنْسَا مَجْمُوعَة وثائق نادرة، حَفِظَهَا بمَعْهَد الدِّرَاسَات البَرْدِيَّة فِى لِيل Lille. وفى عام ١٩١٤ كَانَت اكتشافاته فِى إدفو، وفى عام ١٩٤٠ وفى ١٨ أَبْرِيل رأس المَجْلس الوطنى الفَرَنْسِىّ بمِصْر، وبقى بمِصْر كمستشار ثَقَافِىٌّ فِى مسألة الشَّرْق وأُسْتَاذ بجَامِعَة فُؤَاد الأَوَّل بالْقَاهِرَة (١٩٣٧- ١٩٤٩) ومؤسِّس مشارك ورَئِيسٍ للمَعْهَد المِصْرِىّ، وهو رَئِيس جَمْعِيَّة الدِّرَاسَات البَرْدِيَّة الَّتِى تأسَّسَتْ تحت رعاية الملك فُؤَاد الأَوَّل بين عام ١٩٢٩ وعام١٩٣٠، ونشر بالاشتراك مَعَ أَلِكْسَنْدَر موريه Alexander Moret "دَوْرِيَّة الدِّرَاسَات المِصْرِيَّة" "La Revue Egyptologique"، وأسس كَذَلِكَ "مَعْهَد الدِّرَاسَات الهلّلينستِيَّة

بالإِسْكَنْدرِيَّة" عام ١٩٤٧. وغادر مِصْر عام ١٩٤٩ لظروف صِحِّــيَّة، وتُوُفِّيَ فِي نفس العام عشيَّة المُؤْتَمَر الدَّوْلِيّ السادس للدرَاسَات البَرْدِيَّة(14).

هنرى هن Henri Hene (1895-1983):

أقام عام ١٩٥٠ بالْمَعْهَد الفَرَنْسِيِّ للآثار الشَرْقِيَّة، وهو عالم برديَّات كَبِير، فهو تلميذ بيير جوجيه فِي EPHE ومسئول عَن حفائر إدفو، وَكَانَ محظوظًا إذ عثر عَلَى أرشيف يونانٌ مُهِمٌ، وتَوَلَّى نشره روجيه ريموندون بعد ذَلِكَ بثلاثين عامًا. وبعد إِقامته بالْمَعْهَد الفَرَنْسِيِّ بقى بِمِصْر عامًا آخر كأُسْتَاذ للتَارِيخ القَدِيم بالجَامِعَة المِصْرِيَّة. وفى عام ١٩٢٧ ولدى عودته إلى فَرَنْسَا عُيِّن أُسْتَاذًا للدرَاسَات البَرْدِيَّة والتَّارِيخ القَدِيم بكلّــيَّة الآدَاب بجَامِعَة لِيل، وظلّ يشغل هَذِهِ الوَظِيفَة حَتَّى عام ١٩٦٠(15).

ألبرت بوفيليه Albert Pouphilet (1905-1990):

هُوَ أُسْتَاذ الآدَاب الفَرَنْسِيّ فِي العُصُور الوسطى بالسُّورْبُون، وابتداءً من عام ١٩٤٤ وحتى عام ١٩٤٨ أَصْبَحَ مديرًا للمَدْرَسَة. وألقى مُحَاضَرَات بالجَامِعَة المِصْرِيَّة عام ١٩٠٩–١٩١٠ أَيَّام السبت والثلاثاء من السادسة والنصف وحتى السابعة والنصف مساءً (وثيقة محفوظة فِي أرشيف مَدْرَسَة سيفر بمكتبة المَدْرَسَة)(16).

---

(14) Lecuyote, 1998, P.39-41.

(15) Lecuyote1998, P.46-7، 1998، P. 46-7. ونعرف أنه هناك كَانَ أستاذ فَرَنْسِيّ آخر هُوَ جابرييل بونور Gabriel Bounoure (١٨٨٦– ١٩٦٩) جاء الى مصر عام ١٩٥٢–١٩٥٣ ليشغل وظيفة رئيس القسم الفَرَنْسِيّ بجَامِعَة عين شمس الحديثة العهد، انظر: Ibid, P.53.

(16) Ibid, P.53.

برنارد جويون Bernard Guyon (1904-1975):

هُوَ أُسْتَاذ الأَدَب فِي جانْت Gand (١٩٣١- ١٩٣٩)، وبعد الحرب وفى عام ١٩٤٥ وافق عَلَى السفر إِلَى مصر ليشغل وَظيفَة رَئِيس قِسْم الأَدَبِ الفَرَنْسِيِّ بجَامِعَة فُؤَاد الأَوَّل بالْقَاهِرَة، وبقى بِهَا سبعة أعوام حَتَّى عام ١٩٥٢. وعقد الْعَديد من الندوات بالْقَاهِرَة والإِسْكَنْدرِيَّة والإِسماعيلِيَّة وبورسعيد عَن الأَدَب والدِّين، فهو محرِّك نشيط لجَمْعِيَّة الصَدَاقَة المِصْرِيَّة الفَرَنسِيَّة المِصْرِيَّة، واهتمَّ هُوَ وزوجته بالإِسْلاَمِ، وعاد إِلى فَرَنْسَا عام ١٩٥٢ واستقرَّ فِى أَكس-أن-بروفانس كأُسْتَاذ بالجَامِعَة ثم عَمِيد (١٩٥٧-١٩٦٧)[17].

بيير لاكو Pierre Lacuu (1873-1963):

عالِم مِصْرِيَّات فَرَنْسِيٌّ مشهور، وُلد فِى برى-كونت-روبرت Brie-Conte-Robert فِى ٢٥ نوفمبر ١٨٧٣، وهو ابن مُهَنْدِسٍ. التحق أولاً بمَدْرَسَة المعلِّمين لدِرَاسَة الجُيُولُوجْيَا ثم التَّارِيخ الطبيعيِّ بالسُّورْبُون ثم اتجه إلى الفَلْسَفَة وحصل عَلَى شهادتها عام ١٨٩٧. ولكنه درس اللُّغَات الشَرْقِيَّة فِى نفس الْوَقْت، فكان يدرس العِبْرِيَّة وكتب مقالة بِهَذِهِ اللُّغَة فِى "دورية الدِّرَاسَات الآشورية" Revue d'assyriologie، فِى سنِّ الحادية والعِشْرين، وبتأثير من ماسبيرو، اتجه لدِرَاسَة القِبْطِيَّة والمِصْرِيَّة الْقَديمَة، والتحق بالْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ بناءً عَلَى نصيحة ماسبيرو وبدأ العمل فِى كتالوج مُتْحَف الْقَاهِرَة. وصل الْقَاهِرَة عام ١٨٩٩، وفى عام ١٩٠١ نشر مقاله الأول عَن موضوع مِصْرِىّ هُوَ "نصوص من العهد القَدِيم مكتوبة

---

(17) Lecuyote, 1998, P.54.

بالقِبْطِيَّة"، والجزء الَّذى أنجزه بكتالوج مُتْحَف الْقَاهِرَة كَانَ عَن التوابيت عام ١٩٠٦، واهتمَّ بالنصوص والتحليل اللُّغَوىّ، وقاده هَذَا العمل إلى الاهتمام بالنُّصُوص الدينِيَّة فقام بنشر الْعَديد من المقالات عَن نصوص التَّوَابِيت. وفى عام ١٩١٢ عَمِلَ مديرًا للمَعْهَد الفَرَنْسيّ للآثار الشَرْقِيَّة بالْقَاهِرَة، وفى العام التالى انتُخب عضوًا بالمجمع المِصْرِىّ، وخدم فِى الجيش الفَرَنْسِىّ فى أثناء الحرب العالَمِيَّة الأُولَى، ولكن فِى عام ١٩١٥ عاد ثَانِيَةً إِلَى مِصْر ثم أَصْبَحَ رَئِيسًا لِهَيْئَةِ الآثَار عام ١٩١٤، وعام ١٩١٩ تزوج بأنا مارى برنارد Anne- Marie Bernard ابنة أُستَاذ الجُغْرَافيَا بالسُّورْبُون، وعمل مراسلاً لأَكَادِيمِيَّة الْفُنُون والآدَاب عام ١٩٢٣، وَكَانَ لَهُ مَوْقفُهُ عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون حيث وقف ضدّ الإِنْجليز وأصرّ عَلَى أن يُبْقَى عَلَى آثار توت عنخ آمون بِمِصْر، وعاد إلى فَرَنْسَا عام ١٩٣٦ وخَلَفَ موريه Moret فِى كرسِيِّه بفَرَنْسَا عام ١٩٣٨، ثم عام ١٩٣٩ أَصْبَحَ عضوًا بأَكَادِيمِيَّة الْفُنُون والآدَاب، وبعد الحرب زار مِصْر ثلاث مَرَّات فيما بين عامَى ١٩٥٠ و١٩٥٤. وتُوُفِّىَ فِى بَارِيس فِى ٢٧ مارس ١٩٦٣[18]، وَكَانَ لسنوات عضوًا بمَجْلس إِدَارَة كلِّيَّة الآدَاب.



بيرسي إدوارد نيوبرى Percy Edward Newbery (1869-1949):

عالِمُ مِصْرِيَّات إِنْجلِيزِىّ وعالِم نَبَاتَات كَذَلِكَ، وُلد فِى إِيلينج Ealing فِى ٢٣ أَبْرِيل ١٨٦٩، وهو ابن

(18) Dawson, P.160-161.

هنرى جيمس نيوبرى وزوجته كارولين. تَلَقّى تَعْليمه فِى المَدْرَسَة الملكيَّة والكلّــيَّة الملكيَّة بلندن ودرس علم النَّبَات وعلم الآثَار وعمل مساعدًا لــ"آر.إس.بول" R.S.Poole فِى أوئل حياته، ١٨٨٤-١٨٨٦، ولمعرفته بالنَّبَاتات استطاع أن يساعد بترى ويكتب بعض فصول كتابه عَن عوارة عام ١٨٨٩ وكاهون عام ١٨٩٠، وعمله المستقلّ كَانَ عندما كُلِّفَ بقيادة بعثة أَثَرِيَّة فِى بنى حسن والبرشا ما بين عامَى ١٨٩٠ و١٩٩٤، ثم قاد بعثة أُخْرَى فِى جَبَّانة طِيبَة، وأشرف عَلَى حفائر اللُّورْد أمهرست ماركيز نورث هامبتون ومارجيريت بنسون وتيودور ديفيز والمدام ثيثوس عام ١٨٩٥ و١٩٠٥، وعمل أُسْتَاذًا للتَاريخ القَدِيم والآثَار بالجَامعَة المِصْرِيَّة فيما بين ١٩٢٩-١٩٣٢، ورأس قسم التَّاريخ بالجَمْعِيَّة البرِيطَانِيَّة، وَكَانَ نائب رَئِيس الْمَعْهَد المَلَكِيّ للدرَاسَات الأنثروبولوجيَّة عام ١٩٢٦، ونائب رَئِيسِ لجَمْعِيَّة الآثَار المِصْرِيَّة بلندن، وَالَّتِى عمل لَهَا خلال مشوار دام خمسةً وستين عامًا ابتداء من عام ١٨٨٩، وكتب الْعَدِيد من المقالات والدِّرَاسَات فِى الدَّوْرِيَّات العِلْمِيَّة مثل ASAE وJEA وZAS.

ونشر أَعْمَاله فِى بنى حسن والبرشا فِى كُتُبٍ ظهرت أعوام ١٨٩٣-١٨٩٥، كَمَا عَمِلَ بكتالوج المُتْحَف المِصْرِيّ وقام بنشر التماثيل الجنائزية والتوابيت الصَغِيرَة فِى جزأين أعوام ١٩٣٠-١٩٣٧[19].

(19) Dawson, 1972, P. 216-17; Id., 1950, P. 101-103.

فلاديمير فيكنتيف Vladimir Vikentiv:

وُلد فيكنتيف فِى رُوسْيَا، وعندما انتهى من دِرَاسَته الثَانَويَّة اتجه إلى دِرَاسَة اللُّغَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة عَلَى يد البُرُوفِيسُور أدولف إرمان فِى برلين وبوريس توراجيف فِى سان بطرسبرج ومُوسْكُو.

وأَوَّل أَعْمَاله فِى النشر العلمىّ فِى مجال علم المِصْرِيَّات ظهر عام ١٩١٧ عَن (قصَّة الأخوين) "بَرْدِيَّة أُورُوبِّينى" وترجمة للنصِّ المِصْرِىّ وتعليق وقصص مشابهة. وعمل بوَظَائف عَديدة منها: أَمِينُ مُتْحَف للمَجْمُوعَات الشَرْقِيَّة بالْمُتْحَف التَّارِيخِىِّ بمُوسْكُو، وأَمِينٌ لآثَارِ الشَّرْق الأَدْنَى بمُتْحَف الْفُنُون الجَمِيلَة بمُوسْكُو ومديرًا لمَعْهَد مُتْحَف الشَّرْق الكِلاَسِيكِىّ بمُوسْكُو، ومدير المُتْحَف المَحَلِّىّ فِى إنانوفو-فوزنسنسك Inanova-Voznessensk، وانتُخب عضوًا بمَعْهَد اللُغَوِيَّات والآدَاب بمُوسْكُو.

وفى عام ١٩٢٣ جاء البُرُوفِيسُور فيكنتيف ليتابع أَبْحَاثَهُ بمصْر وبقى بهَا منذ ذَلكَ الحين. وابتداءً من عام ١٩٢٤ أَعْطَى مُحَاضَرَات فِى اللُّغَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة بالجَامِعَة المِصْرِيَّة وبمَعْهَد الآثَار، والتحق بمَدْرَسَة المعلِّمين ثم بكلِّـيَّة الآدَاب (بقصر الزعفران)، ثم عُيِّنَ أُسْتَاذًا بمَعْهَد المِصْرِيَّات بالجَامِعَة المِصْرِيَّة بالجيزة.

اهتمَّ البُرُوفِيسُور فيكنتيف خُصُوصًا بالأَدَب والقَصَصِ الشَّعْبِىّ، وقارن مِصْر الْقَدِيمَة ببلدان أُخْرَى. وقام بنشر الْعَدِيد من الأَعْمَال عَن الآثَار والتَّارِيخ المِصْرِىّ القَدِيم.

وَكَانَ يكتب -بجانب الرُّوسيَّة- باللُّغَة الفَرَنسيَّة، وأبدى اهتمامًا بالغًا بكل ما يختص بالتَّارِيخِ والأَدَبِ والقَصَصِ الشَّعْبِيّ.

وروايته المعروفة "تأريخ الحياة" يختلط بِهَا الوَاقِع بالخيال، وألَّف غير ذَلِكَ الْعَدِيد من القِصَصِ لَكِنَّه لم يهتم بنشرها[20].

ومن تلامذته المبرزين ضياء أبو غازى (الأُسْتَاذَة الدُّكْتُورة المعروفة ومديرة المُتْحَف المِصْرِيّ فى ما بعد). وتأثرت ضياء أبو غازى كَثِيرًا عندما علمت بوفاته، وبعثت بِهَذِهِ الرسالة فِى الثامن من فبراير عام ١٩٦٠:

"غادر البُرُوفِيسُور فلاديمير فيكنتيف الحياة مسببًا حزنًا كَبيرًا فِى قلوب كُلّ من عرفوه أَو تَعَلَّمُوا عَلَى يديه، الكل يعرف عنه حماسته ووُدَّه وعطفه. البُرُوفِيسُور فلاديمير فيكنتيف نشر مؤسسات مُتَخَصِّصة فِى الدِّرَاسَات المِصْرِيَّة بِمِصْر. وكرَّس جزءًا كَبيرًا من حياته لإلقاء الضوء عَلَى معنى الآثَار، وسوف يظلُّ اسمه عَلَمًا عَلَى تَارِيخ هَذِهِ الْفَتْرَة، ودِرَاسَاته فِى الأَدَب المقارن رائدة فِى الطريق لِمَنْ يريد أن يسير عَلَى نهجه.

وإنها لصدمة كَبِيرَة أن يفقد الطَّالِب أُسْتَاذه، ولكن من الواجب جَمْع أَعْمَاله. وقمت بجمع أَعْمَاله فِى الثلاثين عامًا الأخيرة[21]، وهَذِهِ ليست كُلّ

(20) Popadoupoulo, 1960, P. 306-308.

(21) ونذكر بالمناسبة أن ضياء أبو غازى هِيَ بدورها رحلت تاركة وراءها ذكرى طيبة لكل من عرفها، وأفاد من علمها ومعونتها كُلّ الباحثين بمكتبة المُتْحَف المِصْرِيّ، رحمها الله، وعن الأعمال التى جمعتها ضياء أبو غازى راجع: Ibid, P.309-12.

أَعْمَاله، فسوف يظهر لَهُ دِرَاسَات، وسوف تنشر لَهُ مِجَلَّة [حَوْلِيَّات هَيْئَة الأَثَار] المزيدَ فِي أعدادها القادمة...".

وهَذِهِ الرسالة تعبِّر عَن وفاء طالبة تجاه أُسْتَاذها، واعتراف منها بأُسْتَاذيته وخلقه الرفيع الَّذِي تَمَتَّعَ بِهِ[22].

كيبل أرشيبال كاميرون كرزويل Keepel Srchieald Cameron Creswell (1879):



وُلد "ك. أ. ك كرِزويل" يوم ١٣ سِبْتَمْبِر سَنَة ١٨٧٩، وَكَانَ الابن الوحيد لكيبل كرِزويل، والتحق بمَدْرَسَة وِسْت منستر، وتَمَيَّزَ فِي العُلُوم فالتحق بالمَدْرَسَة الفنِّـيَّة فِي المرحلة الإِعْدَادِيَّة، وطوَّر أَدَوَاته الَّتِي ساعدته فِي رسم تخطيطات الأَثَار الإِسْلَامِيَّة، ولاستكمال دِرَاسَته فِي هَذِهِ المرحلة حصل عَلَى وَظِيفَة مَعَ الإخوة سيمنس بشركة الإلكترونيات بوولوتش.

ومثل باقي الفتيان من جيله عندما فكَّر فِي زيارة الشَّرْق قرأ "ألف ليلة وليلة" ثم قرأ لجورج رولنسن G. Rawlinson "سبعة ملوك من الشَّرْق" وَالَّتِي حصل عليها كجائزة من المَدْرَسَة، وبقى معه هَذَا الاهتمام بالشرق حَتَّى إذا كَانَ عام ١٩١٠ بدأ فِي دِرَاسَة الفنّ الإسلاميّ، ووضع أُسُسَ مَكْتَبَة خاصَّة كَبِيرَة حول هَذَا الموضوع، وفى عام ١٩١٣ أعطى أولى مُحَاضَرَاته أمام الجَمْعِيَّة الملكيَّة الأَسْيَوِيَّة، ونظرًا إلى قِلَّة الإمكانيات المادِّيَّة لم يستطِع السفر إِلَى الشَّرْق لمتابعة اهتمامه...

---

(22) Ibid, P. 313; Dawson, 1972, P. 293-94.

ولم يتحقق حلمه ويصبح حقيقةً إلاَّ بعد بدء الحرب العالَمِيَّة الأُولَى، حيث التحق بسلاح الطيران الْمَلَكِيّ، وفى أول نوفمبر سَنَة ١٩١٦ عُيِّن بِمِصْرَ كملازمٍ ثالث، ثم أَصْبَحَ بالتالى كَاتِبًا لدى الجِنرَال السير جيوفرى سالموند Geeofrey Salmond، ثم خدم ككَاتِبٍ مَعَ الجِنرَال السِّير سفتن برانكن Seftn Branoken.

فِي يُونْيُو سَنَة ١٩١٩ نشر فِي مِجَلَّة الْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ للآثار الشَّرْقِيَّة BIFAO "تَارِيخ مُخْتَصَر للآثار الْمُحَمَّدِيَّة بِمِصْرَ"، ثم انتقل للعمل فِي حلب بسوريا ضمن فريق التفتيش الَّذِى ضمَّ اثنين من الإِنْجِلِيز واثنين من الفَرَنْسِيِّينَ، وَكَانَ جارستانج وديفيد هوجارت وراء اختياره للعمل. وبدأ عمله يوم ٤ أغسطس سَنَة ١٩١٩، وأخذ صورًا لِتِسْعَة وخَمْسِينَ أثرًا إسلاميًّا بحلب، وقام بعمل تخطيط لِخَمْسَةَ عَشَرَ منها، ثم قام بعمليَّة مسح أثريٌّ بعد ذَلِكَ فِي شرق سوريا، وعندما انسحبت القوات البرِيطَانِيَّة من شمال سوريا فِي نِهَايَة نوفمبر ١٩١٩ بعد توقيع اتفاق سايكس بيكو Sykes-Picot انتقل كرِزويل إلى مركز قيادة جديد فِي عمان، وفيما بعد فِي حيفا فِي هَذِهِ الْفَتْرَة، وَكَانَ الأثرىُّ الإِنْجلِيزِىّ مكاى E.J.H. Mackay عضوًا فِي فريق تفتيش بالمنطقة، وقام مَعَ كرِزويل بعمل خط فاصل بين يافا والقدس، وَكَانَ كرزويل مسئولاً عَن المنطقة الوَاقعة شمال الخطّ، ثم قرَّر أن يكتب تَارِيخ العِمَارَة الإِسْلاَمِيَّة فِي مِصْر، وفكَّر فِي طلب مساعدة ماليَّة من السفارة البرِيطَانِيَّة، ولكنّ صديقًا نصحه بأن الملك فُؤَاد مهتمٌّ بالموضوع الَّذى عرضه عَلَى جلالته بالفعل ووعد بالمساعدة، وعمل رسولاً للملك بشكل مؤقَّت فِي الإِسْكَنْدرِيَّة، وقاد سفينة تحمل أسرى أتراكًا، ثم أَصْبَحَ مسئولاً عَن مكتب

الخارجيَّة ومعه حقيبة دبلوماسية، ووصل لندن فِي يناير ١٩٢٠ وظل هناك حَتَّى أكتوبر من نفس العام عندما تَمَكّنَ من السفر إلى الإِسْكَنْدرِيَّة ومعه اثنان وعشرون صندوقًا تحمل مكتبته، وَكَانَ هَذَا التَّارِيخ الأهمّ فِي حياته، حيث انتقل إِلَى المجال الَّذِى سوف يبقى فِيهِ باقى عمره، فَفِى الْقَاهِرَة كَانَ عليه أن يعثر عَلَى منزل لَهُ ولكتبه، وبالفعل عثر عَلَى شَقَّة كَبيرَة جيِّدة التهوية فِي الدور العلوى فِي عمارة حَديثَة بشارع حسن الأكبر، وَكَانَ هَذَا منزله لمدة ستة وثلاثين عامًا، حَتَّى كَانَت أزمة قناة السويس سَنَة ١٩٦٥.

فِي الْفَتْرَة من أكتوبر حَتَّى يُونْيُو ركّز عمله فِي "تَارِيخه" وصُوَره ورَسْمِ تخطيطاته للآثار، ثم عاد إِلَى لندن وبقى بِهَا حَتَّى سِبْتَمْبر، يجمع المَادَّة الخاصَّة بمشروعه التالى الكَبِير "ببليوجرافيا العِمَارَة والفنِّ والحِرَف فِي الإِسْلاَم"، وبدأ فِيهِ بالفعل فِي سَنَة ١٩٢١، ولم يجد فِي المكتبات مَادَّةً عِلْمِيَّة تساعده فِي ما يريد فاعتمد عَلَى ما لديه، وقام بنشر مقالات قصيرة حَتَّى سَنَة ١٩٣٢ عندما ظهر الجزء الأول من كتابه "العِمَارَة الإِسْلاَمِيَّة الْمُبَكِّرَة" وَالَّتِى عالجت الْفَتْرَة الممتدة من العهد الأموى وحتى سقوط الأمويين عام ٧٥٠م، وَكَانَ تحت رعاية الملك فُؤَاد، ثم تبعه الجزء الثَّانِى عام ١٩٤٠ الَّذِى غَطَّى العصر العباسىَّ الأول، والعصر الأموى فِي قرطبة، وآثار الأغالبة والدولة الطولونيَّة والدولة السامانيَّة، وبَقِيَ الجزآن فِي هَذِهِ الْفَتْرَة بلا طباعة. وامتدحت الحُكُومَة المِصْرِيَّة علمه وعمله هَذَا، وَعَيَّنَتْهُ عام ١٩٣١ أُسْتَاذًا للفنِّ والعِمَارَة الإِسْلاَمِيَّة بجَامعَة فُؤَاد الأَوَّل، وفى هَذِهِ الْفَتْرَة أنشأ مَعْهَد الْفَنِّ والآثَار الإِسْلاَمِيَّة، وظل يشغل وَظيفَة الْمُدِير حَتَّى عام ١٩٥١، وفى نفس العام الَّذِى عمل فِيهِ بالجَامعَة شارك فِي تنظيم معرض الآثَار الفارسيَّة الكَبِير الَّذِى عُقد فِي

لندن فِى أوائل عام ١٩٣١ فِى بيرلنجتون هاوس فِى لندن، وظلّ يتلقى الاعتراف بخدماته للعمارة الإِسْلاَمِيَّة. وفى عام ١٩٤٦ كَرَّمَتْهُ جَامِعَة أُكْسفُورْد بِمَنْحِه الدُّكْتُوراه الفخريَّة فِى الأَدَب. وفى عام ١٩٤٧ انتُخب زميلاً بالأَكَادِيمِيَّة البرِيطَانِيَّة، وفى نفس العام دَعَتْهُ جَامِعَة برنستون ليقود قسم فنِّ الشَّرْق الأدنى خلال الاحتفال بمناسبة مرور نصف قرن عَلَى إنشائه، وَمَنَحَتْهُ دَرَجَة الدُّكْتُوراه الفخريَّة فِى الأَدَب، وفى عام ١٩٤٨ مَنَحَتْهُ جَمْعِيَّة الدِّرَاسَات الأَسْيَوِيَّة ميدالية سيربيرس سيكس التذكاريَّة، ومنذ ذَلِكَ الحين أَصْبَحَ عضوًا شرفيًّا فِى الْعَدِيد من الجَمْعِيَّات.

فِى سَنَة ١٩٥٢ نشرت مطبعة جَامِعَة أُكْسفُورْد الجزء الأول من "العمَارَة الإِسْلاَمِيَّة بِمِصْر-العصر الإخشيدى والعصر الفاطمى من ٩٣٩ إلى ١١٧١م". فِى هَذَا العمل وضع الأُسْتَاذ كرزويل أمام الجمهور ثمار خُطَّة استغرقت ثلاثين عامًا، وبعد ذَلِكَ بسبعة أعوام ظهر الجزء الثَّانِى عام ١٩٥٩ حيث تَلَقَّى مزيدًا من التكريم وَقَدَّمَتْ لَهُ الجَمْعِيَّة الأَسْيَوِيَّة الملكيَّة لبِرِيطَانْيَا العظمى وأيرلندا الميدالية الذهبية. فِى كلمته الموجَزة قال رَئِيس الجَمْعِيَّة السير جيرالد كلوسن: لم يصل فقط الأُسْتَاذ كروزيل إلى القمَّة فِى مهنته، بل إنه أنشأها!.

استمر الأُسْتَاذ كروزيل يعيش بالْقَاهِرَة، وأصبح أُسْتَاذًا متميزًا للفنِّ والعمَارَة الإِسْلاَمِيَّة فِى مَدْرَسَة الدِّرَاسَات الشَرْقِيَّة (الآن مركز الدِّرَاسَات العَرَبِيَّة) بالجَامِعَة الأَمْرِيكِيَّة بالْقَاهِرَة، وفى عام ١٩٦١ تَوَلَّتِ الجَامِعَة الأَمْرِيكِيَّة نشر عمله الكَبِير عَن

"ببليوجرافيا العِمَارَة والفنِّ والحِرَف فِى الإِسْلاَم" وَالَّذِى استغرق من عمره أربعين عامًا[23].

هرمان يونكر Herman Junker (1877-1962):



عالِم مِصْرِيَّات، وُلد فِى بندورف عَلَى الرَّاينْ فِى ٢٩ نوفمبر سَنَة ١٨٧٧، وَكَانَ مُخَطَّطًا لَهُ أن يسير فِى سلك الكهنوت الكاثوليكىّ. ولكنه غيَّر المسار عام ١٩٠٠ والتحق بجَامِعَة فيينَّا عام ١٩٠٧ وأصبح مساعد بُرُوفِيسُور عام ١٩٠٩ ثم بُرُوفِيسُورًا عام ١٩١٢ وعَمِيدًا لكلِّـيَّة الفَلْسَفَة أعوام ١٩١٢-١٩٢٢، وأسس مَعْهَد الْمِصْرِيَّات والدِّرَاسَات الإِفْرِيقية بجَامِعَة فيينَّا عام ١٩٢٣، وأصبح مُدِير الْمَعْهَد الأَلْمَانِىّ للآثار بالْقَاهِرَة عام ١٩٢٩ وعضوًا بالمراسَلَة بأَكَادِيمِيَّة العُلُوم بفيينَّا عام ١٩١٤، ثم عضوًا بِهَا عام ١٩١٩ وعضوًا بأَكَادِيمِيَّة برُوسْيَا للعلوم عام ١٩١٤ وأَكَادِيمِيَّة بافاريا عام ١٩٣٢ والسويد كَذَلِكَ، ومنحته الجَامعَة الوطنيَّة فِى دبلن الدُّكْتُوراه الفَخْرِيَّة عام ١٩٥٣، وأصبح عضوًا شرفيًّا بالكلِّـيَّة الْكَاثُولِيكِيَّة ومنحه البابا لقب "المبجَّل".

كَانَ يونكر رجل آثار من الطراز الأول يعمل فِى الموقع كَمَا يقوم بدور الأَكَادِيمِىّ، وبدأ دِرَاسَاته بدِرَاسَة نصوص ودندرة، وقام بحفائر طُرَة عام ١٩٠٩،

(23) Geddes, 1965, P. x1 - x7 . وعن مُؤَلَّفَاته راجع: Ibid, P. xiv - xix. وراجع عن تحليل أعماله ومُؤَلَّفَاته: Combe, 1965, p 1-7.

واكتشف الكَثير من آثار عصر ما قبل الأسرات والعصر المبكِّر، وكَذَلكَ قام باكتشافات مهمَّة فِي النوبة لصالح أَكَاديميَّة فيينَّا أعوام ١٩١٠-١٩١٢، ثم قام بعمليَّة التنقيب بالدلتا بشمال مصْر (حَضَارَة مرمدة)، وأهمُّ حفائره وَالَّتي خلَّدت اسمه هِيَ تلك الَّتِي قام بِهَا فِي الجيزَة لأَكْثَر من خَمْسَة عَشَرَ عَامًا ابتداءً من عام ١٩١١، واكتشف خِلاَلَها مقابر مهمَّة ترجع إلى عصر الدولة الْقَديمَة، وبعد الحرب العالَميَّة الثَّانيَة نشر نقوش صرح معبد فِيَلَة، ثم هُوَ كأُسْتَاذ أَكَاديميّ تَتَلْمَذَ عَلَى يديه الكَثير من علماء المِصْريَّات فِي أَلْمَانْيا ومصر، وأفاد منه سليم حسن الَّذى عمل معه وتَعَلَّمَ منه وأكمل الحفائر بعده، وعمل معه كَذَلكَ بالجَامعَة المِصْريَّة ونشر أَكْثَر من مائة مؤلَّف فِي الآثَار والتَّارِيخ واللُّغَة والدِّيَانَة والفنِّ(24).

فلاديمير سميونوفيتش جولنيشف Vladimir Semionovitch Golenischeff (1856- 1947):



عالِم مِصْريَّات رُوسِيٌّ، وُلِدَ عام ١٨٥٦ وَكَانَ ابن دوق كَبير، وورث ضيعات والده ولكن لم يَرِثْ ألقابَه. زار مِصْر أَكْثَر من ستِّينَ مَرَّة وأخذ معه مَجْمُوعَة عظيمة من آثارها عام ١٩١١ ويُحتفظ بهَا مُتْحَف مُوسْكُو، وبعد الثورة الرُّوسيَّة لم يعُد إِلَى بلده ثَانيَة، لَكنَّه عاش فِي مدينة نيس الفَرَنسيَّة، وعمل فِي تصنيف بَرْديَّاتِ الْمُتْحَف المِصْرِيّ لبعض الْوَقْت.

(24) Dawson, 1972, P. 154-55; Junker, 1962, P.1.

نشر أوَّل مقالاته عام ١٨٧٦، وَكَانَ عمله الْمُهِمُّ الَّذى لفت إلِيه الأنظار هُوَ لوحة مترينيتش Metternich عام ١٨٧٧، ثم نشر الْعَدِيد من اللوحات السماوية كَذَلِكَ عام ١٨٩١، وأُطلِقَ اسمه عَلَى الْعَدِيد من البَرْدِيَّات: بَرْدِيَّة الملاَّح الغريق، وهى محفوظة بمُتْحَف الهيرميتاج، وبَرْدِيَّات رياضيَّة، وأناشيد وقصة ونأمون، وغيرها من البَرْدِيَّات المُهِمَّة، وكلها محفوظة فِى مُوسْكُو[25].

كَانَ من أشهر شَخْصِيَّات الْقَاهِرَة عام ١٩٣٥. عاش فى فرنسا عام ١٩١٠... وتُمْضِى المدام جولنيشف سيشيل معظم العام فِى مِصْر ويعودان فِى نوفمبر ليعاودا فِى الربيع، وَكَانَ بيت سيشيل معروفًا لعلماء المِصْرِيَّات، ولكنه كَانَ يحب جرُوبِّى بميدان سليمان، ويعتاده مَعَ غيره كُلّ مساء وتحديدًا فِى الخامسة مساءً.

وفى يناير كَانَ رحيل جولنيشف إلى الأقصر بفندق الأقصر، وكَانَت سعادة كبيرة أن تراه فِى صالة الفندق بصحبة بورخاردت وجوجيه وكارتر وفى حجرته هُوَ المعلم الموسكاوى الكَبِير كَمَا يسميه سعاة الفندق.

كَانَ لَهُ مكَانته فِى نظرنا نَحْنُ المقيمين فِى الْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ فِى شبابنا، مواصفاته الشَّخْصِيَّة وسحر هَذَا العالم الكَبِير الموهوب جسمانيًّا وعقليًّا، وهو رجل أَكَادِيمِىّ، ومُربٌّ وعدَّاءٌ ومنقّب ومثقّف عَلَى دَرَجَة كَبِيرَة جدًّا من الذكاء. احتفظ دائمًا بشبابه رغم تقدُّمه فِى السنِّ، وَكَانَ علمه لا يُقَارَن، ويحتفظ دومًا فِى حقيبته بنسخة من قاموس برلين مَعَ أننا كنا نقول إنه ليس بحاجة إِلَى قاموس لأن الكلمات المِصْرِيَّة وكتابتها ومعناها محفورة فِى رأسه. كنّا نقول إن جولنيشف يعرف ١٣ لغة

(25) Dawson, 1972, P. 118.

عَلَى الأقلّ ويتحدث ويكتب بِهَا، فكما يفعل مَعَ اللُّغَة الرُّوسيَّة يفعل مَعَ الإِنْجليزيَّة والأَلْمَانيَّة والفرَنسيَّة (وهى اللُّغَات الَّتِى كتب بِهَا معظم مُؤَلَّفَاته).

عمل بالجَامِعَة المِصْرِيَّة أُسْتَاذًا لفقه اللُّغَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة فِى الأعوام من ١٩٢٣ وحتى ١٩٢٥، وفى نفس الْوَقْت ألقى مُحَاضَرَات فِى مَدْرَسَة الآثَار المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة[26].

شارك فِى إعداد كتالوج المُتْحَف المِصْرِىّ حيث نشر البَرْدِىَّ الهيراطيقىَّ. بقى دومًا يعيش بالْقَاهِرَة ويُمْضِى الساعات الطِّوَالَ بالمُتْحَف وكَذَلِكَ بالجَامِعَة المِصْرِيَّة عَلَى يد الجيل الأول من علماء المِصْرِيَّات المِصْرِيِّينَ[27].

كارلو ألفونسو ناللينو C.A.Nallino (١٨٧٢–١٩٣٨):

أُسْتَاذ بجَامِعَة بَالِيرْمُو بإيطَالْيَا ومُسْتَشْرِق معروف، استدعته الجَامِعَة المِصْرِيَّة لتدريس تَارِيخ الأَدَب العَرَبِىّ بكلــيَّة الآدَاب عام ١٩١٠–١٩١١[28]. ولكنه قَد بدأ بتدريس مُقَرَّرٍ عَن علم الفلك عند العَرَب ونشر مُحَاضَرَاته فِى كتاب عنوانه "علم الفلك، تَارِيخه عند العَرَب فِى القرون الوسطى"، ثم قدَّم عَلَى مدى موسمين دراسيَّين تَارِيخ الأَدَب العَرَبِىّ، ونشرهما كَذَلِكَ بالعَرَبِيَّة فِى صورة كتاب هُوَ "تَارِيخ الآدَاب العَرَبِيَّة مِنَ الْجَاهِلِيَّة حَتَّى عَصْرِ بَنِى أُمَيَّة"، وَكَانَ لمُحَاضَرَاته تأثيرها عَلَى شباب المتعلمين المتحمسين، فكَانَت نقطة تحوُّل، وتَعَلَّمُوا منه مناهج البحث التَّارِيخىّ، وَكَانَ ناللينو ذا طابع تَارِيخى، فقد أشاد بدِرَاسَة التَّارِيخ وأكَّد عَلَى أهميتها للتقدُّم،

---

(26) Vikentiev, 1951, P. 1-7.

(27) Garnot, 1959, P. 183-86.

(28) Martin, 1911, P. 16.

وَمِمَّا زاد من فَاعِلِيَّة أقواله فِي هَذَا الصدد أنها كَانَت تَمَسُّ الاهتمامات المباشرة لمستمعيه، وهم أصحاب الميول الأَدَبيَّة، فقد قال لهم مثلاً: إن الاعتناء بآداب لغة ما وتَارِيخها أمر ضروريٌّ لنهضة الأُمَّة المعنيَّة وتقدُّمها ووحدتها، ورُبَّ أُمَّةٍ نزلت بهَا الهزيمة فِي الحرب ولكنها سَلِمَت من الفناء لتمسُّكها بحفظ آداب لغتها والعناية بتخليد ذكر مآثر قدمائها العِلْمِيَّة والأَدَبيَّة.

وقد لاحظ نالينو أن الحضور مهتمٌّ ومنصت لَهُ وهو يؤكّد عَلَى هَذَا المنهج النقديِّ فِي دِرَاسَة التَّارِيخ، فمن الضروريِّ -فيما قال- امتحان آراء السلف واختيار جميع ما يَسَعُنا من تجارِبهم ومعارفهم بِدِقَّة، فقد قدَّم نالينو تصوُّرًا مقابلاً لِمَا يجرى فِي الأزهر عندما عرض عَلَى مستمعيه مفهومًا مختلفًا عَن عمليَّة البحث بوصفها سعيًا لا ينتهي لفهم حقائق الأُمُور واستكشاف أسرار الكون.

ثم خطا نالينو خطوةً أُخْرَى جَدِيدَة تمامًا عندما تناول التراث التَّارِيخيَّ فِي الثَّقَافَة العَرَبِيَّة بالنقد وأثار الكَثِير من علامات الاستفهام حول الشعر الجاهليِّ: أكَانَت لغة الشعر الجاهليِّ لغة واحدة؟ وكيف تكوَّنت؟ وعلى أيِّ نحوٍ وصلَتْنا؟ أيجوز لنا أن نثق بصحَّة روايتها؟ إلخ. ثم زاد نالينو فِي بحثه فتناول بحثُه النقديُّ الرواةَ[29].

وَكَانَ من أبرز تَلاَمِيذ نالينو طه حسين، وَالَّذِى تأثر بِشِدَّة بفكر نالينو وبخاصَّة فيما يتعلق بالشعر الجاهليِّ، فكَانَت أفكار نالينو هِيَ المَادَّة الَّتِى نسج منها

---

(29) محمودى – ١٩٩٨ – ص ٧٧ - ٨٤.

طه حسين نظريته حول زيف أغلب الشِّعْرِ الجاهليِّ، وهو الَّذِى قدَّم كتاب نالينو "تَارِيخ الآدَاب العَرَبِيَّة"[30].

وبَقِىَ نالينو بِمِصْر وبالجَامِعَة المِصْرِيَّة عدَّة سنين، واستمرَّ يدرِّس بِهَا كُلّ عام، حَتَّى إننا لنجد صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة تتناول شخصيَّته فِى أحد أعدادها[31] بشىء من التفصيل. تقول عنه الصحيفة: "الأُسْتَاذ نالينو صديق قديم لمصر وصديق العُلُوم العَرَبِيَّة الحميم، فلقد كَانَ من أكبر الناهضين بالجَامِعَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة (١٩١٠-١٩١١)، وها هوا الْيَوْم (١٩٣٠) يعمل عَلَى تقدُّم الجَامِعَة المِصْرِيَّة الحَدِيثة بعد أن هُذِّبَت وكثر عدد كُلِّـيَّاتها واتسعت مواضيع البحث فيها".

وذكرت الصحيفة أن أهمَّ صفة يتَّسم بِهَا نالينو هِىَ صفة التواضُع إِلَى أبعد مدًى وأوسع معنًى: "فهو يأبى عليك إِذا ذهبت لزيارته إلاَّ أن تدخل قبله، مَعَ ما لَه من علوِّ المكانة ومع ما أنت عليه من صِغَر السنِّ، وبذلتُ مجهودًا معه حَتَّى جعلته يتحدث معى عَن نفسه".

"وُلد الأُسْتَاذ نالينو بمدينة تورينو فِى إيطَالْيَا الشماليَّة الغربية فِى ١٦ فبراير سَنَة ١٨٧٢، ونشأ فِى أودين Udine، وهى مدينة صَغِيرَة فِى إيطَالْيَا الشماليَّة الشَرْقيَّة، وفيها أَتَمَّ الدِّرَاسَة الابْتِدَائِيَّة والثَانَوِيَّة، وبعد ذَلِكَ انتظم فِى كلِّـيَّة الآدَاب بجَامِعَة تورينو ونال منها شهادة الدُّكْتُوراه فِى يوليو عام ١٨٩٣، وَكَانَ موضوع الرسالة "تهذيب محمَّد بن موسى الخوارزمىِّ لجُغْرَافيَّة بطلميوس" من نسخة خَطِّيَّة

---

(30) نفس المرجع – ص ٧٧ (الهامش٢).

(31) صحيفة الجَامِعَة المِصْرِيَّة – ذو القعدة سَنَة ١٣٤٨ – أَبْرِيل سَنَة ١٩٣٠ ص ٨٥ - ٨٩.

محفوظة فِى ستراسبورج، وعقب حصوله عَلَى الدُّكْتُوراه طلب من الحُكُومَة الطِّلْيَانيَّة أن تسمح لَهُ عَلَى وجه الاستثناء باستعمال الإعانة المقرَّرة لَهُ للسفر إِلَى مِصْر (فالعادة فِى إيطَالْيَا هِىَ أن تمنح الحُكُومَة أربعة طَلَبَة من الحاصلين عَلَى شهادة الدُّكْتُوراه إعانةً يتمكنون بِهَا من التَّخَصُّص فِى المَادَّة الَّتِى يفضِّلها كُلّ منهم بجَامِعَة من جَامِعَات أُورُوبَّا)، فسمحت لَهُ الحُكُومَة، وجاء إِلَى مِصْر فِى يناير سَنَة ١٨٩٤، وكَانَت هَذِهِ فاتحة زيارته لمصر فأقام بِهَا أربعة أشهر باحثًا عَن المخطوطات فِى "الكُتُبْخَانَة الخِدِيوِيَّة" -كَمَا كَانَت تسمى فِى ذَلِكَ الْوَقْت- لاسيَّما مخطوطات ديوان الخنساء، ولكن للأسف لم تُنْشَر نتيجة هَذِهِ الأَبْحَاث إذ نشر الأب لويس شيخو "ديوان الخنساء" فِى ذَلِكَ الْوَقْت...

وفى أثناء هَذِهِ الزيارة سمحت لَهُ وَزَارَة المَعَارِف المِصْرِيَّة بحضور المُحَاضَرَات الَّتِى كَانَ يُلْقِيهَا الشَّيْخ الحملاوى فِى الصرف والنحو بمَدْرَسَة دار العُلُوم لمدة ثَلاَثَة أَشْهُرٍ، وَكَانَ هُوَ الوحيد الَّذِى يحضر الدروس بالطَّرْبُوشِ، وَكَانَ معه فِى ذَلِكَ الْوَقْت من الطَّلَبَة الشَّيْخ عَبْد الوهاب البحَّار والشَّيْخ محمَّد الخضرى، ولَمَّا رجع من مِصْر التحق مدرِّسًا بمَدْرَسَة اللُّغَات الشَرْقِيَّة فِى نابلس من أكتوبر سَنَة ١٨٩٤ ودرَّس بِهَا علوم أصول الفقه، وَكَانَ بذلك أوَّل مُدَرِّس لِهَذِهِ العُلُوم بأُورُوبَّا. وفى يناير ١٩١٢ زار تُونُسَ وطاف كُلّ أَنْحَائِهَا، ثُمَّ زار طرابلس الغرب فبلاد الجزائر وجزءًا صغيرًا من بلاد المغرب الأقصى عَلَى حدود بلاد الجزائر، وقد استغرقت هَذِهِ الزِّيَارَة مدَّة شَهْرَيْنِ.

وفى عام ١٩٠٩ طلبت الجَامِعَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة من جَامِعَة بَالِيرْمُو أن تسمح للأُسْتَاذ ناللينو أن يدرِّس بِهَا، فَظَلَّ يدرِّس بالجَامِعَة المِصْرِيَّة إِلَى عام ١٩١٢، وفى

أكتوبر سَنَة ١٩١٣ انتقل إِلَى جَامعَة رُومَا لتدريس تَارِيخ الإِسْلاَم والشَّرِيعَة الإِسْلاَمِيَّة، وظل بها حتى عام ١٩٢٧ عندما عاد إلى الجامعة المصرية مرة أخرى

ومنذ عام ١٩٢٧ إِلَى عام ١٩٣٢ والأُسْتَاذ يزور مِصْر سنويًّا من يناير إِلَى مايو من كُلّ عام، ويُلقِي بالجَامِعَة مُحَاضَرَات فِى تَارِيخ العَرَب قبل الإِسْلاَم، وفى سَنَة ١٩٢٧ و١٩٢٨ زار الأُسْتَاذ فِلِسْطِين والشام وتَدْمُرَ وبيروت والأستانة.

وللأُسْتَاذ فضل كَبِير فِى نَشْر الثَّقَافَة الشَرْقِيَّة فِى إيطَالْيَا، فقد أَسَّس فِى عام ١٩٢١ مجَلَّة شهرِيَّة أسمها Oriento Moderno تُنشَر فِى رُومَا عَلَى نفقة Instito per Oriento، وما زال مديرًا لَهَا حَتَّى الآن. كَمَا تولى إِدَارَة مجَلَّة الأَبْحَاث الشَرْقِيَّة Rivrsta Degli Studi Orientali الَّتِى تُطْبَعُ بِرُومَا بعناية قسم اللُّغَات الشَرْقِيَّة من كلِّـيَّة الآدَاب بجَامِعَة رُومَا، ولم يتركها إلاّ منذ عام ١٩٢٧ حين دَعَتْهُ الجَامِعَة المِصْرِيَّة لإلقاء مُحَاضَرَات فيها... وقام بالإشراف عَلَى منشورات قسم العُلُوم الأَدَبِيَّة والتَّارِيخية والفَلْسَفِيَّة فِى أَكَادِيمِيَّة لينسى Accademia dei Lincei، وهو السكرتير العامُّ لِهَذَا القسم، كَمَا تولَّى إِدَارَة قسم الأَبْحَاث الشَرْقِيَّة من دائرة المَعَارِف الطِّلْيَانِيَّة، وهى أكبر مِنْ دائرة المَعَارِف البِرِيطَانِيَّة، ومجالُ الأَبْحَاث الشَرْقِيَّة فيها واسع جِدًّا... وقد كتب أيضًا بعض المَوَادِّ فِى دائرة المَعَارِف الإِسْلاَمِيَّة.

وقد اشترك الأُسْتَاذ نالينو فِى كَثِير من مُؤْتَمَرَات المُسْتَشْرِقِينَ وألقى مُحَاضَرَات فِى بعض منها.

وناللينو عضو فِى أَكَادِيمِيَّة لينسى بِرُومَا وأَكَادِيمِيَّة العُلُوم بتورينو وأَكَادِيمِيَّة العُلُوم بِبُولُونْيَا والْمَعْهَد المِصْرِىِّ بِمِصْر والجَمْعِيَّة الملكيَّة الآسيوية بلندن والمجمع العلمىّ العَرَبِىّ بدمشق.

وللأُسْتَاذ ناللينو الكَثِير من الكُتُب والمُؤَلَّفات فِى مَجَالاَت العُلُوم عند العَرَب والفقه واللهجات العَرَبِيَّة المِصْرِيَّة والجُغْرَافيَا والحُقُوق عند السُّرْيَانِ وآراء ابن الفارض، وغيرها كَثِير.

وهو مُطّلِعٌ جَيِّدٌ عَلَى الكُتُب العَرَبِيَّة وَقَلَّمَا نَجَا كِتَابٌ -أَيًّا كَانَ مَوْضُوعُهُ، خَطِّيًّا كَانَ أَو مَطْبُوعًا، نادرًا كَانَ أَو مَوْجُودًا مُتَدَاوَلاً- من أن تعبث بِهِ أنامل الأُسْتَاذ بالتصفح، وهو كَذَلِكَ صافى الذهن، حاضِرُ البديهة، تسأله عَن نصٍّ ما، فهو إن لم يدلُّك عَلَى موضعه من كتاب معيَّن، حَصَرَ لك موقعه فِى مواضع بسيطة".

وفى ختام حديثى عَن ناللينو أنقل أول كلمات قالها فِى أول محاضرة لَهُ بالجَامِعَة المِصْرِيَّة:

"يا سادتى، إِنَّ أَوْجَبَ الْوَاجِبَات عَلَىَّ وأَوْجَبَ الفرائض إِلَىَّ عند افتتاح دُرُوسِى هَذِهِ أن أرفع شعائر الشُّكْرِ الوافر الجزيل وعرفان المعروف والجميل إِلَى مَن هُوَ فِى حب الوطن والغيرة عَلَى تقدُّمه وترقِّيه أَحْسَنُ قدوةٍ وأَتَمُّ أُسْوَة، أعنى دولة الأمير أحمد فُؤَاد باشا، وَذَلِكَ لِمَا شَرَّفَنِى بِهِ مِنَ الشرف العظيم ولِمَا أنعم عَلَىَّ بِهِ مِنَ اللُّطف الكريم، لَمَّا دَعَانِى إِلَى التَّدْرِيس فِى هَذَا الْمَعْهَد العلمىّ الجليل. وكَذَلِكَ يجب عَلَىَّ أن أشكر من صميم قلبى حضرات الرجال الأفاضل أعضاء

مَجْلس إِدَارَة الجَامعَة عَلَى ما أظهروه لِي من عواطف المحبَّة والإعزاز حيث رضوا بانتظامي فِي سلك الأَسَاتِذَة وأجمعوا عَلَى تَعْيينِي فِي هَذه المأمورية العِلْمِيَّة العُلْيَا الَّتِي لَسْتُ بقائم بِهَا إلاَّ بعد تردُّد شديد لمَا أعرف فِي نَفْسِي من الضعف والْقِلَّة بالنسبة إِلَى جَلاَلَة هَذَا المكان وأَهَمِّـيَّة هَذَا التَعْليم"[32].

لويس مَاسينْيُون L. Massignon (١٨٨٣–١٩٦٢):

وُلد لويس مَاسِنْيُون يوم ٢٥ يوليو سَنَة ١٨٨٣ فِي نوجون سور مارن Nogent Sur Marne، وَكَانَ والده نَحَّاتًا ورَسَّامًا ومعروفًا باسم الفَنَّان بيير روش Pierre Roche (١٨٥٥–١٩٢٢)، وأَتَمَّ لويس مَاسِنْيُون دِرَاسَته الثَانَوِيَّة فِي لِيسيه "مونتانى ولويس–لُو–جراند" حيث بدأت الصَدَاقَة مَعَ هنرى ماسبيرو وبدأ دِرَاسَته العالية بليسانس فِي الآدَاب، ولكن اهتمامه بالإسلام اتَّضَحَ منَ اختياره لموضوع دبلومة الدِّرَاسَات العُلْيَا فِي التَّارِيخ عَن "ليون الإِفْرِيقِيّ" الَّذِي قاده إِلَى المغرب عام ١٩٠٤ عَلَى رأس قافلة



خاصَّة بِهِ، ونُشرت هَذِه الدِّرَاسَة فِي الجزائر عام ١٩٠٦، ونقلها ليوتى Loyeutey إِلَى شارل فوكو Ch. Foucaud، وسوف تكون سببًا فِي نشوء صَدَاقَة تَمْتَدُّ بطول العمر، وحصل عَلَى دبلومة فِي اللُّغَة العَرَبِيَّة الفَصِيحَة واللُّغَة الْعَامِّـيَّة من

(32) نالينو ١٩١١ – ص ١–٢.

مَدْرَسَة اللُّغَات الشَرْقِيَّة عام ١٩٠٦. وعُيِّنَ عضوًا بالْمَعْهَد الفَرَنْسِيِّ للآثار الشَرْقِيَّة بالْقَاهِرَة عام ١٩٠٧. واهتمَّ كَثِيرًا بالفنِّ والحَضَارَة العَرَبِيَّة (الإِسْلَامِيَّة) واهتمَّ بشَخْصِيَّة الصوفىِّ حسين بن منصور الحلاَّج، ذَلِكَ الصُّوفِيِّ الغامض الَّذى عاش فِى بغداد فِى القرن العاشر وَالَّذى مات شهيدًا. والدُّكْتُوراه الَّتى أعدَّها كَانَت مَاسِينْيُون عنه، وبَقِىَ طَوَالَ عمره موضوع دِرَاسَات متتابعة قام بِهَا مَاسِينْيُون عنه، وبَقِىَ موضع استلهام وتأمُّل.

فِى عام ١٩٠٧–١٩٠٨ سافر مَاسِينْيُون إِلَى بغداد لإجراء أَبْحَاث أَثَرِيَّة، وبخَاصَّة آثار أطلال قلعة الأُخَيْضِر، وعند عودته من هَذِه الرحلة استوقفه البوليس التُّرْكِىُّ عَلَى نهر دجلة وهدَّدوه بالقتل، واستنقذه أصدقاء مُسْلِمُونَ هم آل الألوسى. فِى تلك اللحظة نشأ الإيمان داخل هَذَا الشابِّ غير المؤمن عام ١٩٠٩.

قَبِلَتْهُ جَامِعَة الأزهر طالبًا فِى قسم الفَلْسَفَة ثم استَدْعَتْه الجَامِعَة الجَدِيدَة بالْقَاهِرَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة أُسْتَاذًا بِهَا. ونشر الْمَعْهَد الفَرَنْسِىّ بمناسبة احتفاله بمئويته مُحَاضَرَاته بالجَامِعَة. وعام ١٩١٤ أنهى الدُّكْتُوراه وتزوَّج بابنة عمَّته مارسيل دانسر تسيلان Marcelle Dansaert Teselin ، وشهد الزواجَ الأبُ دانييل فونتين، وأنجب ثلاثة أطفال: إيف ودانييل وجنفييف.

وعندما اندلعت الحرب كَانَ لويس مَاسِينْيُون مُلْحَقًا بقسم الصَّحَافَة بوَزَارَة الخارجيَّة، ثم أَصْبَحَ مُرَاسِلاً –بِنَاءً عَلَى طَلَبِهِ– عَلَى الجبهة فِى الشَّرْق ١٩١٥–١٩١٧ (الدردنيل–مقدونيا والصرب)، وعمل أخيرًا فِى فِلِسْطِين (١٩١٧–١٩١٨) كمُلْحَق لجورج بيكون ودخل القدس معه يوم ١١ ديسمبر ١٩١٧ ومعهما الجنرَال أللنبى

ولورانس. وكلّفه وزير الخارجيَّة بإجراء تَحَرِّيَات عَن الحالة فِي سوريا فِي ديسمبر ١٩١٩.

وكَانَت نشاطاته تشمل بلدانًا كَثِيرة، عَرْقَلَتْهَا قَلِيلاً الحرب، عيَّنه هنرى لوشاتلييه بالكوليج دو فرانس أُسْتَاذًا للاجتماع الإِسْلاَمِيّ من عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٢٤، ثم عاد أُسْتَاذًا إِلَى نفس الكرسى عام ١٩٢٦، واستمر حَتَّى عام ١٩٥٤.

أسس مَعْهَد الدِّرَاسَات الإِسْلاَمِيَّة عام ١٩٢٧، وَكَانَ مدير دِرَاسَات بمَدْرَسَة الدِّرَاسَات العُلْيَا وأُسْتَاذًا بمَعْهَد الدِّرَاسَات السيَاسِيَّة بمَدْرَسَة فَرَنْسَا لبِلاَدِ ما وراء البِحَارِ ورَئِيس لجنة تحكيم امتحانات اللُّغَة العَرَبِيَّة (١٩٤٦-١٩٥٤) ورَئِيس مَعْهَد الدِّرَاسَات الإِيرانية، وعضوًا فِي الكَثِير من الجَمْعِيَّات العِلْمِيَّة والأكاديميات الأَجْنَبِيَّة ومنها مَجْمَعُ اللُّغَة العَرَبِيَّة بالْقَاهِرَة، وتناولت أَعْمَاله مختلف جوانب الإِسْلاَم والحَضَارَة العَرَبِيَّة: الصوفية، اللُّغَة العَرَبِيَّة، الكلمات الفَلْسَفِيَّة، طُبُوغْرَافْيَا المدن الإِسْلاَمِيَّة، الموسيقى، الحدائق، المساجد، إلخ.

كَانَ لويس مَاسِينْيُون شغوفًا -بجانب كونه أُسْتَاذًا جَامِعِيًا- بالمعرفة، وَحُبُّه للعدل والحقِّ دفعه إلى مكافحة كُلِّ أشكال الاضطهاد والظلم، لقد زار هَذَا الأُسْتَاذ بالكوليج دو فرانس مَعَسْكَرات اللاجئين الفِلِسْطِينِيِّين، وألقى مُحَاضَرَاتٍ مسائِيَّةً عَلَى عمال شمال إِفْرِيقيَا، وَكَانَ يقف بجانب المظلومين وسلاحُه هُوَ سلاحُ فوكو وغاندى: اللاّ عنف واليقين والصلاة.

صَدَاقَة ماسينيون للمصْرِيِّينَ

كَانَ لويس مَاسِينْيُون -كَمَا تقول عنه سارة واصف[33]- سفيرًا للثقافة بين مصْر وفَرَنْسَا. جمعته صَدَاقَة قَوِيَّة بالمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مترلهم مترلاً لَهُ، واعتبر هُوَ القَاهِرَة وطنه الثَّانِى، ولا غرابة فِى ذَلِكَ فقد كَانَت إقامته الأُولَى بِمِصْرَ مفرق طريق فِى مسيرة حياته منذ أن اكتشف عام ١٩٠٧ نصًّا للعطَّار جعله يتقابل مَعَ الحلاَّج. وأسَّس بالْقَاهِرَة "جَمْعِيَّة إخوة فوكو" عام ١٩١٧.

ولا نستطيع هنا أن نُحصِى كُلّ شواهد الصَدَاقَة والاحترام الَّتِى يكنُّها المِصْرِيُّونَ لَمَاسِينْيُون، ولكن نذكر بعضًا من أَهَمِّهَا:

صَدَاقَة مَاسِينْيُون لأحمد لطفى السَّـــيِّد:

أُسْتَاذٌ جليلٌ وهو المنظِّر لشَخْصِيَّة مِصْر الوطنيَّة، وهو مؤسِّس ومدير صحيفة "الجريدة" من ١٩٠٧ وحتى ١٩١٤، وهو مُدِير الجَامِعَة حَتَّى عام ١٩٤٢، وقبل موته بقليل -وَكَانَ عمره ٩١ عامًا- ذهب إِلَى دار السلام وترك كلمة تكريم لَمَاسِينْيُون:

"نبأ وفاة العالِم الكَبِير الَّذى تَرَكَنا سبَّب حزنًا كَبِيرًا فِى صدورنا، فقد كَانَ محبوبًا من طُلاَّبه وزملائه سواء فِى الكوليج دو فرانس أَو فِى المعاهد الفَرَنسيَّة أَو كَانُوا عربًا. لقد التقيتُ الفقيد عام ١٩١٠ وزرته فِى بيته فِى بَارِيس، ومنذ تلك اللحظة أصبحنا صَدِيقَيْن، وكنا نجد سعادة فِى الالتقاء، وكُنَّا مُتَأَكِّدَيْنِ أننا عندما نفترق سوف نلتقى من جديد. رحمة الله عليه".

---

(33) Wassif, 1997, P. 275 ff.

مَاسينْيون وطه حسين:

دعا طه حسين إلى حوار الشَّرْق والغرب وضرورة لِحَاق الشَّرْق بِرَكْبِ الحَضَارَة، وهو أَوَّلُ عَمِيد مِصْرِيّ لكلّـيَّة الآدَاب، وفى عام ١٩٥٠ أَصْبَحَ وزيرًا للمعارف. يقول طه حسين عَن مَاسينْيون: "أُسْتَاذى وصديقى".

ويقول: "بدأت العلاقة بيننا فِي الجَامِعَة المِصْرِيَّة، منذ نصف قرن تقريبًا. كَانَ أُسْتَاذًا وكنت أحد تلامذته، وشاركت فِي مُحَاضَرَاته بكل حُبٍّ وحماسةٍ، وكنت أحسُّ بنشوةٍ عند حضورى.

كَانَ يُحَاضِر باللُّغَة العَرَبِيَّة، ورُبَّمَا كَانَت محاولاته الأُولَى لأننا كنا نُجْهِدُ أنفسنا لنفهمه. ولكننا سَرْعَانَ ما أحببناه. وَكَانَ حريصًا عَلَى أن نفهمه تَمَامًا، وَكَانَ يتكلم معنا بضع دقائق قبل أن يسألنا ليتأكَّد أننا نتابعه بشكل جَيِّد، ولا أدرى لِمَاذَا بدأ بسؤالى أنا أولاً! كُلّ ما أنا متأكد منه أنه بعد مرور بضعة أَيَّام نَشَأَتْ بيننا صَدَاقَة، فلقد اهتمَّ بحياتى ودعانى إلى زيارته فِي الْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ حيث كَانَ يُقِيمُ، وكنت أذهب هناك كَثِيرًا فكنت أستمع إِليه ويستمع إِلَيّ، وفى نِهَايَة عمله بالتَّعْلِيم وعندما غَادَرَ مِصْر احْتَفَظَ بصَدَاقَة قَوِيَّة تجَاهِي.

شَاءَ الْقَدَرُ أنْ تَخْتَارَهُ الْجَامِعَةُ لِيَكُونَ مَسْئُولاً عَن الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ فِي بعثات إِلَى بَارِيس لاستكمال دِرَاسَتهم، وكنت واحدًا من هَؤُلاَءِ. ويوم سفرى إلى فَرَنْسَا كَانَ يوم إعلان الحرب العظمى الأُولَى، فَلَقَدْ أرسلتنا الجَامِعَة إِلَى مُونْبلْيِيهْ، وكتبتُ إِليه بالعَرَبِيَّة لأخبره بوصولى إِلَى فَرَنْسَا واضطرارى إلى البقاء فِي مُونبلْيِيهْ، وهَذَا

أَغْضَبَهُ لأنه يريد أن يتابعني عَن قرب فِي دِرَاسَتِي، وَاتَّخَذَ السبيلَ لأتمكّن من الإقامة فِي بَارِيس والالتحاق بجَامِعَتِهَا.

وعندما عَلِمَ أنه لا حَلَّ سوى المكث فِي مُونْبِلْيِيهْ، كتب إلى مدير الجَامِعَة لكي يُزَكِّيَنِي عنده، وفعل نفس الشيء مَعَ بعض الأَسَاتِذَة فِي كلِّـيَّة الآدَاب، وتابعتُ المُحَاضَرَات فِي هَذِهِ الجَامِعَة لِمُدَّة عَامٍ، ثم حصلنا عَلَى التصريح بالسفر إِلَى بَارِيس، وكنت أسعد إنسان لأنِّي سوف أقابل أُسْتَاذِي... ولكن عند وصولي إِلَى بَارِيس كَانَ مَاسِينْيُون فِي الاستدعاء العَسْكَرِيّ ضمن صفوف الجيش الفَرَنْسِيّ، ومكثتُ فِي بَارِيس مُدَّة طويلة دون أن أتمكن من مقابلته، ومع ذَلِكَ فقد طلب من والده أن يهتمَّ بالطَّلَبَة المِصْرِيِّينَ، وبالفعل ساعدنا والده واعتنى بنا...

وعندما وضعت الحرب أوزارها عاد مَاسِينْيُون إلى الحياة المَدَنِيَّة وزار الشَّرْق الأدنى عدَّة مرَّات: لبنان وسوريا ومصر، ومنذ تلك الْفَتْرَة ونحن نتقابل كَثِيرًا، صَدَاقَة حَمِيمَة جَمَعَتْنَا، فكنت أرى فِيهِ أُسْتَاذِي وَكَانَ يعتبرني صديقًا لَهُ. ومنذ نِهَايَة الحرب لم أَتَصَوَّرْ أن يَمُرَّ عامٌ دون أن نلتقي، سواءٌ فِي الْقَاهِرَة أو فِي بَارِيس: نلتقي معًا بالْقَاهِرَة شتاءً وفي بَارِيس صيفًا، وأحببته أَكْثَر وإعجابي بِهِ نبع من معرفته بالإِسْلاَم والصُّوفِيَّة بصفة خَاصَّة، فهو مُهْتَمٌّ بالْقَضَايَا الإِسْلاَمية، وَأَحَبَّ المُسْلِمِينَ كَمَا لو كَانَ واحدًا منهم، وإن بَقِيَ مَسِيحِيًّا مُخْلِصًا لدينه، وَصَلَّى كَثِيرًا من أجل المُسْلِمِينَ.

اهتمَّ بالحياة الاجْتِمَاعِيَّة والسِيَاسِيَّة عندهم، وكره كَثِيرا استعمار بلاده لشمال إِفْرِيقْيَا، وجاهد كَثِيرًا من أجل استقلال بلدانه: تُونُس والمغرب والجزائر،

لدرجة أن بعض مواطنيه كَانُوا يسبُّونه، بل ويضربونه، وقابلته ذات مرَّة وقد ضربوه وأصابوا وجهه، وَكَانَ يعانى من ذَلِكَ... وكَانَ أسعد لحظاته أن يرى المغرب والشمال الإفْرِيقى مستقلاً.

كَانَ صديقًا للعرب والمُسْلِمِينَ عمومًا، وكوَّن معهم صَدَاقَة قَوِيَّة، وظلَّ حُبُّه لبَلَدِهِ فِى نفس الْوَقْت عميقًا، وهَذَا الحب هُوَ الَّذِى دفعه إِلَى مقاومة الاحتلال الفَرَنْسِيّ لأنه يريد أن نحب فَرَنْسَا حُبًّا حقيقيًا.

وعند إِنْشَاء مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة بالْقَاهِرَة انتخبوا مَاسِينْيُون من بين الْمُسْتَشْرِقين عُضْوًا بِهِ، وَكَانَ يشارك فِى اجتماعه السَّنَوِيِّ، وكُنَّا نقابله بانتظام، وكنت أحبُّ مقابلاته ومناقشاته الممتدَّة من موضوع إِلَى آخر.

بعد وفاة عضوين من أعضاء المجمع: نالِّينو وليتمان، ورحيل الأُسْتَاذ جب إِلَى أمريكا، ظَلَّ مَاسِينْيُون الْمُسْتَشْرِق الوحيد بالمجمع، ثم اعتراه المرض وتُوُفِّى.

ولن يقطع الموت حبال صداقته الرُّوحِيَّة وحُبِّه للإِنْسَانِيَّة وإِحسانه عَلَى الفقراء والمحتاجين، وأسجِّل أن الموت حفر حُبَّه فِى سويداء قلبى. كنت أقابل مَاسِينْيُون حَيًّا بين الحين والآخر، أَمَّا الآن فأقابله ليلاً ونهارًا فِى كُلّ مرَّة أفكِّر فِى الأُسْتَاذ الكَبِير، الأخ الكريم، الصديق المخلص والوفىّ".

مَاسِينْيُون وكامل حسين:

كَانَ كامل حسين مُدِير جَامِعَة عين شمس، ورَئِيس الْمَعْهَد المِصْرِىّ وعضو المجمع اللُّغَوِىّ والأَكَادِيمِيَّة العِلْمِيَّة المِصْرِيَّة الَّتِى رأسها عام ١٩٥٣- ١٩٥٤. يَحْكِى كامل حسين عَن مَاسِينْيُون:

"قابلته للمرة الأُولَى فِى عيادةِ سيِّدةٍ مريضةٍ، وَكَانَ قَلقًا جدًّا وشاركَنا الألم، فأُعجِبْتُ بِهَذِهِ الإِنْسَانِيَّة والشفقة. وقابلته فِى IFAO بين طُلاَّبه وأعجبنى علمه الغزير وكلُّ الصالة تنصت لحديثه الآسر. وهو عالِم ممتاز وقلب كَبِير ومفكِّر لا يُقَارَن، واكتشفت جانبًا كَانَ خافيًا فِى شخصيته وهو أنه رجل سِيَاسَة نبيلاً وَكَانَ يَعِى ما يحيط بالعالَم العَرَبِىّ وما يجرى عَلَى أرضه، وعلمت بكفاحه فِى فَرَنْسَا من أجل استقلال الجزائر وما عاناه بسبب ذَلِكَ...".

مَاسِينْيُون وإبراهيم مدكور:

مدكور أُسْتَاذ وفيلسوف وحاصل عَلَى الدُّكْتُوراه من فَرَنْسَا عَن "منطق أرسطو فِى العالَم العَرَبِىّ".

قدَّم مَاسِينْيُون عمل مدكور بِهَذِهِ الكلمات:

"لقد قدم لنا مدكورُ الفارابيَّ بشكل جيِّد، ينمُّ عَن إعداد جيِّد تلقّاه فِى دار العُلوم، وعلى أنه أفاد من طرق التفكير الغربية...".

ويقول مدكور عَن مَاسِينْيُون:

"كَانَ مَاسِينْيُون وراء إِنْشَاء هَذَا البيت (يشير إِلَى مجمع اللُّغَة العَرَبِيَّة)، وأحاطه بحمايته، وَكَانَ يتحدث وقتما يشاء، وَكَانَ يرى فِيهِ حلقة وصل بين الثقافات، ومكان التقاء الشَّرْق بالغرب وأعطاه لقب "دار السلام"، فقد كرَّس حياته للسَّلام وأَحَبَّ السلام لكلِّ الناس واعتبر أن الأُخُوَّة والصَّدَاقَة أفضل العلائق بين البشر، وتَعَلَّمنا من دروسه الحكمة.

ولكن أفضل تعاليمه الإيمان، فهو يعتقد فِي الله بقوَّة ويقين، فقد رَضِيَ حَتَّى بقضاء الإله عند فقده لابنه، وكَذَلِكَ الحال عندما سقط مريضًا خلال أَعْمَال مُؤْتَمَر المُسْتَشْرِقين فِي مُوسْكُو، فما كَانَ منه إلاّ أن انخرط فِي الصلاة... أَحَبَّ الْحَلاَّجَ الصُّوفِيَّ الشهيد والتقت روحاهما...".

وأكبر شاهد عَلَى صَدَاقَة مدكور لمَاسِينْيُون هُوَ نشره لمُحَاضَرَاته الَّتِي ألقاها بالجَامِعَة المِصْرِيَّة عام ١٩١٢–١٩١٣[34]، وكتب فِي تقديمه:

"هَذِهِ مُحَاضَرَات تعكس روحًا مُحِبَّةً، وعقلاً استوعب الشَّرْق والغرب والقِدَم والحداثة، هَذِهِ سلسلة مُحَاضَرَات أُلْقِيَتْ باللُّغَة العَرَبِيَّة فِي جَامِعَة وليدة.

ومن طُلاَّبه: منصور فهمى وطه حسين وعلى العنانى وأحمد ضيف، وهم الَّذينَ شكلوا العقل المِصْرِيّ فِي وقت لاحق (أو قل إن شئت فيما بقى من سنى القرن العِشْرِين)".

"لقد كَانَ مَاسِينْيُون مؤسِّسًا ورائدًا وأُسْتَاذًا فِي المصادر العَرَبِيَّة، ولا أحد يضاهيه من معاصريه سواء أكان عربيًّا أو مشتغلاً بالدِّرَاسَات العَرَبِيَّة"، "... هناك منزل آخر يعجبنى وهو رقم ٢١ شارع المسيو فِي بَارِيس حيث كَانَ يسكن لويس مَاسِينْيُون، لم أتابع مُحَاضَرَاته بالكوليج دوفرانس لكننى كنت أتردد عليه فِي بيته طالبًا النصيحة ومناقشًا بعض المسائل معه. أعترف بالكَثِير لِهَذَا الرجل الكَبِير"

(34) أشرفت زينب الخضيرى على نشر هَذِهِ المقالات فى مجلة IFAO سَنَة ١٩٨٣، وقدَّم للكتاب إبراهيم مدكور تلميذ مَاسِينْيُون، وَكَانَ والد زينب الخضيرى أيضًا تلميذًا لمَاسِينْيُون.

ومظاهر حوار الثقافات كَانَت متعددة فِي ذكرى مَاسينْيون: عام ١٩٨٣ الصَّحَافَة الأَجْنَبِيَّة والصَّحَافَة الناطقة باللُّغَة العَرَبِيَّة والتلفزيون المِصْرِيّ غطّى الحدث وأذاعه لملايين المشاهدين، مَعَ معرض صور رائع نظّمه الْمَعْهَد الفَرَنْسِيّ IFAO بالاشتراك مَعَ دانييل مَاسينْيون.

وأكتفى بِهَذِهِ النماذج لأشهر أصدقاء مَاسينْيون، وَكَانَ لَهُ صداقات أُخْرَى كَثِيرة منها: جورج شحاته أنواتى وزافير عيد ومارى كاحيل وغيرهم، ويضيق المكان بذكرياهم مَعَ مَاسينْيون[35].

برجستراسر:

عمل برجستراسر أُسْتَاذًا لفقه اللُّغَة العَرَبِيَّة بكلِّيَّة الآدَاب عام ١٩٢٩–١٩٣٠، كما نشأ برجستراسر مُحِبًّا لدِرَاسَة اللُّغَات، فلمَّا التحق بالثَانَوِيَّة بأَلْمَانْيَا وكَانَت عَلَى الأسلوب القَدِيم، كَانَ يدرس فيها اللُّغَات اليُونَانيَّة واللاتينية والفَرَنسيَّة والعِبْرِيَّة، وكَانَت القاعدة السائدة فِي المَدَارِس الْقَدِيمَة أن تكون اللُّغَة العَرَبِيَّة اختياريَّة وبجانبها اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة، فكان الواحد يَتَعَلَّم العَرَبِيَّة أَو الإِنْجليزِيَّة، وهَذَا غريب، ولكن كَانَ السبب عَمَلِيًّا أنَّ تَعَلُّمَ اللُّغَة العَرَبِيَّة كَانَ واجبًا لطَلَبَة اللاهوت، ولذلك كَانُوا يدرسونها بالمَدْرَسَة الثَانَوِيَّة الْقَدِيمَة، فاختار برجستراسر اللُّغَة العَرَبِيَّة.

وتَعَلَّمَ فقه اللُّغَة الإِنْجليزِيَّة أيضًا، وَمِنْ ثَمَّ وافق المدرِّسون أن يَتَعَلَّم هَذِهِ اللُّغَة بشكل استثنائى.

---

(35) راجع "تحليل لآراء مَاسينْيون وتأثيره فى فكر طه حسين" عند محمودى – ٢٠٠٣– ص ٨٧–٩٠.

وتَعَلَّمَ أيضًا بعض اللهجات الأرمينية الْقَدِيمَة الخاصَّة بالقرون الوسطى وبعض اللُّغَات الجرمانية كاللُّغَة الجوتية، ثم تَخَصَّصَ فِي اللُّغَات الشَرْقِيَّة، وَكَانَ لَهُ أَخٌ لَهُ حقٌّ استعارة الكُتُب من مَكْتَبَة جَامِعَة ليبزج فطلب منه أن يطلب من المكتبة السماح لَهُ باستعارة بعض الكُتُب الخاصَّة بنحو اللُّغَات الشَرْقِيَّة. وَكَانَ فِي مَكْتَبَة البلديَّة التابعة لبلدته نشرات المجمع العلميّ الموجود فِي ليبزج، وكَانَت هَذِهِ النشرات توزَّع عَلَى كُلّ المكتبات التابعة للحُكُومَة، وبذلك تَعَلَّمَ اللُّغَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة واللُّغَة الآشورية واللُّغَة العَرَبِيَّة، وَكَانَ أَكْثَر اهتمامه باللُّغَة العَرَبِيَّة.

وعندما حصل عَلَى شهادة الثَانَوِيَّة سافر إِلَى ليبزج ليدرس فِي الجَامِعَة، وقام بزيارة أحد أساتذته وسأله أن يقبله عنده ليدرس اللُّغَة الأَلْمَانِيَّة، ولكنه رفض لأنه كَانَ فِي السَّنَة الأُولَى، ثم زار أُسْتَاذ اللُّغَات الشَرْقِيَّة وسأله أن يقبله عنده لدرس اللُّغَة العَرَبِيَّة فقبل، وبذلك بدأ دِرَاسَة اللُّغَة العَرَبِيَّة فِي الجَامِعَة فِي السَّنَة الثَّانِيَة متخطِّيًا السَّنَة الأُولَى.

ثم ازداد تعرُّفه عَلَى هَذَا الأُسْتَاذ –واسمه فيشر– وبذلك زاد اشتغاله باللُّغَات الشَرْقِيَّة. وبعد ذَلِكَ كَانَ قَد درس اللُّغَات الشَرْقِيَّة ثم اللُّغَات الساميَّة كلها ثم اللُّغَة الْهِنْدِيَّة الْقَدِيمَة ثم اللغتين اليُونَانيَّة واللاَّتِينِيَّة، ونال شهادة التَّدْرِيس فِي اللُّغَات، ثم نال شهادة تدريس التَّارِيخ الإِسْلاَمِيّ.

والخلاصة أن أصل اشتغاله بالشرق هُوَ اشتغاله باللُّغَات الشَرْقِيَّة، ثم انتقل إِلَى درس التَّارِيخ الإِسْلاَمِيّ. وكَذَلِكَ كَانَ اشتغاله بالقرآن الكريم من ناحية اللُّغَة. وكَانَت رسالته فِي الدُّكْتُوراه فِي استعمال الحروف النافية فِي القرآن. ولذلك ابتدأ

فِى ذَلِكَ الْوَقْت بدرس كُتُبِ الْقِرَاءَات فلم يجد حينئذ منها إلاّ اليسير جدًّا. ثم بعد ذَلِكَ انتقل من درس اللُّغَة إِلَى درس الكتاب نفسه. ثم أصبح أهمّ مَوَادّ درسه علم القراءات وعلم الفقه وكَذَلِكَ تَارِيخ اللُّغَة العَرَبِيَّة.

وحينما استعفى الدُّكْتُور مواتز من رِئَاسَة دار الكُتُب المِصْرِيَّة طلب من الحُكُومَة الأَلْمَانِيَّة أسماء المرشَّحين لِهَذِهِ الوَظِيفَة، فسمَّت واحدًا من أصحابه كَانَ طالبًا بجَامِعَة ليبزج معه، وسَمَّت فِى الموضع الثَّانِى إِيَّاه، واختارت الحُكُومَة المِصْرِيَّة صاحبه فعوَّضته جَامِعَة ليبزج عَن هَذِهِ الفرصة ببعثة إِلَى الشَّرْق فسافر فِى فبراير سَنَة ١٩١٤ إِلَى الآستانة ثم إِلَى سوريا، وسافر فِى بلاد سوريا كَثِيرًا لأنه كَانَ يبحث فِى اختلاف اللهجات الدارجة، فمكث أولاً فِى دمشق ثم سافر إِلَى الجنوب فِى معان ثم حلب فِى الشمال وفِلِسْطِين ولبنان.

ولقد أَلَّف كتابًا فِى هَذِهِ الأسفار عَن جُغْرَافِيَا اللُّغَات الدارجة فِى فِلِسْطِين وسوريا. وتَعَرَّف فِى دمشق عَلَى بعض أهل "معلولة"، وهى قرية صَغِيرَة مشهورة فِى تَارِيخ اللُّغَات الساميَّة لأن لهجةً آراميَّةً تُستعمل فيها حَتَّى الآن. تَعَلَّمَ هَذِهِ اللهجة من أفواه الناس وأَلَّف بعض كتب وبعض رسائل فِى هَذِهِ اللهجة، كَمَا أَلَّف قاموسًا صغيرًا لِهَذِهِ اللهجة أيضًا.

ثم وقت رجوعه إِلَى أَلْمَانْيَا مَرَّ بِمِصْر ومكث فِى الْقَاهِرَة أسبوعًا واحدًا قبل قيام الحرب بأَيَّام. ووقتما وصل إِلَى تريست كَانَت رُوسْيَا ابتدأت بالحرب. وكل الكُتُب الَّتِى اشتراها من دمشق وبيروت والْقَاهِرَة لم يَرَ منها كتابًا واحدًا لأنها تأخرت عنه ولم تصله قط.

ثم كَانَ فِي ساحة الحرب الْغَرْبِيَّة حَتَّى أكتوبر سَنَة ١٩١٥، ثم سألته حُكُومَة تُرْكِيَا أن يقبل وَظِيفَة أُسْتَاذ فِي الجَامِعَة التُّرْكِيَّة فِي الأستانة فمكث بعد ذَلِكَ فِي الأستانة حَتَّى آخر الحرب.

وسافر إِلَى بلاد الأناضول وفِلِسْطِين فِي فبراير وأَبْرِيل سَنَة ١٩١٨، ومن الآستانة زار بعض جهات قريبة منها وخصوصًا برُوسْيَا.

وفى فبراير سَنَة ١٩١٨ سافر إِلَى حلب بسكة بغداد- حلب-دمشق، وهناك زار مَكْتَبَة الملك الظاهر بيبرس ونظر إِلَى كتب القراءات والطبِّ خصوصًا. وأكمل ما كَانَ عرفه فِي لهجة "معلولة" واللهجة الدارجة فِي الشام. ثم من بعد ذَلِكَ أَلَّف كتابًا فِي أصوات لهجة دمشق مُلْحَقًا بِهِ بعض نماذج لِلَّهْجَة. وسافر حَتَّى حيفا والناصرة وطَبَرِيَّة. لكن البلاد جَنُوبِيَّ هَذَا الخط كَانَت قد استولى عليها الإِنْجِلِيز. وفى آخر الحرب وُجد شرطٌ فِي معاهدة الهدنة بين تُرْكِيَا والدول المتحالفة يُنفَى بمقتضاه كُلّ الأَلْمَان من بلاد تُرْكِيَا، فمكث بعض أصحابه فِي الأستانة حَتَّى جاءت جيوش الحلفاء، ولكن لم ينتظر إِلَى ذَلِكَ بل صَاحَبَ واحدًا من أصحابه ضابطًا فِي الجيش الأَلْمَانِيّ فصيَّره عَسْكَرِيًّا ورجع معه إلى أَلْمَانْيَا فِي ديسمبر سَنَة ١٩١٨ من طريق رُوسْيَا. لأن هَذَا الطريق كَانَ الوحيد فِي ذَلِكَ الزمان بين تُرْكِيَا وأَلْمَانْيَا. وكَانَ رجوعهما صعبًا جدًّا.

وبعد ذَلِكَ ما كَانَ لَهُ فرصة السفر إِلَى الشَّرْق إلاَّ فِي هَذِهِ السَّنَة. ففيها صار لَهُ فرصتان: واحدةٌ دعوةُ الجَامِعَة المِصْرِيَّة، والثَّانِيَة بعثةٌ عِلْمِيَّة من الجَمْعِيَّة العِلْمِيَّة بأَلْمَانْيَا لدرس علم القراءات وبعض اللهجات الدارجة فِي الشَّرْق. ولِهَذَا السبب

ألقى أولاً مُحَاضَرَاته فِى الجَامِعَة، وبعد ذَلِكَ درس علم القراءات، ثم سافر إِلَى بغداد وسوريا والآستانة.

وفى لقاء معه قال عَن رأيه فِى الطَّلَبَة: "لا يُمْكِنُنِى أن أحكم عليهم حكمًا عامًّا لأنى لا أعرف إِلاَّ قسمًا صغيرًا جدًّا من طَلَبَة الجَامِعَة وحتى من طَلَبَة كلِّــيَّة الآدَاب، لأن درسى كَانَ خاصًّا بقَلِيلِينَ درسوا تَارِيخ اللُّغَات الساميَّة، فلا أعرف شيئًا عَن الروح العلميِّ العامِّ...

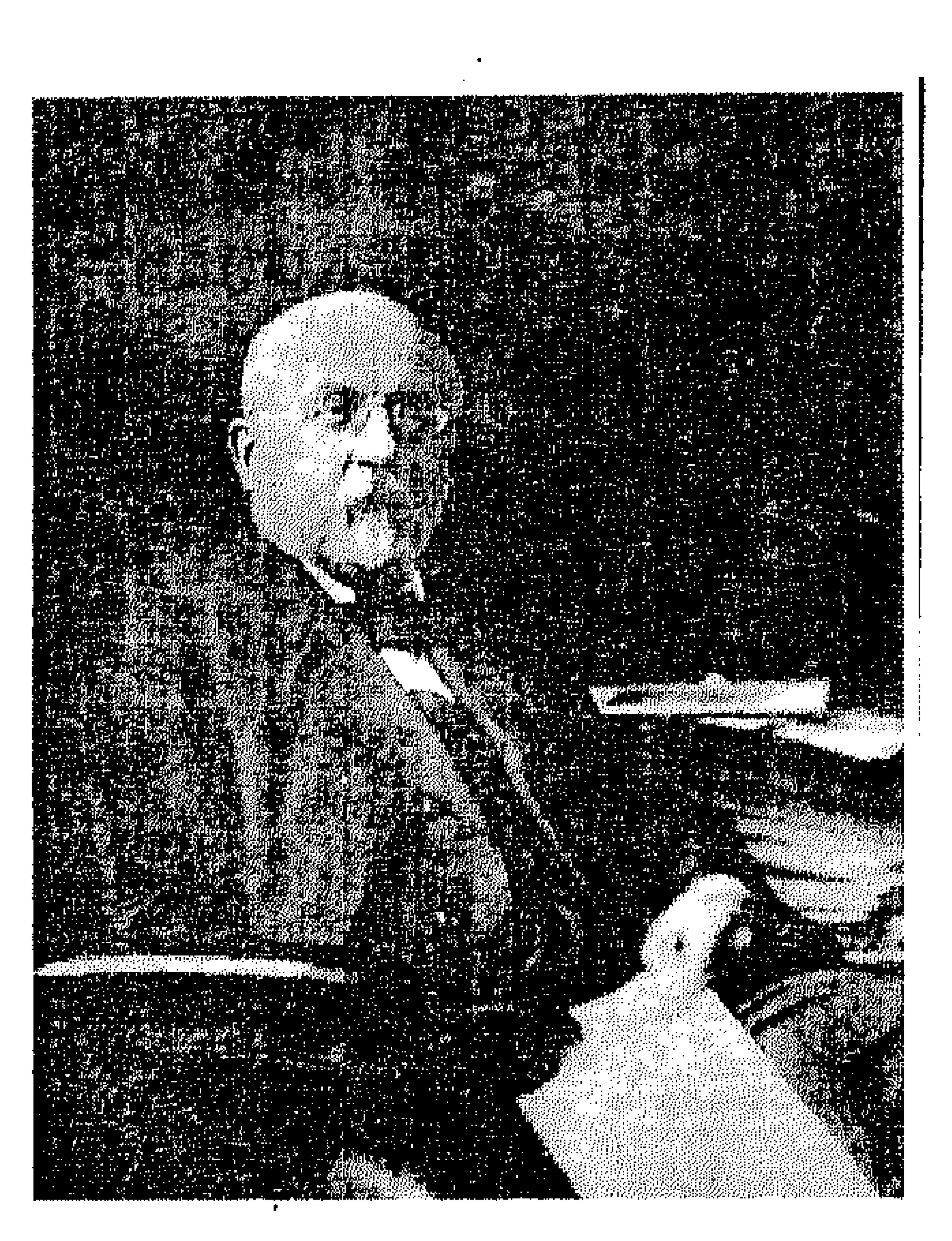
أَمَّا طَلَبَتِى أنا الَّذِينَ تعرَّفت بهم، فسرَّنى كَثِيرًا اجتهادهم لفهم المعانى الجَدِيدَة الَّتِى كنت أتكلم عنها وسؤالهم عَن بعض مَوَادَّ كَانَت غامضة عليهم، وأنا معتقد أنه لو كَانَت الفرصة لِتَعَلُّم اللُّغَات الساميَّة وفحص تَارِيخها أَوْسَعَ من حالتها الحاضرة بالكلِّــيَّة لكان الطَّلَبَة مستعدِّين كُلّ الاستعداد للانتفاع من هَذِهِ الفرصة. وأمَّا الآن فلا يُدرس فِى الكلِّــيَّة من اللُّغَات الساميَّة إِلاَّ اللُّغَة العِبْرِيَّة وشىء يسير من اللُّغَة السيريانيَّة. ولا يكفى تدريس اللُّغَة العِبْرِيَّة ونحوها مكتوبًا باللُّغَة العَرَبِيَّة، ولذلك لا يمكن الطَّلَبَةَ الدرسُ بنفسهم والحضور فِى الحصص لا يكفى لذلك...

ومِن أهمِّ الخِلال الَّتِى شاهدها أن الطَّلَبَة لا يستطيعون بالكفاية أن يدرسوا بنفسهم. ولذلك يكتفى بعضهم بالحضور فِى الحصص وكتابة ملاحظات وحفظها. فالخلاصة أن الطَّلَبَة مستعدُّون والوسائل إِلَى الآن لم تَنَلْ دَرَجَة الكفاية، وكل هَذَا عائد إِلَى اللُّغَات السامية وتَارِيخها فقط".

وَكَانَ يرى أن علم القراءات مزدهر فِى الْقَاهِرَة، وهو العلم الَّذِى كَانَ مراده وهو معتنًى بِهِ اعتناءً أوفر بكَثِير من الَّذِى كَانَ ينتظره، ومعرفة واسعة عند كَثِير من

الأَسَاتذَة أدهشته وأعجبته، خصوصًا أَسَاتِذَة الأزهر، وحتى بين أَسَاتذَة اللُّغَة العَرَبِيَّة وآدابها فِي كلِّـيَّة الآدَاب. وشاهد امتداد العلم القَدِيم فِي فنّ القراءات للزمان الحاضر دون نقص محسوس. وهَذَا ممَّا أسعده جدًّا لأن قراءات القرآن -مَعَ صرف النظر عَن قيمتها الدينِيَّة- لَهَا قيمة زائدة لتَاريخ اللُّغَة العَرَبِيَّة لأن كَثِيرًا من لهجات اللُّغَة العَرَبِيَّة الْقَدِيمَة لا يُوجَد أثرها إِلاَّ فِي القراءات. فكَانَت زيارته لبعض أَسَاتِذَة القراءات مِمَّا أقنعه بحياة العُلُوم الإِسْلاَمِيَّة فِي الْقَاهِرَة".

جاستون ماسبيرو Gaston Maspero (1846-1916):



هُوَ جاستون كامى شارل ماسبيرو، ولد ليلة ٢٣-٢٤ يُونْيُو ١٨٤٦ فِي بَارِيس، وكان من أصول إِيطَالِيَّة، ثم حصل عَلَى الجِنْسِيَّة بعد ذَلكَ، وبعد الثَانَوِيَّة دخل مَدْرَسَة المعلّمين العُلْيَا، وبعدها التحق كمعيد بمَدْرَسَة الدِّرَاسَات العُلْيَا الَّتِى أنشأها وزير التَعْلِيم فيكتور ديرى V. Duruy.

وظل جاستون إِيطاليًّا حَتَّى عام ١٨٧٠ عندما التحق بالجيش الفَرَنْسِيّ فحصل عَلَى الجِنْسِيَّة الفَرَنسِيَّة. وسافر إِلَى أمريكا اللاَّتِينِيَّة مرتين للتَّدْرِيس، وتزوَّج مرتين: الأُولَى بإتى ياب Ettie Yapp، والثَّانِيَة بلويز. وناقش الدُّكْتُوراه فِي عام ١٨٧٣.

ويشارك عام ١٨٧٩ بالمعرض الدَّوْلِيّ فِي تروكاديرو فِي بَارِيس بمناظر من الحياة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة، ويشارك كَذَلِكَ فِي إعداد الملابس الخاصَّة بأوبرا عايدة الَّتِي ألفها ماريت.

وفى عام ١٨٨١ يُتَوَفَّى ماريت ويحلّ جاستون ماسبيرو مكانه عَلَى رأس مَصْلَحَة الآثَار والمُتْحَف.

وكَانَت إِيمليا إدواردز صديقةً مقرَّبة[36] منه وصحفيَّة وكاتبة نشيطة ومُحِبَّة لمصر ولآثارها، وأسَّست جَمْعِيَّة الآثَار المِصْرِيَّة فِي إِنْجِلْتِرَا، وساعدها ماسبيرو فِي إجراء حفائرها بِمِصْر.

وإذا ما تخفَّفْنا من الحديث عَن أنشطة ماسبيرو الأَثَرِيَّة وتركناها لمؤلِّف آخر فإننا نقف عند محطة مهمَّة فِي عمله الثَّقَافِيّ والتَعْلِيمي والتربوى الَّذِى أهَّله فِي وقت لاحق ليكونَ مُمَثِّل الثَّقَافَة الفَرَنسيَّة عَلَى أرض مِصْر، ليكون عضوًا بمَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة عند إنشائها.

ففى عام ١٨٨٣ أسَّس الجُغْرَافى بيير فونسان مَدْرَسَة "الأليانس فرانسيس Alliance Frensaise بهدف نشر الثَّقَافَة الفَرَنسِيَّة فِي المستعمرات الفَرَنسِيَّة ولتقوية التأثير والوجود الدَّوْلِيّ للثقافة الفَرَنسِيَّة.

واستدعوه فِي وَزَارَة التَعْلِيم العامِّ الفَرَنسِيَّة لأنه خرِّيجُ مَدْرَسَة المعلِّمين العُلْيَا، وهو يدير مَصْلَحَة مهمَّة بِمِصْر، حيث كَانُوا بصدد إِنْشَاء فروع للأليانس فرانسيز

(36) عن خطاباتهما المتبادَلة وتحليلها، راجع: Dawson, 1947, P. 66-89.

بمِصْر، فكان من الطبيعىّ أن يتصلوا بِهِ. وفى ١١ نوفمبر كتب إليه بول بيرت :P.Bart

"قررنا التحرُّك بنشاط فِى مِصْر والمسيو بارير معنا، والقناصل يدعموننا ونُوَّابهم، والدُّكْتُور فوكيه Fouquet يمهِّد لَمجْلس الأليانس بالْقَاهِرَة. وسيكون مَنْدُوبنا بالإِسْكَنْدرِيَّة المحامى المسيو دو لابومبيراى De la Pumeray، ووعدنا بأن الكَثِير سوف يشارك، وبعثنا بكتب كجوائز لَمدْرَسَة كوفدان فِى بورسعيد، ونفكِّر فِى إِنْشَاء مَدْرَسَة فَرَنسِيَّة عِلْمَانِيَّة فِى دمياط بمساعدة نائب القنصل كوسرى Cossery، ونبحث عَن مُدَرِّس فَرَنْسِىّ يعرف اللُّغَة العَرَبِيَّة، وطلبتُ واحدًا من مُدير مَدْرَسَة الْجَزَائِر ومدير مَدْرَسَة تُونُس، ولكنهما لا يزالان فِى طور البحث، فهل لديك شخص مناسب؟ وسيتقاضى مرتبًا قدره ٣٠٠٠ فرنك. وليس هَذَا فقط، فأنت مكلَّف بأن تقترح علينا ما تراه مناسبًا لنقوم بِهِ فِى صعيد مِصْر، وإلى أى مدى؟

وسؤال آخر -وأرجو المعذرة- هل يجب أن يكون عملنا هنا سِرِّيًّا، حَتَّى نشجع الفَرَنْسِيِّينَ فِى مِصْر عَلَى النشاط؟ ماذا ترى؟ نعوِّل جميعًا عليك فِى ذَلِكَ وفى إِعداد أعضاء البعثة الدائمة بالْقَاهِرَة. نعلم أنه لا يمكنك أن تكون مُمَثِّلنا الرسمىَّ، ونأسف لذلك لأنك الأفضل، ولكنك معنا بشكل غير رسمىٍّ ونصائحك دومًا مهمَّة"[37].

(37) David, 1999, P. 146- 7.

وابتداءً من عام ١٨٨٥ افتُتحت مَدَارِس الأليانس فِي إِسنا والأقصر ونقادة وقنا وجرجا ودمياط والزقازيق والإسماعيلية وبورسعيد والسويس، وبعضها اتخذ طابعًا دينيًّا (مَدْرَسَة كَاثُولِيكيَّة فِي الأقصر)، ولكن فِي أقاليم أُخْرَى خَشِيَ الأقباط من تأثير وجود مثل هَذِهِ المَدَارِس الْكَاثُولِيكيَّة، ثم بعد ذَلِكَ افتُتحت مَدْرَسَة فِي أخميم وطهطا وأسيوط، وتَبْعَثُ لهم الأليانس الفَرَنسيَّة بالتمويل اللازم بالطبع والكراريس والكروت والكُتُب، وطبقًا لِمَا يذكره ماسبيرو فإن التَّارِيخ المِصْرِيّ سيُدَرَّس بمساعدة "دليل مُتْحَف بولاق لماريت"، ومن خطاب بعث بِهِ ماسبيرو إِلَى زوجته لويز فِي ٩ مارس ١٨٨٦[38] نعلم أن مفتِّشًا فَرَنْسِيًّا يزور المَدَارِس ويمتحن التَلاَمِيذ، وكَانَ نجاح مَدْرَسَة الأقصر سببًا لتوسيعها فأضافوا فصلاً للبنات.

وتَمَّ ذَلِكَ فِي أَبْرِيل، وبعد عدة أعوام كتب الأب زنوبيو Zenobio المسئول عَن المَدْرَسَة إِلَى ماسبيرو[39] قائلاً:

"لدينا بالمَدْرَسَة ١٢٠ تلميذًا منهم ٧٠ يَتَعَلَّمون اللُّغَة الفَرَنسيَّة، ونُعَلِّمُ اللُّغَة العَرَبِيَّة وبعضًا من اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة، وتَعْلِيمُ هَذِهِ اللُّغَات مَجَّانِيٌّ لِكُلِّ التَلاَمِيذِ، بل إِن الكُتُب يَتَلَقَّاهَا التَلاَمِيذُ الفقراء مَجَّانًا".

وهكذا تَأَكَّدَ التأثير الثَّقَافِيّ الفَرَنْسِيُّ، وكَانَ ماسبيرو الْمُدَافِعَ عنه وعن المصالح العِلْمِيَّة كَذَلِكَ لفَرَنْسَا، وسوف يبقى لسنين قادمة.

---

(38) أرشيف فرنسوا ماسبيرو، راجع: Ibid, P147.

(39) خطاب زنوبيو إِلى ماسبيرو بتاريخ ٢٨ مارس ١٨٩٢، راجع: Ibid, P148.

نذكر بأن ماسبيرو فِي هَذِهِ الأثناء أَصْبَحَ أُسْتَاذًا بالكوليج دو فرانس بناءً عَلَى نصيحة أرنست رينان وتشجيع زافيير شارم وزير التَعْلِيم بالإِضافة إلى كفاءته ومواهبه بطبيعة الحال.

ومنذ نِهَايَة عام ١٨٨٨ استقبل مَجْلِس إِدَارَة الأليانس فرانسيز ماسبيرو وأصبح عام ١٨٨٩ نائبًا لرَئِيس مَجْلِس الإِدارة، وبِهَذَا الوصف كَانَ يتابع أبناء مَدَارِس الْقَاهِرَة وساعد فِي إعداد مطبوعاتها.

وكَانُوا يستشيرون ماسبيرو فِي فَرَنْسَا حول مسائلِ وقضايا التربية والتَعْلِيم، كَمَا حدث مثلاً عام ١٨٩٠ عندما أَلَحَّ عليه زميل قديم بمَدْرَسَة المعلِّمين أَصْبَحَ مسئولاً عَن التَعْلِيم الثَانَوِىّ.

ويحتلُّ هَذَا العالِم الكَبِير مكانة خاصَّة، فقد بدأ تعلُّمه المِصْرِيَّات وحده، بعيدًا عَن أعين أساتذته بالمَدْرَسَة، لأن اللُّغَات الشَرْقِيَّة لم تكُن مِمَّا يشجعه المدرِّسون. وفى هَذِهِ الْفَتْرَة ترجم نَصًّا غير منشور فِي اللُّغَة المِصْرِيَّة الْقَدِيمَة كَانَ قَد أعطاه إياه مارييت ليختبره. وبدأ مشواره الناجح فِي "مَدْرَسَة الدِّرَاسَات العُلْيَا" و"الكوليج دو فرانس"، على ضفاف النيل.

وخلف مارييت عَلَى رأس مَصْلَحَة الآثَار بِمِصْر، وكَذَلِكَ مُتْحَف بولاق، وهو أول مُدير للبعثة الدائمة بالْقَاهِرَة وَالَّتِى ستصبح الْمَعْهَد الفَرَنْسِىّ للآثار الشَرْقِيَّة بالْقَاهِرَة IFAO. وَإِسْهَامُه فِي التعريف بالحَضَارَة المِصْرِيَّة عظيمة، وهو أول من اكتشف "نصوص الأهرام"، واسْمُهُ مرتبط كَذَلِكَ بحادث آخر هُوَ قَضِيَّة عَبْد الرسول الَّتِى قادت عام ١٨٨١ إِلَى اكتشاف المومياوات الملكيَّة بالديْر الْبَحْرِىّ،

واستطاع أن يجمع تبرعات من أُورُوبَّا للتنظيف حول أبى الهول بالجيزة ومعبد الأقصر.

خَلَفَ أيوجين ليففر ماسبيرو عَلَى رأس البعثة الدائمة حَتَّى عام ١٨٨٣، ثم أيوجين جرابو. وفى مشروع جاستون ماسبيرو وَالَّذِى أخذ بِمَشُورَة أرنست رينان قُسِّمت المَدْرَسَة إلى هذه الأقسام: قسم للآثار وفقه اللُّغَة المِصْرِيَّة (بما فِى ذَلِكَ القِبْطِيَّة)، وقسم للآثار والحضارات الشَرْقِيَّة القَدِيمَة مَعَ دِرَاسَة النصوص المِسْمَارِيَّة واللُّغَة العَرَبِيَّة والتُّرْكِيَّة والفارسية، دونما إغفال لتَارِيخ الفنّ، يُوجَد بِهِ طُلاَّب مؤهَّلون ومقيمون (علماء مِصْرِيَّات ومُسْتَشْرِقون)، ومسئولون عَن البعثات ورسَّامون وفنَّانون.

وتأسيس الْمَعْهَد تَمَّ بناءً عَلَى قرار صدر سَنَة ١٨٩٨، وسنة ١٩١٣، وظل هَذَا الْمَعْهَد يسير عَلَى الخطوط العَامَّة الَّتِى وضعها ماسبيرو. وأول سبعة أعوام كَانَت أعوام تنظيم سَيْرِ العمل، دون تحديد تكييف حقيقىٍّ، ودون وسائل ولا فريق عمل كَبِير، بالإضافة إلى ظروف سِيَاسِيَّة غير مواتية واضطرابات. خلال هَذِهِ الْفَتْرَة نقلوا ونشروا نصوصًا هِيرُوغْلِيفِيَّة وكَذَلِكَ نصوصًا قِبْطِيَّة وعَرَبِيَّة (مخطوطات المقريزى)، وبعد أن سكنوا منزل السَّـــيِّدة ظريفة ومنزل كرشر، استقرُّوا منذ عام ١٨٩٨ فِى مبنى جديد مناسب لكل احتياجاته، وزوَّده بالوسائل والإمكانيات. ويرجع الفضل إِلَى إيميل شاسيناه (الْمُدِير الجديد للمَعْهَد) فِى إيجاد المطبعة، وابتداءً من سَنَة ١٩٠٠ أصبحت الكُتُب تُطْبَع فِى الْقَاهِرَة، ومع مجىء جاستون ماسبيرو عَلَى رأس مَصْلَحَة الآثَار تَغَيَّرَت الأُمُور، فقد ترك الحفائر لِفِرَق تنقيبٍ أَجْنَبِيَّة ليكرِّس مخصَّصات المَصْلَحَة للتنظيف وتعضيد وترميم الآثَار.

وبعد فترة انقطاع عَن مَصْلَحَة الآثَار ما بين عامَى ١٨٩١ و١٨٩٩ يعود بعدما كثرت المُشْكِلاَت فِى عهود من تولّوا المَصْلَحَة بعده، وأهمُّ حدث سيقوم بِهِ بعد عودته بسنوات قليلة هُوَ افتتاح المُتْحَف المِصْرِىّ فِى فبراير ١٩٠٢ فِى موقعة الجديدة بميدان التحرير، ونشر أجزاء كتالوج المُتْحَف، ومن لحظاته الجَمِيلَة كَذَلِكَ اصطحابه لشَخْصِيَّات كَبِيرَة فِى زيارتهم للآثار وعلى رأسهم الإمبراطورة أوجينى الَّتِى جاءت لزيارة مِصْر ثَانِيَة، وكَذَلِكَ اهتمَّ بنشر أَعْمَاله العِلْمِيَّة الكَثِيرة فِى هَذِهِ الْفَتْرَة.

فِى مُؤْتَمَر المُسْتَشْرِقين الدَّوْلِىّ فِى أثينا ١٩٠٥ اتفقوا عَلَى أن يكون المُؤْتَمَر التالى بِمِصْر ويشرف ماسبيرو عَلَى أَعْمَال هَذَا المُؤْتَمَر، وستبحث محاوره الآثَار والدِّرَاسَات الشَّرْقِيَّة والْبِيزِنْطِيَّة والجُغْرَافِيَّة، وأن لغة المُؤْتَمَر الرَسْمِيَّة ستكون الفَرَنسيَّة.

ونشير إِلَى أن الحضور الفَرَنْسِىّ كَانَ قويًّا (نحو ١٦٠ فَرَنْسِيًّا) نصفهم من الأَسَاتِذَة فِى المَدَارِس الثَانَوِيَّة ومن بينهم عشرون سيدةً، وَكَانَ مُؤْتَمَرًا كَبِيرًا وناجحًا، وحضور النِّسَاء كَانَ فِيهِ كَبِيرًا، فمنذ مُؤْتَمَر فلورنسا عام ١٨٧٨ لم تُرَ نِسَاءٌ فِى المُؤْتَمَرَات فيما عدا أميليا أدواردز، والحضور الفَرَنْسِىّ القوى لرجال التَعْلِيم فِى المُؤْتَمَر بالْقَاهِرَة كَانَ مقصودًا أشاد بِهِ ماسبيرو والوزير الفَرَنْسِىُّ، فهو إِشارة لوجود الفرانكفونيَّة القوىّ عَلَى المستوى الدَّوْلِىّ.

ولم يهمل ماسبيرو التربية والتَعْلِيم فى أثناء إِقامته بالْقَاهِرَة فأعاد افتتاح مَدْرَسَة المِصْرِيَّات الَّتِى أسَّسها أحمد كمال، ويدرس طُلاَّبُها الآثَار المِصْرِيَّة واللُّغَة

المصْرِيَّة الْقَدِيمَة، وامتحاناتهم فِي نِهَايَة السَّنَة تحت إشراف ماسبيرو نفسه فِي حالات الْمُتْحَف.

وماسبيرو عضو المَجْلِس التَعْليميّ للبعثة العِلْمَانِيَّة الفَرَنسِيَّة كَمَا يذكر ألفونس Alphonse أولاً فِي خطاب لَهُ بتَاريخ ٢٧ مارس ١٩٠٨، وماسبيرو كَذَلِكَ رَئِيس مَجْلِس آباء مَدَارِس الليسيه الفَرَنسِيَّة ورَئِيس المَجْلِس الأعلى للمَدَارِس الخاصَّة بالْقَاهِرَة، وظلَّ عَلَى اهتمامه بمَدَارِس مِصْر الَّتِي تعلِّم الفَرَنسِيَّة وكَذَلِكَ يفحص موادَّها التَعْليميَّة والتربويَّة، ويقلقه تقدُّم الإِنْجِلِيزِيَّة عَلَى حساب الفَرَنسِيَّة فِي مِصْر، ويتناول هَذَا الموضوع بشكل عامٌ وبقوة شارحًا إياه لوزير التَعْليم الفَرَنْسِيِّ عام ١٩٠٨ موضِّحًا أَهَمِّـيَّة أن تبعث فَرَنْسَا باحثين كَثِيرين لمُؤْتَمَر الْقَاهِرَة، فلا تزال الفرصة رغم الهزيمة السِيَاسِيَّة للنصر فِي مَجَالاَت الاقْتِصَاد والعلم والصناعة.

ثم هُوَ عضو مَجْلِس إدَارَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة، وشارك فِي وضع لوائحها واختيار أساتذتها فِي سنواتها الأُولَى، ويبعث إلى وَزَارَتِه ينصحها بدعم الأمير فُؤَاد.

وَكَانَ يرى انفعالات المِصْرِيِّينَ بسبب الحرب التُّرْكِيَّة الإِيطَالِيَّة عام ١٩١١ ثم بسبب الحرب التُّرْكِيَّة فِي البلقان ضدّ الْعَدِيد من الدُّوَل الأُورُوبِّية، ويسجِّل ما يسمعه من المِصْرِيِّينَ، ثم هُوَ، وبسبب ابتعاده عَن زوجته لعدَّة أشهر كُلّ عام، يبعث إِليها بالرسائل الَّتِي تَصِفُ كُلّ شيء فِي الْقَاهِرَة من أَعْمَال الحفائر، وغير ذَلِكَ من العمل الرسمى ثم تذكر طرفًا من مجريات الحياة فِي العاصمة: كَانَ يَصِفُ جنازة

غَنِىٌّ أرمنِىٌّ أَو طربوش أبيض، والأُورُوبّيين الأثرياء يمارسون هواية التنس، وَكَانَ يذهب للسهرات الموسيقيَّة.

وَكَمَا ترى لم نَتَطرَّقْ إِلَى أنشطته فِى المِصْرِيَّات لكثرتها، فهى تحتاج مجلَّد منفصل للحديث عنه.

جاستون فيت G. Wiet:

عاش فيت فِى مِصْر ثمانية وعِشْرِين عامًا، قضى منها ثلاث سنوات من ١٩٠٨ حَتَّى ١٩١١ باحثًا بالْمَعْهَد الفَرَنْسِىّ للآثار الشَرْقِيَّة بالْقَاهِرَة، وَكَانَ ذَلِكَ عقب تَخَرُّجِهِ فِى مَدْرَسَة اللُّغَات الشَرْقِيَّة بَبَارِيس. ثم عاد ليعيش فِى مِصْر مدَّة ربع قرن من الزمان تبدأ من سَنَة ١٩٢٦ عندما عُيِّنَ مديرًا لدار الآثَار العَرَبِيَّة (مُتْحَف الفنّ الإِسْلاَمِىّ)، وتنتهى بانتهاء مدَّة خدمته بالحُكُومَة المِصْرِيَّة فِى سَنَة ١٩٥١.

وطوال حياته العِلْمِيَّة الطويلة الَّتِى تمتدُّ من سَنَة ١٩٠٩ حَتَّى وفاته فِى ٢٠ أَبْرِيل ١٩٧١ كَانَ تَارِيخ مِصْر وحَضَارَة مِصْر من الفتح العَرَبِىّ حَتَّى العصر الحديث هُوَ المحور الرَئِيسى لدِرَاسَاته وأَبْحَاثه، وَذَلِكَ دون أن يبتعد عَن الميدان العامِّ لتخصُّصِهِ، وهو التَّارِيخ الإِسْلاَمِىُّ والحَضَارَة الإِسْلاَمِيَّة بصفة عامَّة.

وقد بلغت هَذِهِ الدِّرَاسَات والأَبْحَاث من التنوع والكثرة الْعَدِيدة ما يفوق تصوُّر الباحثين، فقد ترك عشرات من الكُتُب الَّتِى تغطِّى مُعْظَمَ مَجَالاَت الدِّرَاسَات التَّارِيخِيَّة والْحَضَارِيَّة. ومن هَذِهِ المجالات: التأليف، ونشر النصوص العَرَبِيَّة الْقَدِيمَة، والترجمة إِلَى اللُّغَة الفَرَنسِيَّة للمصادر التَّارِيخية والجُغْرَافِيَّة العَرَبِيَّة ولروائع الأَدَب المِصْرِىّ الحديث، ونشر النقوش العَرَبِيَّة، وأخيرًا الْفُنُون الإِسْلاَمِيَّة

والحَضَارَة الإِسْلاَمِيَّة. كَمَا كتب أَكْثَر من ثلاثمائة مقال تتناول مختلف الجوانب السِيَاسيَّة والاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والحَضَارِيَّة فِى تَارِيخ مِصْر خُصُوصًا، وفى التَّارِيخ الإِسْلاَمِىّ عمومًا.

وتتسم جميع هَذِهِ الدِّرَاسَات بالجِدَّة والأصالة وعمق البحث وغزارة المَادَّة، فقد كَانَ لا شغله شىء فِى حياته عَن التفرُّغ للبحث العلمىّ، ومكتبته الخاصَّة الَّتِى تَعَدَّت الخمسة عشر ألف مجلَّد.

ومُوجَز القول أنه عالِم من طراز العلماء الموسوعيِّين من أمثال السيوطى وغيره مِمَّن حفل بهم تَارِيخ مِصْر الإِسْلاَمِىّ.

لقد ختم فيت تَارِيخ مِصْر خصوصًا والتَّارِيخ الإِسْلاَمِىّ عمومًا فِى أمانة الرجل العالِم والمؤرِّخ الصادق، وهى أهمُّ الخصائص الَّتِى يجب أن يتحلى بِهَا المؤرِّخ ليقدَّر لأَعْمَاله الخلود.

ولِهَذَا فإنه من حقٍّ فيت عَلَى مِصْر، وعلى زملائه وأصدقائه من المِصْرِيِّينَ الَّذِينَ عملوا معه أَو ارتبطوا بِهِ برابطة الصَدَاقَة، بل ومن حقِّه عَلَى تلاميذه من المِصْرِيِّينَ وعلى الجَمْعِيَّة المِصْرِيَّة للدرَاسَات التَّارِيخِيَّة الَّتِى أسهم فِى نشاطها العلمىّ، أن نتذكر معًا سيرته العطرة وحياته العِلْمِيَّة الحافلة.

ولكى يتيسر لنا إِلقاء الضوء عَلَى أَعْمَاله العِلْمِيَّة، يجدر بنا أن نستعرض الجانب العلمىّ من تَارِيخ حياته الطويلة الَّتِى امتدت أربعة وثمانين عامًا. وإلى حضراتكم هَذَا العرض الموجَز:

- وُلِدَ فيت سَنَة ١٨٨٧ وتُوُفِّىَ فِى ٢٠ أَبْرِيل سَنَة ١٩٧١.
- حصل عَلَى دبلوم مَدْرَسَة اللُّغَات الشَرْقِيَّة ببَارِيس سَنَة ١٩٠٩.
- عضو بعثة الْمَعْهَد الفَرَنْسِىّ للآثار الشَرْقِيَّة بالْقَاهِرَة من سَنَة ١٩٠٩ حَتَّى سَنَة ١٩١١.
- أُسْتَاذ بالجَامِعَة المِصْرِيَّة سَنَة ١٩١٢-١٩١٣.
- محاضر فِى اللُّغَة العَرَبِيَّة واللُّغَة التُّرْكِيَّة بكلِّـيَّة الآداب-جَامِعَة ليون من سَنَة ١٩١١ حَتَّى سَنَة ١٩٣١.
- عضو مراسل بالمجمع الفَرَنْسِىّ سَنَة ١٩٢٤.
- مُدِير دار الآثَار العَرَبِيَّة بالْقَاهِرَة (مُتْحَف الفنّ الإِسْلاَمِىّ) من سَنَة ١٩٢٦ حَتَّى سَنَة ١٩٥١.
- عضو المجمع العلمىّ المِصْرِىّ من سَنَة ١٩٣٠ حَتَّى سَنَة ١٩٥١.
- أُسْتَاذ جُغْرَافْيَا وتَارِيخ الشَّرْق الأدنى بمَدْرَسَة اللُّغَات الشَرْقِيَّة ببَارِيس من سَنَة ١٩٣١ حَتَّى سَنَة ١٩٥١.
- الأمين العام للمجمع العلمىّ المِصْرِىّ من سَنَة ١٩٣٩ حَتَّى سَنَة ١٩٥١.
- عضو المجمع العلمىّ المِصْرِىّ من سَنَة ١٩٥١ حَتَّى سَنَة ١٩٧١.
- أُسْتَاذ اللُّغَة العَرَبِيَّة والأَدَب العَرَبِىّ بالكوليج دو فرانس من ١٩٥١ حَتَّى سَنَة ١٩٥٧.

— عضو المجمع الفَرَنْسِىّ من سَنَة ١٩٥٧ حَتَّى سَنَة ١٩٧١.

ومن هَذَا العرض يتضح لنا تكوينه العلمىّ الَّذى يتمثل أولاً فِى دِرَاسَته للُّغات الشَرْقِيَّة الثلاث، العَرَبيَّة والفارسية والتُّرْكِيَّة، ووصوله عَلَى المدى الطويل من حياته فِى معرفته بِهَذِهِ اللُّغَات إِلَى دَرَجَة متميزة ينفرد بِهَا بين المُسْتَشْرِقين المعاصرين.

وهَذِهِ القدرة فِى إجادة اللُّغَات الشَرْقِيَّة، ولا سيما اللُّغَة العَرَبِيَّة، هِىَ الَّتِى مكَّنته من أن يطرق جوانب عَدِيدة فِى الدِّرَاسَات الإِسْلاَمِيَّة كالأَدَب العَرَبِىّ والتَّارِيخ والجُغْرَافيَا، والْفُنُون والحَضَارَة، وهى الَّتِى جعلته يتصدى لترجمة النصوص العَرَبِيَّة الْقَدِيمَة لكبار المؤرِّخين والجُغْرَافيِّين العَرَب، ولترجمة روائع الأَدَب المِصْرِىّ الحديث بأقلام كبار الكتاب مثل طه حسين، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور.

كَمَا أن عمله الطويل فِى دار الآثَار العَرَبِيَّة قَد زاد من خبرته بالْفُنُون الإِسْلاَمِيَّة فِى مجالاتها كافَّةً.

هَذَا فضلاً عَن أن إقامته فِى مِصْر جعلته يتخطى حدود الدِّرَاسَة النَّظَرِيَّة لتَارِيخ مِصْر وشعب مِصْر وَالَّتِى تمتلئ بِهَا صفحات الكُتُب، وأن يتفهم عَن قربٍ روحَ الشعب المِصْرِىّ وجوانب الأصالة والإبداع الَّتِى تَجَلَّتْ عَلَى يديه عبر عصور التَّارِيخ، وعلى وجه التخصيص فِى العصر الإِسْلاَمِىّ.

وبِهَذِهِ النظرة الصادقة استطاع أن يتفهم أيضًا التَّارِيخ السِّيَاسِىّ والحضارى للعالَم الإِسْلاَمِىّ. ولِهَذَا تَمَيَّزَتْ دِرَاسَاته بمعالجة جوانب عَدِيدة من حَضَارَة مِصْر الإِسْلاَمِيَّة خصوصًا، والعالم الإِسْلاَمِىّ عمومًا. ويتمثل هَذَا فِى العدد الوفير من

المقالات الَّتى تُعَالِجُ الجوانب الاقْتِصَادية والاجْتِمَاعِيَّة والعِلْمِيَّة والأَدَبِيَّة والْفَنِّـــيَّة والشَّعْبِيَّة وغيرها.

وإلى هَذِهِ الجوانب المتعددة فِى تكوينه العلمىّ أُضِيفُ جانبًا آخر كَتَبَهُ بالتَّلْمَذَة عَلَى يد أُسْتَاذه العالِم السويسرىّ ماكس ثان برشم صاحب الفضل فِى إرساء علم دِرَاسَة النقوش العَرَبِيَّة. ثم ما لبث فيت أن أَصْبَحَ عَلَمًا من أعلام هَذِهِ الدِّرَاسَة. وَكَانَ فيت من أقرب تلامذَة ماكس فان برشم وأوثقهم صلة بِهِ فِى حياته، وأشدّهم إِخْلَاصًا لَهُ ولأَعْمَاله العِلْمِيَّة بَعْدَ وَفَاته.

الفصل الثامن
تَحَرُّكَاتُ الأَسَاتِذَةِ الأَجَانِبِ
فِى مِرْآَةِ الصَّحَافَةِ المِصْرِيَّةِ

منذ أن بدأ التفكير فِى إِنْشَاء "جَامِعَة" بِمِصْر والصَّحَافَة تتابع ما يدور والاجتماعات التى تتم واللجان التى تتشكل والنداءات التى تُوَجَّه، ومنذ أصبح الحلم واقعًا والخيال حقيقةً والفكرة كِيَانًا ملموسًا، والصَّحَافَة لا تكفُّ عن تسجيل كلِّ ما يدور، فكَانَت هناك "اللِّوَاء" و"الجريدة" و"الهلال" و"المقتطف" و"المنار" وغيرها. لكن تبقى الأهرام متفردة بين كل هذه الإصدارات بميزتين مُهِمَّتَيْنِ جَعَلَتَا المؤرِّخ المعروف يونان لبيب رزق يلقبها بـــ(ديوان الحياة المعاصرة)، وهما: الاستمرارية والدقة فِى متابعة ما يجرى، وتسجيله يومًا بيوم.

ولذلك سنتتبع من خلال صحيفة الأهرام أخبار الأَسَاتِذَة الأَجَانِب بالجَامِعَة المِصْرِيَّة، لِمَا فِى ذلك من إتمام الفائدة ومزيد من المعلومات والتفصيلات التى لم تذكرها الوثائق الرَسْمِيَّة المسجَّلة والكُتُب المؤلَّفة حول الجَامِعَة.

كتبت "الأهرام" بتَارِيخ 31 مارس 1909 تقول:

"كان أمسِ موعد المُحَاضَرَة الأُولَى من المُحَاضَرَات الاقْتِصَادية التى يُلْقِيهَا حضرة المسيو بول ريبو (P. Ribout) الأُسْتَاذ فِى مَدْرَسَة حُقُوق جرينوبل، ودار البحث الأول على الأزمة الأَمْرِيكِيَّة وأسبابها وأطوارها، فشرح حضرة الأُسْتَاذ المسألة بكل دقَّة ووضوح ممَّا دلَّ على طول باعه وبُعد نظره فِى هذه الأُمُور، ونَوَدُّ من الجُمْهُورِ الحُضُورِ فِى هذه المُحَاضَرَات لالتقاط فوائدها الكَثِيرة، وغدًا مساءً موعد المُحَاضَرَة الثَّانِيَة وموضوعها "الأزمة الناشئة عن وفرة المحصول فِى أَمْرِيكا ونتائجها فِى البلاد الأَجْنَبِيَّة"، ويوجد بالنادى (أى نادى المدارس العُلْيَا) والجَامِعَة تذاكر لحضور مُحَاضَرَة واحدة لمن يشتركون فِى جميع المُحَاضَرَات".

16 مارس 1909:

"كان أمس المُحَاضَرَة الثَّانِيَة من المُحَاضَرَات الاقْتِصَادية التى يُلْقِيهَا جناب المسيو ريبو بناءً على دعوة نادى المدارس العُلْيَا وتحت رعاية دولة الْبِرِنْسِ أحمد باشا فُؤَاد".

ثم أوردت الصحيفة تلخيصًا للمُحَاضَرَة.

26 نوفمبر 1909:

نشرت الصحيفة جدول ترتيب الدروس فِى السَّنَة المكتبة 1909-1910، فكَانَت مواعيد مُحَاضَرَات الأُسْتَاذَة الأَجَانِب كَمَا يلى:

- الفلك والعُلُوم عند العَرَب: الأُسْتَاذ السنيور نالينو أَيَّام الأحد والأربعاء من الساعة 5 بعد الظهر لغاية الساعة 6 بعد الظهر (باللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة).
- آداب اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة: الأُسْتَاذ المِسْتَر شارل سيسون أَيَّام الإثنين والخميس من الساعة 5 بعد الظهر لغاية الساعة 6 بعد الظهر.
- علوم وآداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة: الأُسْتَاذ المسيو بوفيليه أَيَّام السبت والثلاثاء من الساعة 6 ونصف لغاية الساعة 7 ونصف بعد الظهر.
- الاقْتِصَاد السِّيَاسِيّ: الأُسْتَاذ المسيو جرمان مارتان- أَيَّام الإثنين والأربعاء من الساعة 6 ونصف لغاية 7 ونصف بعد الظهر.
- مُحَاضَرَات السَّـــيِّدَات: الأُسْتَاذَة جناب المدموازيل كوفرير أيام الإثنين والخميس من الساعة 10 ونصف لغاية 11 ونصف صباحًا.

30 نوفمبر 1910:

"ابتدأ الأُسْتَاذ لومونييه يوم السبت بِإلقاء دروسه باللُّغَة الفَرَنْسَاوية، فجعل تلك الدروس مزيجًا من البسط لِلطَّلَبَة والإِجمال للمتعلمين وأعلن أنه مستعدٌّ لمقابلة الطَّلَبَة الَّذينَ يطلبون منه الإِيضاح والبيان، أَمَّا دروسه فإِنَّها تتناول تَارِيخ آداب اللُّغَة الفَرَنْسَاوية منذ عهد النهضة إِلَى أن زالت الفصاحة المَدْرَسيَّة".

"وأمس بدأت المدموازيل كوفرير بإلقاء درسَها على السَّـــيِّدَات وكان عددهن كَبِيرًا، فانتقلت فِي هَذَا العام من تَارِيخ المَرْأَة فِي الأمم والأجيال إِلَى درس أخلاق المَرْأَة وأطوارها ووجدانها وحياتها، وقد أعلنت أنها لا تقتصر على إِلقاء الدروس بل تشرح لكلّ سائلةٍ ما يغمض عليها من الموضوع، ولنا الأمل أن تُقْبِلَ السَّـــيِّدَات على درسها لأنها انتقلت فِي هَذَا العام من الفصل التَّارِيخى إِلَى الفصل العلمىّ".

وتذكر أن جرمان مارتان غادر الجَامِعَة وحلّ محلّه الأُسْتَاذ بوليه، فهى تقول:

"هل يستطيع الأُسْتَاذ الجديد أن ينهض بِمَهَمَّتِه؟ لأن فنّ الاقْتِصَاد السِّيَاسِيّ من أصعب الفنون، فلما بدأ الأُسْتَاذ الجديد مساء أمس بِإلقاء دروسه عرفنا أنه سيكون خير عِوَض، وتَحَدَّث عن تبادل المحصولات والأموال وأظهر أَهَمِّـــيَّة التبادل فِي هَذَا العصر، ودرسه يوم الإثنين والأربعاء من الساعة 6 وثلاثة أرباع إِلَى 7 وثلاثة أرباع".

12 مارس 1914:

"قَبِلَ مَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة استعفاء سعادة يعقوب أرتين باشا وجناب المحامى لوزينا بك وانتخب بدلاً منهما سعادة إسماعيل باشا حسنين وكيل نظارة المَعَارِف العُمُومِيَّة وجناب المِسْتَر إيموس ناظر مَدْرَسَة الحُقُوق الخِدِيوِيَّة".

7 يوليو 1914:

"أقامت الجَامِعَة بفندق الكونتيننتال مأدُبَة تكريم فِى منتصف الساعة التَّاسِعة من مساء يوم الخميس الماضى للعالِم الأثرىِّ المسيو ماسبيرو مدير مصلحة الآثار المِصْرِيَّة والعضو العامل بمَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة لمناسبة مغادرته القطر المِصْرِىّ، حضرها صاحب الدولة الأمير الجليل أحمد فُؤَاد باشا رَئِيس شرف الجَامِعَة، ومن مَجْلِس الإدارة أصحاب السعادة والعزَّة أحمد شفيق باشا المراقب العامُّ وإسماعيل حسنين باشا. وألقى الجمع كلمات وخُطَبًا، ومنها خطاب أحمد شفيق باشا الذى ذكر فِيهِ ما قام بِهِ الأُسْتَاذ ماسبيرو من الخدمات الجليلة للجَامِعَة منذ تأسيسها وأبلغه فِيهِ قرار مَجْلِس إدارتها بتعيينه عضوَ شرَفٍ ومستشارَ شرفٍ لَهَا. ثم شكر سعادة الدُّكْتُور علوى باشا السير ماسبيرو[1] على مشاركته لَمجْلِس الإدارة ومثابرته معه على العمل فِى رُقِىِّ الجَامِعَة وأظهر مزيد أسف الجَامِعَة على حرمانه من علمه وخبرته، ثم قدَّم لَهُ محفظة بِهَا صور أعضاء مَجْلِس الإدارة والأَسَاتذَة منقوشة بنقش عَرَبِىّ جميل، فأجاب الأُسْتَاذ ماسبيرو بخطاب رقيق العبارة كان لَهُ أحسن وقع فِى نفوس المحتفلين".

---

(١) وهو لقب شرفىٌّ إنجليزى كبير أنعمت عليه به بريطانيا نظرًا إلى ما أبداه من تعاون مع بعثتها الأثرية بمصر.

16 ديسمبر 1914:

"ورد على إِدَارَة الجَامِعَة كتاب جناب المسيو دو فرانس المعتمد السِّيَاسِيّ لحُكُومَة فَرَنْسَا يفيد حضور المسيو لوى كليمان أُسْتَاذ آداب اللُّغَة الفَرَنسِيَّة فِى بحر شهر ديسمبر القادم وأنه سيبدأ دروسه كالمعتاد فِى التَّارِيخ الذى تعلنه سكرتارية الجَامِعَة فيما بعد".

11 نوفمبر 1917:

"عيَّن مَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة فِى مثل هَذَا الوقت من العام الماضى المِسْتَر ورثم رَئِيس تحرير الإيجيبشيان مايل أُسْتَاذًا لآداب اللُّغَة الإِنْجلِيزِيَّة خَلَفًا للمستر برسى وايت الكاتب والروائى ذائع الصيت، ولم يقَعْ تعيين المِسْتَر ورثم لِهَذَا المركز موقع العجب من أحد من أصدقائه وعارفى قدره لأنه خرِّيج كمبردج، إِحدى الجَامِعَات العظيمة الإِنْجلِيزِيَّة، بل هو من نوابع من تَلَقَّوا العُلُوم فيها، وإن كتاباته فِى جريدته تشفُّ ليس فقط عن مقدرته فِى إدراك أسرار لغته، بل عن علمٍ واسع واطِّلاع كَبِير فِى جميع المسائل التى يشحذ قلمه لمعالجتها".

9 أبريل 1918:

"بدأت الامتحانات التحريرية والشفوية الخاصَّة بدبلوم قسم العُلُوم الجنائية التابع للجَامِعَة المِصْرِيَّة يوم الأحد 31 مارس الماضى وانتهت يوم السبت 6 أبريل الحالى، وندبت وزارة الحَقَّانِيَّة المِسْتَر هِلْ والمستر كالوينى المستشارين بمَحْكَمَة الاستئناف الأَهْلِيَّة (وغيرهما) للمشاركة فِى امتحان الطُلاَّب".

28 نوفمبر 1927:

"وافق حضرات الدولة والمعالى الوُزَرَاء على المسائل الآتية:

1- تعيين المِسْتَر برسى تشارلز ريمنت المدرِّس الأول بمعمل الفسيولوجيا بجَامِعَة أكسفورد أُسْتَاذًا للفسيولوجيا بكلِّـيَّة الطِّبّ فِى الدَّرَجَة الأُولَى حرف ج بعقد لمدة ثلاث سنوات.

2- تعيين المسيو بوبيه الأُسْتَاذ بكلِّـيَّة الحُقُوق بجَامِعَة بوردو أُسْتَاذًا للقَانُون وتَارِيخ القَانُون بكلِّـيَّة الحُقُوق بعقد لمدة ثلاث سنوات فِى الدَّرَجَة الثَّانِيَة.

3- تعيين المِسْتَر هيز الذى يشغل وَظِيفَة عامل زجاج بجَامِعَة درهام بإِنْجِلْتِرَا فِى وَظِيفَة مماثلة لهذه الوَظِيفَة بكلِّـيَّة العُلُوم بمرتَّب ثابت مقداره أربعمائة جنيه سنويًّا بعقد لمدة ثلاث سنوات، وقد وقع الاختيار عليه بعد الإعلان عن هذه الوَظِيفَة فِى مِصْر وإِنْجِلْتِرَا".

15 ديسمبر 1927:

"اجتمع مَجْلِس إِدَارَة كلِّـيَّة الآدَاب أمس فِى إِدَارَة الجَامِعَة لانتخاب عَمِيد للكُلِّـيَّة، وأسفرت النتيجة عن فوز الدُّكْتُور طه حسين بأَغْلَبِيَّة 10 أصوات ضدّ 9 أصوات نالها المسيو ميشو".

10 يناير 1928:

"أصدر معالى وزير المَعَارِف أمس قرارًا بتعيين المسيو ميشو (أحد أَسَاتِذَة كلِّــيَّة الآدَاب) عَمِيدًا للكُلِّــيَّة وذلك بمناسبة استقالة الدُّكْتُور طه حسين".

7 فبراير 1928:

"أَسَاتِذَة كلِّــيَّة العُلُوم سبعة أصحاب كراسى أحدهم مِصْرِىّ والباقى أَجَانِب والمدرِّسون عددهم 13 منهم 5 من الأَجَانِب".

"أُنشِئَ فِى كلِّــيَّة الحُقُوق قسم للدُّكْتُوراه يدرس فِيه نخبة من كبار الأَسَاتِذَة الأُورُوبِّيين يعاونهم الأَسَاتِذَة المِصْرِيُّونَ ويلقى أَسَاتِذَة الدُّكْتُوراه مُحَاضَرَات فِى قسم الليسانس، ومُحَاضَرَات قسم الدُّكْتُوراه باللُّغَة الفَرَنسيَّة والإِنْجليزِيَّة، وعدد الأَسَاتِذَة ذوى الكراسى تسعة منهم سبعة من الأَجَانِب وأُستَاذ مساعد أجنبى ومدرِّس أجنبى".

"وفى كلِّــيَّة الطِّبّ عدد الأَسَاتِذَة ذوى الكراسى 15 منهم عشرة من الأَجَانِب والأَسَاتِذَة المساعدون مِصْرِيُّونَ، والمدرِّسون 16 منهم اثنان من الأَجَانِب والمدرِّسون المساعدون 17 منهم أجنبيان".

12 يناير 1929:

"وافق مَجْلس إِدَارَة الجَامعَة على انتخاب الأُسْتَاذ لتمان بجَامِعَة توبنجن بأَلْمَانْيَا ليقوم بتدريس تَارِيخ اللُّغَات الساميَّة بكلِّــيَّة الآدَاب بالجَامعَة. ويبدأ الأُسْتَاذ لتمان فِى إِلقاء مُحَاضَرَاته من أول فبراير القادم وينتهى منها فِى منتصف

شهر مايو من هذه السَّنَة. وسيُعْطَى مكافأة قدرها خمسمائة جنيه على أن يتحمل نفقات السفر ذهابًا وإيابًا".

11 فبراير 1929:

"وصل الأُسْتَاذ باللتيد المُسْتَشْرِق المشهور إِلَى الْقَاهِرَة إجابة لطلب الجَامِعَة المِصْرِيَّة لإلقاء مُحَاضَرَات فِى تَارِيخ الدُّوَل العَرَبِيَّة قبل الإِسْلَام، وقد بدأ مهمته منذ يوم السبت الماضى. كَانَت كلّــيَّة الآداب قَد قرَّرَت ندب أحد أَسَاتِذَة جَامِعَة ليفربول للحضور إِلَى الْقَاهِرَة لإلقاء مُحَاضَرَات على طَلَبَة الكلّــيَّة فِى تَارِيخ العصر القَدِيم، وقد قدم إِلَى لقاهرة فِى آخر الأسبوع الماضى لِهَذَا الغرض".

"يصل الأُسْتَاذ ليتمان (من أكبر علماء العالَم المُسْتَشْرِقين) فِى هَذَا الأسبوع لإلقاء مُحَاضَرَات فِى مختصر اللُّغَات السامية على الطَّلَبَة فِى بقية السَّنَة الدِّرَاسِيَّة الحالية".

2 يوليو 1929:

تحت عنوان: (الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة) كتبت الأهرام تقول:

"قرَّر مَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة تعيين عِدَّة مُدَرِّسِينَ أَجَانِب بكُلّــيَّات الجَامِعَة بعقود لِمُدَد مختلفة، وهذه أسماء حضراتهم:

- فِى كلّــيَّة الحُقُوق: المسيو ريتشى للعلوم الماليَّة والتشريع المالىّ، والمسيو شيرون للقَانُون المَدَنِىّ المقارن لمدة ثلاثة سنوات بمرتب 1140 جنيهًا لكل منهما.

- فِى كلِّـيَّة العُلُوم: المسيو هارولد والدُّكْتُور نيف لعلم الحَيَوَان بعقد لمدَّة ثلاث سنوات ومرتب 720 جنيهًا للأول و960 جنيهًا للثانى فِى السَّنَة.
- فِى كلِّـيَّة الطِّبّ: المِسْتر ريدل مدرِّسًا للتشريع لمدَّة ثلاثة سنوات بمرتب 720 جنيهًا.
- فِى كلِّـيَّة الآدَاب: المِسْتَر جونس لتدريس تَارِيخ مِصْر فِى عهدَى اليُونَان والرُّومَان، والمسيو جان مارى كارى مدرِّسًا لتَارِيخ الآدَاب الفَرَنسيَّة بعقد لمدة ثلاث سنوات بمرتب 1140 جنيهًا سنويًا".

23 أكتوبر 1930:

"تلقينا منذ يومين أن الأُسْتَاذ الدُّكْتُور طه حسين انتُخب عَميدًا لكلِّـيَّة الآداب، ولم ينَل الدُّكْتُور طه حسين سوى أحد عشر صوتًا من واحد وعِشْرين صوتًا خلافًا لِمَا ذُكر عن أنه انتُخب بإِجماع الأصوات. والحقيقة أن الأَسَاتذَة الأَجَانب فِى الكلِّـيَّة أحجموا عن ترشيح الدُّكْتُور طه حسين وأعطوا أصواتهم للأُسْتَاذ سترلينج أُسْتَاذ اللُّغَة الإِنْجليزيَّة والأُسْتَاذ نيوبرى أُسْتَاذ التَّارِيخ الحديث، وقد نال الأول ثمانية أصوات والثَّانِى صوتين، ويرمى الأَسَاتذَة الأَجَانب فِى كلِّـيَّة الآدَاب بتصرفهم هَذَا إِلَى أن يكون لهم مُمَثِّل فِى مَجْلس إِدَارَة الجَامِعَة بحيث تنتفع الإِدارة بخبرتهم الفنِّـيَّة فِى تنظيم الجَامِعَة الحَدِيثَة العهد".

25 فبراير 1932:

ذكرت صحيفة الأهرام تحت عنوان "الدُّكْتُوراة الفخرية تمنحها الجَامِعَة المِصْرِيَّة لأربعة علماء أجَانِب" ما يلى:

"وافق مَجْلس إِدَارَة الجَامِعَة المِصْرِيَّة على منح شهادة الدُّكْتُوراه الفخرية لأربعة من أكبر العلماء الأَجَانب المشهورين، أحدهم إِنْجليزيٌّ هو الدُّكْتُور إليوت سميث، والثَّانِي فَرَنْسَاوى وهو الأُسْتَاذ كانيتان ويُعَدُّ أكبر علماء القَانُون فِي فَرَنْسَا، والثالث أَلْمَانِيٌّ وهو الدُّكْتُور ساور بروخ الجَرَّاحُ الأَلْمَانِيّ المشهور الذى زار مِصْر فِي العام الماضى، والرابع إيطَالِيٌّ وهو السنيور شالويا، وهو من أشهر رجال القَانُون فِي العالَم، تَوَلَّى الوزارة من قبل وله أثر كَبِير فِي سِيَاسَة دولته وفى السِّيَاسَة الدولية بوجهٍ عامٍّ.

وسيعلن حضرة صاحب المعالى وزير المَعَارِف الخبر رسميًّا فِي الاحتفال الذى تقوم بِهِ الجَامِعَة بمناسبة تشريف جلالة الملك لَهَا بزيارته الكريمة".

29 فبراير 1932:

تحت عنوان "إِهداء الجَامِعَة ثمارها الأَدَبِيَّة لجلالة الملك" كتبت:

"قدَّم حضرة صاحب العزة لطفى السَّــيِّد بك مدير الجَامِعَة إِلَى جلالة الملك فِي أثناء زيارته الملكيَّة الكُتُب التى نشرها الجَامِعَة لأساتذها فِي مختلف الأبواب وهى:

1- كتاب العشر المقالات فِي العين المنسوب إلى حنين ابن إِسحاق مَعَ شرحه وترجمته إِلَى الإِنْجليزِيَّة بقلم الدُّكْتُور ماكس مايرهوف.

2- المختصر فِي علم اللُّغَة العَرَبِيَّة تأليف الأُسْتَاذ جويدى.

3- فيضان النيل فِي عهد الملك طهارقة تأليف المسيو فيكنتيف بالفَرَنسِيَّة.

4- دلف والوحى فيها تأليف الأُسْتَاذ جراندور بالفَرَنسِيَّة.

5- أثينا من عهد طباريوس إِلَى كريانوس تأليف الأُسْتَاذ جراندور بالفَرَنسِيَّة.

6- هيرد أبيكوس تأليف جراندور بالفَرَنسِيَّة.

7- حرب الإِسكندرية تأليف جراندور بالفَرَنسِيَّة.

14 مارس 1932:

ذكرت الأهرام بعدما رصدت الإِضراب الذى شمل كُلِّـيَّات الجَامِعَة بسبب نقل الدُّكْتُور طه حسين أنه:

"حدث أن طلب إِليهم المستر إستيرلنج وكيل كلِّـيَّة الآدَاب أن ينتدبوا اثنين منهم ليقابلوه، فلمَّا فعل الطَّلَبَة نصح لهما أن يُبْلِغَا إخوانهما رغبتَه ورغبةَ الأَسَاتِذَة معه فِى العدول عن الإِضراب، ثم طلب إِليهما أن ينفيا عند إِخوانهما أن للإِنْجلِيز يدًا فِى نقل الدُّكْتُور طه حسين من الجَامِعَة، ولكن كان الأَسَاتِذَة الأَجَانِب متحمسين جِدًّا للقرار".

- وفى كلِّـيَّة العُلُوم ذكرت الأهرام فِى نفس العدد:

"سُئِلَ أمس المستر بنجام عَمِيد كلِّـيَّة العُلُوم هل قدَّم استقالةً من منصبه فأجاب بالنفى، ونحن نكرِّر الْيَوْمَ ما نشرناه أمس من أن إِدَارَة الجَامِعَة ووزارة المَعَارِف لم يتلقّيا منه استقالة، وقال المقرَّبون منه إن جناب المستر بنجام كان يسبِّب تفكيره فِى الاستقالة بعدم استطاعته حفظ النِّظَام فِى الكلِّـيَّة لإِضراب الطَّلَبَة فِى الأَيَّام الأخيرة".

18 مارس 1932:

فِى لقاء مَعَ الدُّكْتُور طه حسين ذكر الأهرام:

"مثّلتُ الجَامِعَة الأميرية مَعَ الأُسْتَاذ جراندور فِى مؤتمر الآثار الذى عُقد فِى سوريا وفلسطين فِى أبريل سَنَة 1926، وفى سَنَة 1931 مثّلتُ الجَامِعَة والحُكُومَة والمجمع العلمىّ المِصْرِىّ فِى مؤتمر المُسْتَشْرِقين الذى عُقد فِى ليدن، ولم أكُن وحدى فكنت واحدًا من أربعة يمثّلون الجَامِعَة وواحدًا من أربعة يمثلون الحُكُومَة وواحدًا من أربعة يمثّلون المجمع العلمىّ، وكان معى عن الجَامِعَة المِصْرِيَّة وعن الحُكُومَة أحمد أمين وفيت، وعن المجمع العلمىّ الأسَاتِذَة مصطفى عبد الرازق ولاكو وفيت وجوجيه، وكان رَئِيس الوفد المِصْرِىّ حافظ عفيفى باشا".

2 يونيو 1932:

"اجتمع مَجْلِس إِدَارَة الجَامِعَة أمس وأقر ما يلى: منح دَرَجَة الدُّكْتُوراه الفخرية فِى الطِّبّ للأُسْتَاذ جيل روديه الأُسْتَاذ بكلّيَّة الطِّبّ جَامِعَة بروكسل".

28 **يناير** 1935:

"وافق مَجْلِس الجَامِعَة فِى اجتماعه الأخير على المسائل التالية:

1- ندب الأُسْتَاذ داى أُسْتَاذ الأمراض الباطنية بكلّيَّة الطِّبّ لحضور امتحانات مَدْرَسَة كتشنر الطِّبِّيَّة بالخرطوم.

2- ندب المسيو برشيانى تيرونى أُسْتَاذ الاقْتِصَاد بكلّيَّة الحُقُوق لإِلقاء محاضرتين بمَدْرَسَة الاقْتِصَاد بجَامِعَة لندن فِى يونيو المقبل".

16 فبراير 1935:

"قرَّر مَجْلس الجَامعَة المِصْرِيَّة فِي اجتماعه الأخير الموافقة على المسائل الآتية: ترشيح الدُّكْتُور سميرك لوَظِيفَة أُسْتَاذ لعلم الأقرباذين بكلِّـيَّة الطِّبّ بدلاً من الدُّكْتُور جدم المستقيل على أن يكون تعيينه لمدة ثلاث سنوات وبماهية قدرها 1400 جنيه يُخْصَمُ منها رسم الدمغة بأنواعها، وتجديد عقد الدُّكْتُور إِثرب أُسْتَاذ الفسيولوجيا بكلِّـيَّة الطلب لمدَّة خمس سنوات من أول أغسطس المقبل بنفس شروط العقد الحاليّ".

29 مايو 1935:

"وافق مَجْلس الجَامعَة المِصْرِيَّة على ما يلي: اقتراح صرف مصاريف السفر الفعليَّة وبدل السفر لمدة شهر للدُّكْتُور بولجاكوف المنتدَب للسفر إِلَى إِنْجِلْتِرَا فِي العطلة الصيفيَّة هَذَا العام للوقوف على التقدُّم الحديث فِي نِظَام المتاحف بحيث لا يتجاوز ما يُصْرَف إليه مبلغ مائة جنيه محتسَبًا على بند 11 رحلات وأبحاث عِلْمِيَّة (كلِّـيَّة الطِّبّ)، واقتراح كلِّـيَّة الحُقُوق رفع مرتَّب الأُسْتَاذ برن أُسْتَاذ القَانُون المَدَنِيّ إِلَى 900 جنيه سنويًّا بدلاً من 840 جنيهًا".

23 أكتوبر 1936:

"ترشيح الدُّكْتُور ون أُسْتَاذًا مساعدًا للرياضة البَحْتَة بكلِّـيَّة العُلُوم".

25 أكتوبر 1937:

"اجتمع مَجْلس الجَامعَة المِصْرِيَّة واتخذ عدة قرارات منها: تعيين المسيو هنرى إِيرينيه مارو أُسْتَاذًا مساعدًا للتَارِيخ القَدِيم بكلِّـيَّة الآدَاب، والمسيو ميشيل دى

بواميدرينا لتَارِيخ العُصُور الوسطى بِهَا، والأُسْتَاذ لالاند بعقد لمدة ثلاث سنوات بماهية 960 جنيهًا فِى السَّنَة على وَظِيفَة أُسْتَاذ مساعد، وندب الأُسْتَاذ كهنل أُسْتَاذًا زائرًا بمكافأة 500 جنيه، وندب الأُسْتَاذ بريتشارد أُسْتَاذًا زائرًا بمكافأة 360 جنيهًا للتَّدْرِيس بالكلِّــيَّة، والموافقة على طلب الجَمْعِيَّة الطِّــبِّــيَّة المِصْرِيَّة مساهمة للجَامِعَة فِى دفع نصف نفقات الأُسْتَاذ فون برجمان بمناسبة حضوره لإلقاء بعض مُحَاضَرَات عِلْمِيَّة، والموافقة على طلب كلِّــيَّة الطِّبِّ بصرف مبلغ 30 شلنًا إِلَى الأُسْتَاذ برناردشو قيمة تكاليف طبع وتجليد مائة نسخة من مقالة التلقيح الذاتى للطحال".

قائمة الملاحق

المُلْحَق رقم (1)

قائمة بأسماء الأَجَانِب فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة وجِنْسِيَّة كل منهم وسنوات عمله

1– فِي مَجْلِس الجَامِعَة:

– إيموس، شيلدون .Shildon, A:

(إنجليزى– 1913/1920).

– فوكار، جورج .Foucart, G:

(فرنسى– 1915/1929).

– لوزينا، أوجو .Luzina, O:

(إيطالى– 1908/1912).

– ماسبيرو، جستون .Maspero, G:

(فرنسى– 1908/1914).

2– أجانب إداريون ومهندسون معماريون:

– بويد كارنتر .Carenter, B:

(إنجليزى)

– بتس Betz:

(إنجليزى)

– ستينون (مهندس معمارى) Stion:

(فرنسى)

- هيونم (مهندس معمارى Hunem:

(إنجليزى)

3- المكتبة:

- فاجو، فانسترو Fago, F.:

(إيطالى- 1908/1913).

4- أجانب زاروا الجامعة المصرية، وألقوا بها محاضرات:

- أرنولد، توماس Thomas, A.:

(إنجليزى- آداب- 1930).

- برجمان، فون Bergmann, V.:

(ألمانى- آداب-؟).

- برنارد شو، ج[2] Schow, B:

(إنجليزى- آداب- 1930).

- روكسى Roxy:

(إنجليزى- آداب- 1930).

- كهنل Kühnel:

---

(٢) زار مصر، بعث إليه اتحاد الجامعة المصرية برقية تحية ودعوة لزيارة الجامعة، لكنه لم يتمكن لضيق وقته.

(سويدى- علوم- 1930).

5- الأساتذة الأجانب وجنسياهم وسنوات عملهم بالجامعة المصرية:

- أثرب Athrib:

(إنجليزى- طب- 1940/1935).

- استبرى Astubury:

(إنجليزى- آداب- 1932/؟).

- أستلى Astley:

(إنجليزى- آداب- 1938/1937).

- أسرتييه Assertier:

(فرنسى- آداب- 1932/1929).

- إنز Ins:

(إنجليزى- علوم-؟)

- أندريا، شارل .Andrea, Ch:

(سويسرى- هندسة- 1937/1938).

- أوبان Aubin:

(إنجليزى- آداب- 1931).

- إيفانس– بريتشارد .Evans-Pritchard, E:

(إنجليزى– آداب– 1934/1931).

- أيرز، روزجيل .Rosegill, A:

(سويدى– علوم– 1936/1925).

- باترى Patry:

(إنجليزى– آداب– 1938/1937).

- باتو Pato:

(فرنسى– حقوق– 1925/1924).

- باللتيد Palthid:

(إنجليزى– 1929/؟).

- بران Brin:

(فرنسى– آداب– 1923/؟).

- براون Brown:

(إنجليزى– طب– 1940/1929).

- برجستراسر، جوتلف .Bergstrasser, G:

(نمساوى– آداب– 1929).

- برن Bern:

(إنجليزي- حقوق- 1932/1935).

- بنتلي Bentley:

(إنجليزي- طب- 1929/1941).

- برناردشو Schow, B.:

(إنجليزي- طب- 1929/1937).

- بريتشارد Pritchard:

(إنجليزي- طب- 1929/1937).

- بروت Brott:

(إنجليزي- آداب- 1910/1920).

- بريانت Briant:

(إنجليزي- آداب- 1919/1921).

- بريهيه، إميل Briehé, E.:

(فرنسي- آداب- 1925/1929).

- بوامدرينا Poamedrina:

(فرنسي- آداب- 1937/1940).

- بنتور، سيوتو .Seoto, B:

(فرنسي- حقوق- بعد عام 1915).

- بنجام .Bangam, D.H:

(سويدي- علوم- 1936/1927).

- بوفيليه، ألبرت .Pauphilet, A:

(فرنسي- آداب- 1910/1908).

- بوليه Polet:

(فرنسي- آداب- 1915/1911).

- بولجاكوف Bolgakoff:

(روسي- آداب-؟).

- بيسوث Bisson:

(فرنسي- حقوق- 1909/؟)

- بيفان Bivan:

(فرنسي- آداب- 1938/1937).

- تريب Tripp:

(إنجليزي- طب- 1903/1891).

- تستو **Testout:**

(فرنسي- حقوق- 1891/1902).

- تشابمان **Champman:**

(إنجلزي- علوم- 1925/1936).

- توتي **Toutey:**

(فرنسي- آداب- 1923/1933).

- تومسون Thompson:

(إنجليزي- آداب- 1937/1938).

- تيروي Teroy:

(فرنسي- حقوق- 1935/1937).

- تيلور، والت .Taylor, W:

(إنجليزي- آداب- 1932/؟).

- جاردنر Gardiner:

(إنجليزي- طب- 1932).

- جدم Geddem:

(إنجليزي- طب- 1932/1935).

- جراندور، بول Graindor, P:

(فرنسي- آداب- 1929/ 1933).

- جرانمولان Grandmoulin:

(فرنسي- حقوق- 24/9/ إلى 30/12/ 1906).

- جرانييه Granier:

(فرنسي- آداب- 1937/1938).

- جراى، إيجرتون تشارلز Gray, E. Ch.:

(إنجليزى- علوم- 1924/1925).

- جريجوار، هنرى Grégoire, H.:

(بلجيكى- آداب- 1923/1928).

- جريفيز، ر. Gravies, R.:

(إنجليزى- آداب- 1929/1932).

- جوجيه، بيير Jouguet, P.:

(فرنسي- آداب- 1935/1937).

- جورج. ج George, G.:

(إنجليزى- آداب- 1932/؟).

- جولنيشف، ف. Golnischeff, V.:

(روسى- آداب- 1923/1929).

- جونس Jones:

(إنجليزى- آداب- 1929/1932).

- جويدى، إينياتسيو Guidi, I.:

(إيطالى- آداب- 1945/1951).

- جويدى، ميشيل Guidi, M.:

(إيطالى- آداب- 1926/1929).

- جويون، برنارد Goyon, B.:

(بلجيكى- آداب- 1945/1951).

- جيرارد، بول Girard, P.:

(فرنسى- آداب- 1924/1925).

- جيل Gill:

(إنجليزى- آداب- 1910/1911).

- جيمان Guimmin:

(فرنسى- آداب- 1937/1938).

- جيوم Guillaume, A.:

(إنجليزي- آداب- ؟).

- داي Day:

(إنجليزي- طب- 1929/1930).

- دري Derry:

(إنجليزي- طب- 1929/1937).

- دوب، م. هرمان. Dopp, M.H.:

(فرنسي- آداب- 1932/1934).

- دوبن، روي صامويل Dubin, R. S.:

(إنجليزي- طب- 1929/1932).

- دوبريه بوناميه Dobrée, B.:

(إنجليزي- آداب- 1928/1929).

- دوبوار، ريتشارد Deboire, R.:

(فرنسي- حقوق-؟).

- دوبيان Dobien:

(فرنسي- آداب- 1932/1938).

- دودجيون Dodgion:

(إنجليزى- طب- 1929/1941).

- ران Rahn:

(ألمانى- آداب- 1932/؟).

- روجييه Rougier:

(فرنسى- آداب- 1929/1932).

- رويز، أرانجيو Rouise, A.:

(فرنسى- حقوق- 1908).

- ريبو، بول Ribaut, P.:

(فرنسى، حقوق، 1908/1909).

- ريتشارد Ritchard:

(إنجليزى- طب- رئيس مدرسة الطب- 1919/1924).

- ريتشى Ritchi:

(فرنسى- حقوق-؟).

- ريدل Ridle:

(إنجليزى- حقوق- 1929/1932).

- ريمنت، بيرسي تشارلز .Riment, Ch:

(إنجليزي- طب- 1927/1930).

- ساندويث Sandwith:

(إنجليزي- طب- 1891/1903).

- ستيفاني Stephqni:

(فرنسي- حقوق- 1925/؟).

- سميث، إليوت .Smith, E:

(إنجليزي- طب- 1926/1929).

- سكيف .Scaife C.H.O:

(إنجليزي- آداب- 1930/1933).

- سميرك Smerk:

(إنجليزي- طب- 1935/1936).

- سوزييه Sousier:

(فرنسي- حقوق- 1906/؟).

- سولون Solon:

(فرنسي- آداب- 1932/؟).

- سيسون، شارل .Sisson C:

(إنجليزى- آداب- 1909).

- شاخته، جوزيف .Schachte, J:

(نمساوى- آداب- 1932/1935).

- شاده، أ. .Schaade, A:

(نمساوى- آداب- 1932/1935).

- شفيتز، هرمان .Schiveitz, H:

(سويسرى- هندسة- 1925/1955).

- شميت Schmidt:

(إنجليزى- طب- 1929/1941).

- شوبردج Schobridge:

(إنجليزى- طب- 1925/1928).

- شونبرج، ألكسندر .Schonberg, A:

(ألمانى- علوم- 1937/1938).

- شيبرد Shippeard:

(إنجليزى- 1937/1938).

- شيرون، لوسيان .Chiron, L:

(فرنسي- حقوق- بعد 1910).

- فاوست Faust:

(إنجليزي- طب- 1929).

- فرهيدن Ferheaden:

(إنجليزي- آداب- 1937/1938).

- فريزر Frizer:

(إنجليزي- حقوق- 1925).

- فوازان. Voisin:

(فرنسي- آداب- 1937/1938).

- فورنس Furness:

(إنجليزي- آداب- 1937/1938).

- فولتز، إم، آر. .Volz, M.R:

(ألماني- آداب- 1931).

- فيانييه، جورج .Fianien, G:

(فرنسي- آداب- 1911).

- فيت، جاستون .Wiet, G:

(فرنسي- آداب- 1911/ 1912).

- فيدال Vidal:

(فرنسي- حقوق- 1868/1891).

- فيدين Fiddine:

(إنجليزي- آداب- 1937/1938).

- فيرجيه Verger:

(فرنسي- آداب- 1932/1938).

- فيشر، هوجو .Fischer, H:

(ألماني- آداب- 1929/1933).

- فيشر، سكوت .Ficher, S:

(إنجليزي- طب- 1929/ 1941).

- فيكنتيف، فلاديمير .Vikentiev, V:

(روسي- آداب- 1932/ 1960).

- فيل Weil:

(فرنسي- آداب- 1937/1938)

- كابى، جاستون .Cappi, G:

(فرنسى- حقوق- ؟).

- كابوفيللا، ج. .Capovilla, G:

(فرنسى- آداب- 1932/؟).

- كاريه، جون مارى .Carré, J.M:

(فرنسى- آداب- 1929/ 1932).

- كازانوفا، بول .Casanova, P:

(فرنسى- آداب- 1932/؟).

- كراوس، بول .Kraus, P:

(نمساوى- آداب- 1915/؟).

- كراوفورد Crowford:

(إنجليزى- آداب- 1937/1938).

- كراير Cryer:

(فرنسى- آداب- 1932/؟).

- كرزويل، أ.ك. .Creswell, A.C:

(إنجليزى- آداب- 1931/ 1939).

- كليمان، لويس .Clément, L:

(فرنسي- آداب- 1912/ 1925).

- كورنر Coerner:

(إنجليزي- آداب- 1937/1938).

- كورنيان Creginen:

(فرنسي- حقوق- بعد 1908؟).

- كوفرور، أدولفين .Coufroeu, A:

(فرنسية- آداب- 1909/ 1912).

- كونيتز، شارل .Kuentz, Ch:

(فرنسي- آداب- بعد 1919).

- كُوهْنِل Kuhnel:

(سويدى- علوم- 1937).

- كيتنج Kieting:

(إنجليزى- طب- رئيس مدرسة الطب- 1989/ 1918).

- لاكو، بيير .Lacau, P:

(فرنسي- آداب- 1932/ 1935).

- لام، كارل يوجان .Lamm, C.J:

(إنجليزى- آداب- 1932/؟).

- لالاند Lalande:

(إنجليزى- آداب- 1937/1952).

- لامبير Lanbert:

(فرنسى- حقوق- عميد الكلية- 22/10 إلى 1907/9/25).

- لوران، هنرى .Laurent, H:

(فرنسى- آداب- 1029/؟).

- لوس، آرتز .Loss, A:

(إنجليزى- طب- 1929/1940).

- لومونييه .Lemmonier, P:

(فرنسى- آداب- 1910/؟).

- ليبال Libal:

(فرنسى- حقوق- ؟).

- ليتمان، إينو Luttman, Ino:

(ألمانى- آداب- 1910/؟).

- مادن Madden:

(إنجليزى- طب- 1928/1891، وأول عميد للكلية 1926/1928).

- مارتان، جرمان .Martin, G:

(فرنسى- آداب- 1911/1910).

- مارو، هنرى إيرينيه .Marrot, H. I:

(فرنسى- آداب- 1940/1937).

- مازو، ليون .Mazo, L:

(فرنسى- حقوق-؟).

- مازول Mazol:

(فرنسى- آداب- 1938/1937).

- مايرهوف، ماكس .Meyerhof, M:

(ألمانى- طب- 1929/ 1932).

- ملتون Melton:

(إنجليزى- طب- 1928/ 1929).

- ملفيل Melville:

(إنجليزى- حقوق-؟).

- مللر Miller:

(إنجليزي- آداب- 1908/ 1909).

- موجريدج، مالكولم .Mogridge, M:

(إنجليزي- آداب- 1938/1937).

- موسكيلي، ميشيل .Moskly, M:

(فرنسي- حقوق-؟).

- مونبران Momprain:

(فرنسي- حقوق- 1907/؟).

- ميشو Michou:

(فرنسي- حقوق- 1930/1928).

- ميريل Meriel:

(فرنسي- آداب- 1930/؟).

- ميلوني، جيراردو .Meloni, G:

(إيطالي- آداب- 1912/1910).

- ناللينو، كارلو ألفونسو .Nallino, C. A:

(إيطالي- آداب- 1912/1909، 1932/1927).

- نولان Nolan:

(إنجليزي- طب- 1903/1891).

- نيف Nief:

(فرنسي- علوم- 1932/1929).

- نيوبري، برسي .Newberry, P:

(إنجليزي- آداب- 1932/1929).

- هاردي Hardy:

(إنجليزي- طب- ؟).

- هارفيه Harvey:

(فرنسي- آداب- 1933/1932).

- هارولد Harold:

(إنجليزي- علوم- 1932/1929).

- هانسن Hansen:

(إنجليزي- 1938/1937).

- هن، هنري .Heine, H:

(فرنسي- آداب- 1927/1925).

- هندل Hindle:

(إنجليزى- طب- 1924/؟).

- هنرى Henry:

(إنجليزى- طب- 1929/1932).

- هوجارت Hocart:

(إنجليزى- آداب- 1932/1934).

- هوجيوم، إيفان Huguam. E.:

(سويدى- علوم- عميد الكلية 1925/1927).

- هوشيليه، جورج Hochelet, G.:

(فرنسى- آداب- 1929/؟).

- هولاند Holland:

(فرنسى- آداب- 1932/؟).

- هيل Hill:

(فرنسى- حقوق- ناظر المدرسة 1907/1912).

- هينكوت Hincot:

(إنجليزى- طب- 1928/؟).

- وادل Waddel:

(إنجليزى- آداب- 1937/1938).

- والتر، ل. Walter, L.:

(إنجليزى- آداب- 1937/1938).

- وايتهد، ج. هـ. Whitehead, J.H.:

(إنجليزى- آداب- 1937/1938).

- ولسون Wilson:

(إنجليزى- طب- 1891/1903).

- وليام William:

(إنجليزى- آداب- 1937/1938).

- يونكر، هرمان Junker, H.:

(نمساوى- آداب- 1931/1939).

- يولوس Uloss:

(سويدى- علوم- 1926/1936).

المُلْحَق رقم (2)

صور الأَسَاتِذَة الأَجَانِب فِى الجَامِعَة المِصْرِيَّة

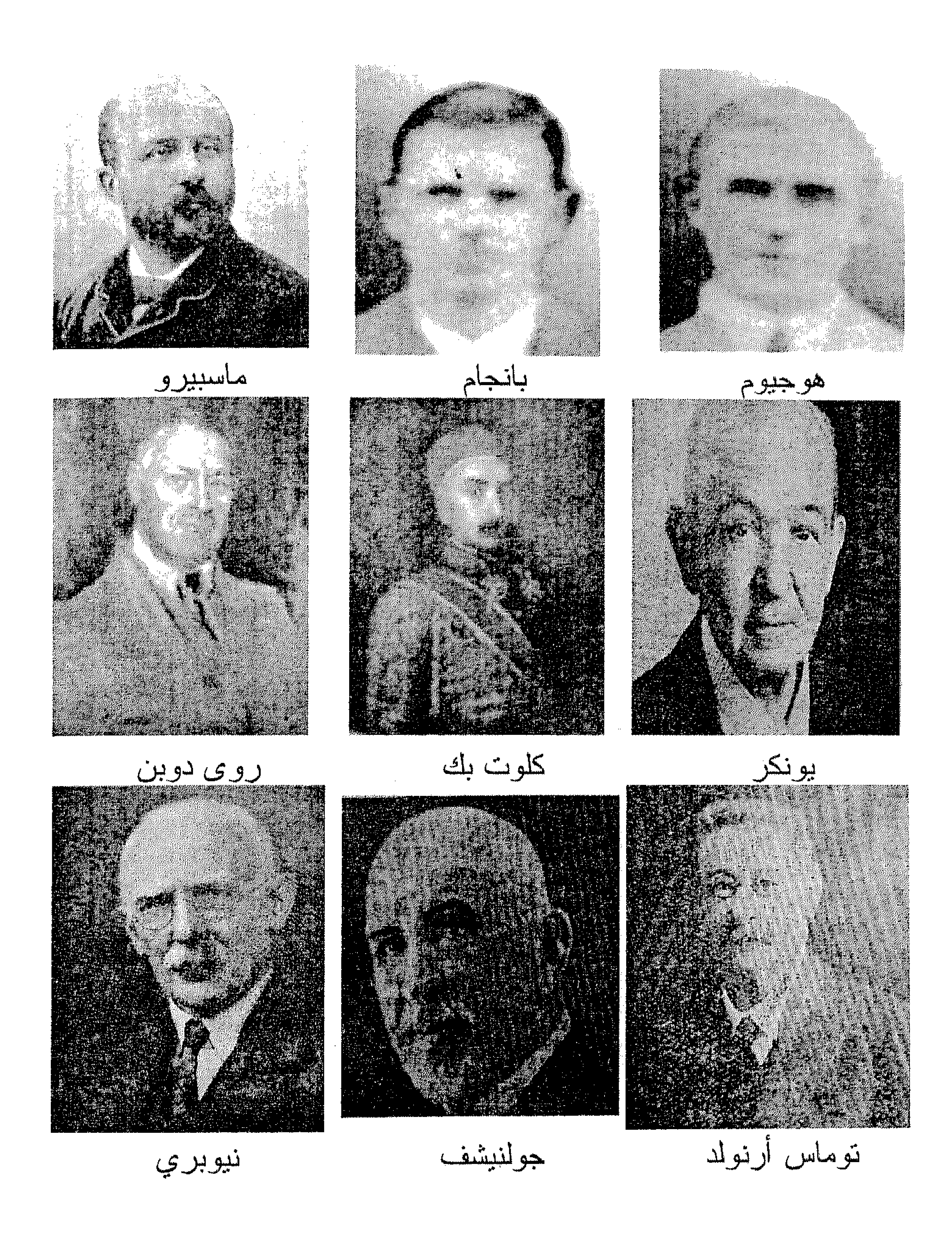
أتوجه بالشكر إلى الأستاذة الدكتورة لوربنتلانشي مديرة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية
على ما أمدَّتنى به من صور نادرة لأساتذة فرنسيين



فيدال — إيموس — ديجى

جوستاف ميشو — شارل أندريا — هيل

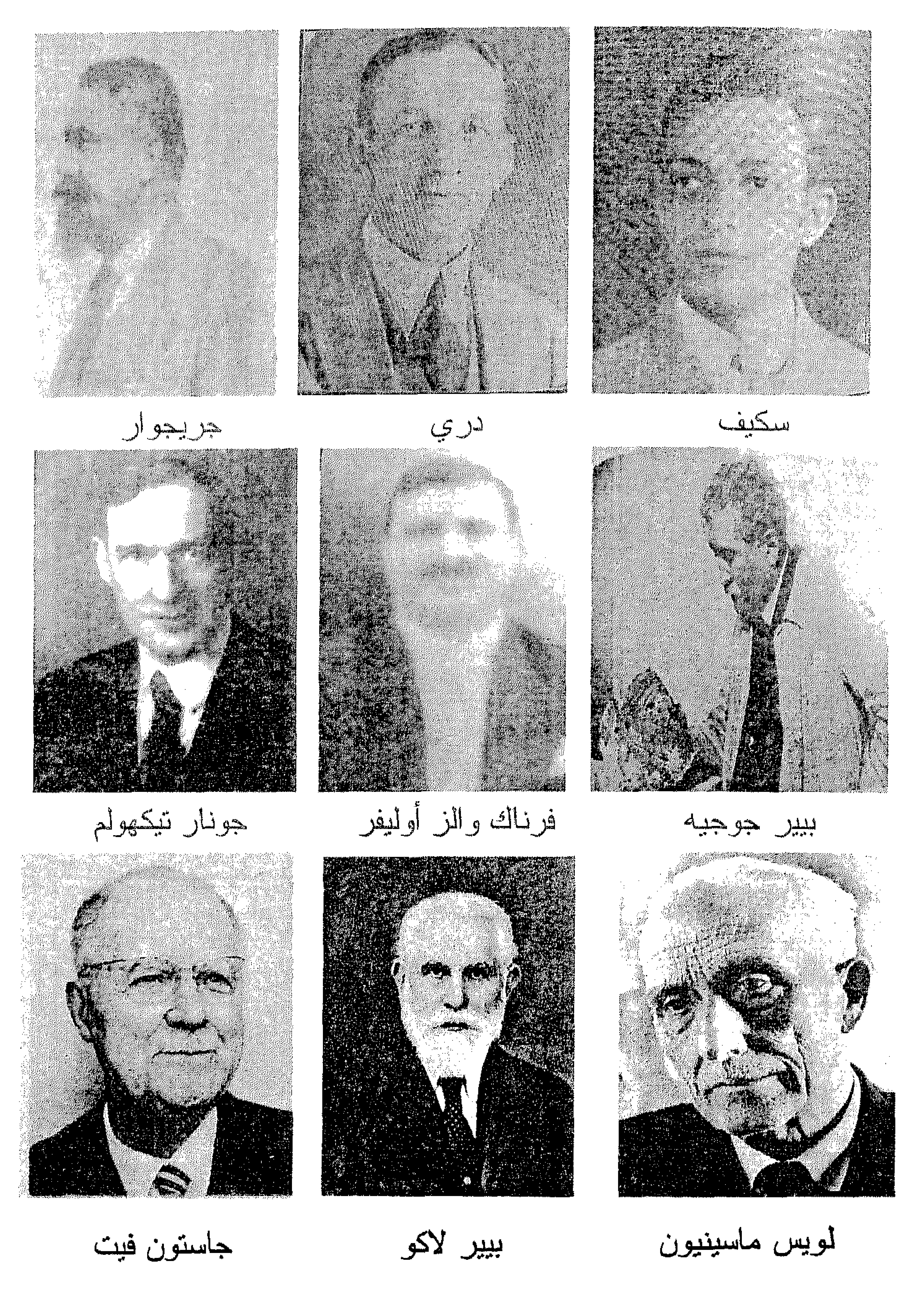
كيتينج — كريزويل — والتون



هوجيوم — بانجام — ماسبيرو

يونكر — كلوت بك — روى دوبن

توماس أرنولد — جولنيشف — نيوبري



سكيف — دري — جريجوار

ببير جوجيه — فرناك والز أوليفر — جونار تيكهولم

لويس ماسينيون — ببير لاكو — جاستون فيت



شارل كوينتز

مادن

نااللينو

إنياتسيو جويدي

ألبرت بوفيليه

شارل سيسون

تستو

أدولفين كوفرور

المُلْحَق رقم (3)

صور ووثائق متنوعة

UNA PIASTRA TARIFFA IL NUMERO

L'IMPARZIALE

Giornale Politico Finanziario Quotidiano

Emilio Aras

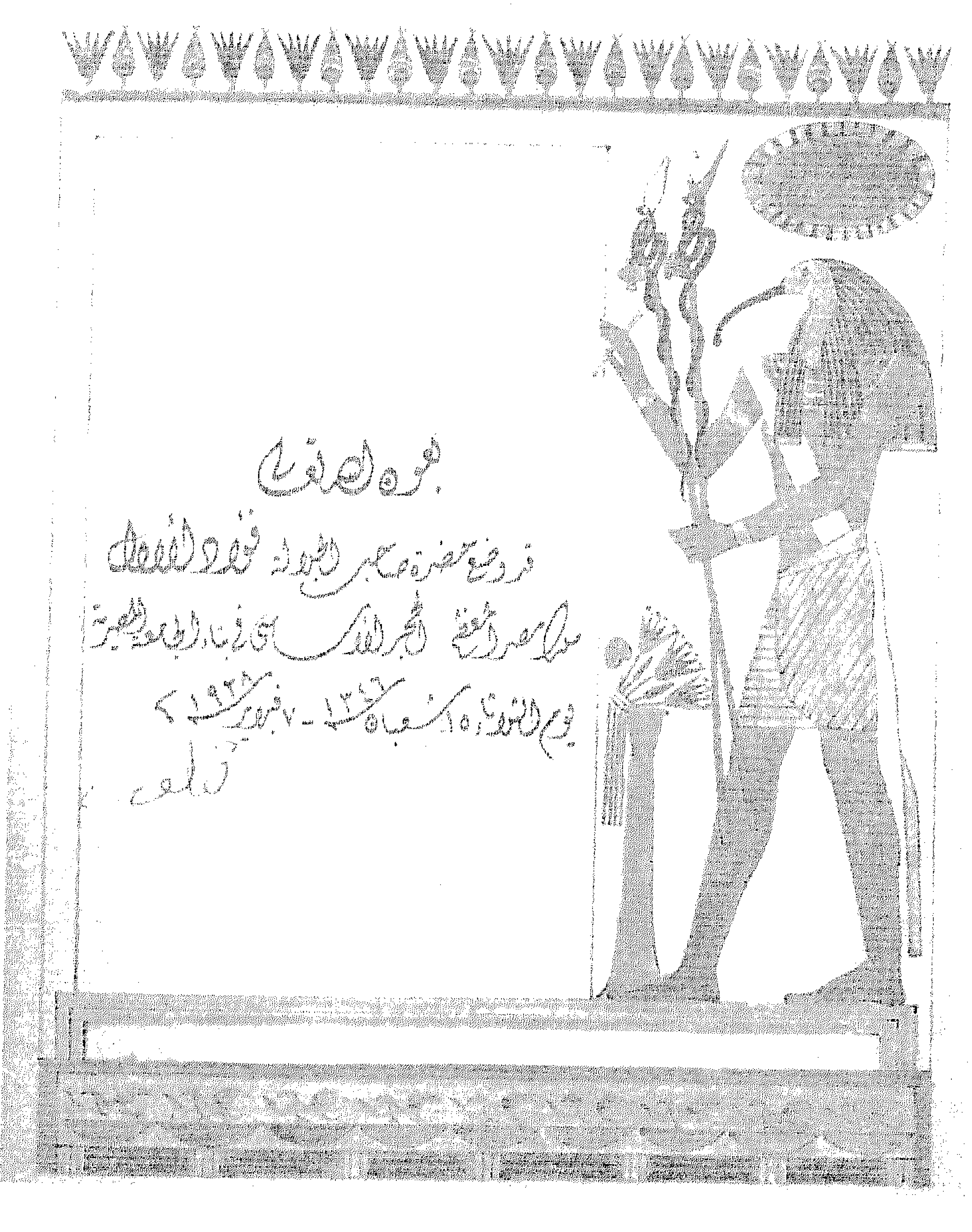
L'inaugurazione della Università egiziana

I discorsi

Discorso del principe Ahmed Fuad pascià Presidente del Consiglio dell'Università.

Monsignore!

الإعلان عن افتتاح الجامعة المصرية فى الجرائد الإيطالية



الصفحة الأولى من كتاب وضع حجر الأساس فى بناء الجامعة المصرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والصلاة والسلام على نبيه العربي الذي جاء بالحكمة وفصل الخطاب

أما بعد فإن في هذا اليوم المبارك يوم الاثنين الثالث من جمادى الأولى سنة اثنتين
وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية (الموافق اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة
أربع عشرة وتسعمائة وألف ميلادية) سيكون إن شاء الله [illegible] تاريخ النهضة الفكرية
[illegible] في ربوع مصر وبين أهاليها

فقد تفضل صاحب الأريكة الخديوية عزيز مصر الأكرم سمو مولانا الخديو المعظم
الحاج عباس حلمي الثاني محيي العلوم والآداب العربية فقصد بذاته الشريفة الحفلة التي
[illegible] الكريمة الدرة العصماء صاحبة الأيادي البيضاء فاطمة الزهراء
لوضع الحجر الأساسي لبناء الجامعة المصرية في البقعة المباركة التي وهبتها من أراضيها الكائنة
في بولاق الدكرور من أراضي القاهرة

[illegible] الشعب [illegible] نجاح وفلاح لا سيما وأن [illegible] العالي
[illegible] ووضع بيده الكريمة الحجر الأول من بناء هذا المعهد الذي سيقوم على أساس متين ليكون
[illegible] العلم والعرفان [illegible] الفضل والكمال وذلك في [illegible]
[illegible] الأعظم والخليفة الأكبر أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان
ابن السلطان السلطان محمد رشاد الخامس أدام الله شوكته [illegible]
[illegible]
[illegible] محمد علي [illegible]
[illegible]

صورة الوثيقة التاريخية بمناسبة وضع أساس الجامعة المصرية ببولاق سنة 1914

من الخطابات الخصوصية التي أرسلها المرحوم

مصطفى كامل باشا

في حياته إلى مدام جوليت آدم

الطبعة الأولى

سنة ١٩٠٩ ميلادية

رسائل مصطفى كامل إلَى جوليت آدام

Lettres Égyptiennes

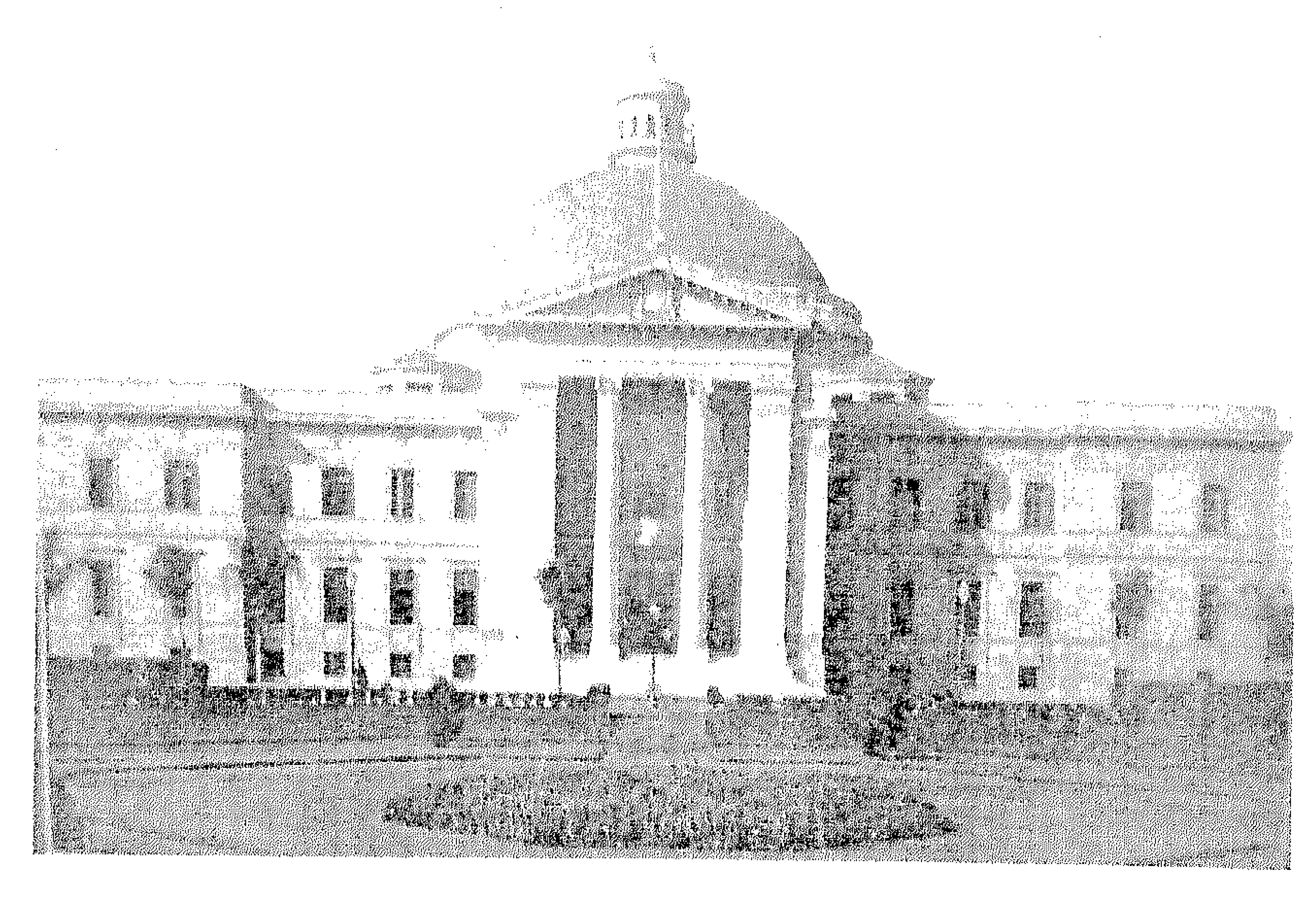
Françaises

A Mme JULIETTE ADAM

رسائل مصطفى كامل إِلَى جوليت آدم



الأمير أحمد فؤاد مؤسس الجامعة المصرية



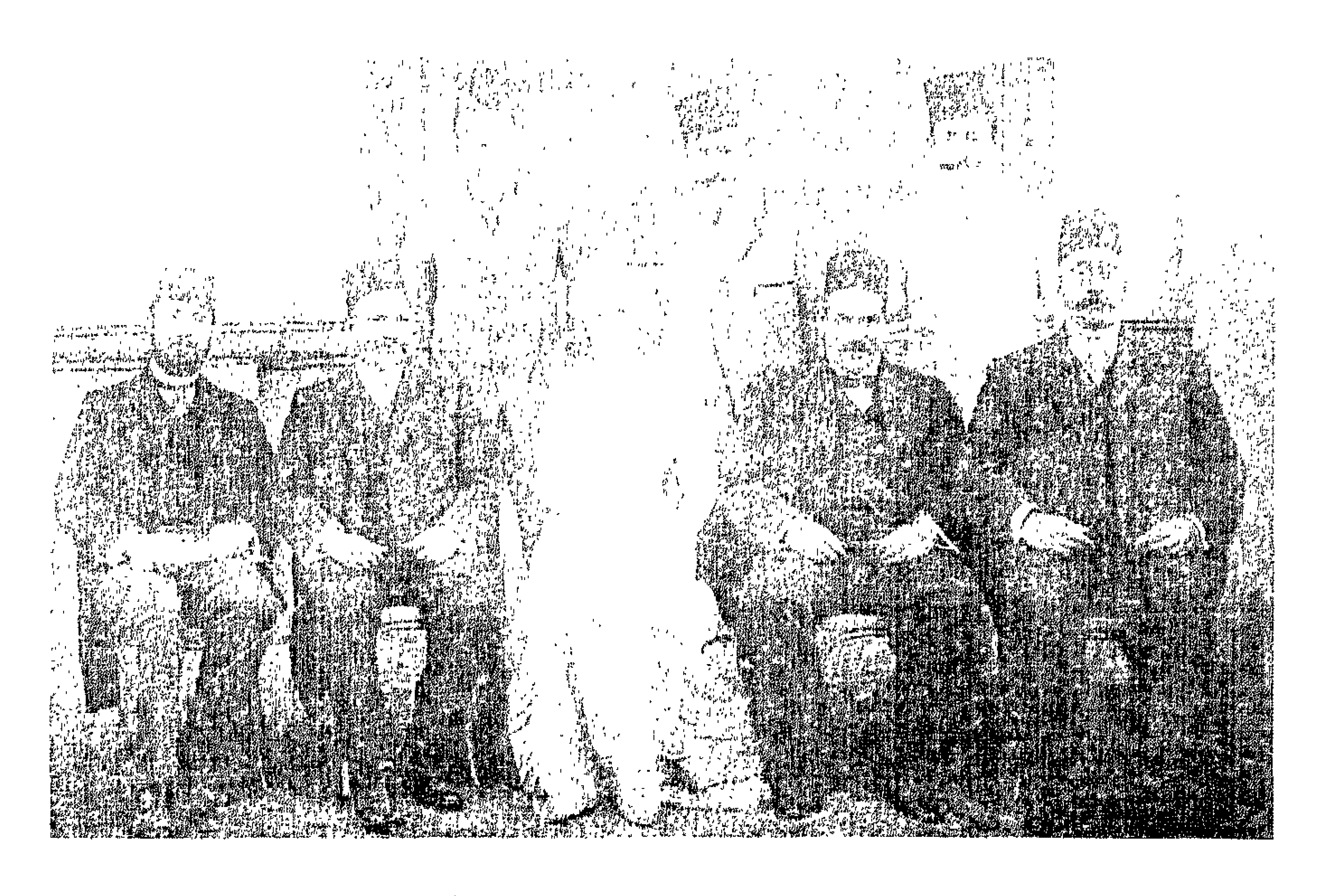
الجامعة المصرية سنة 1925



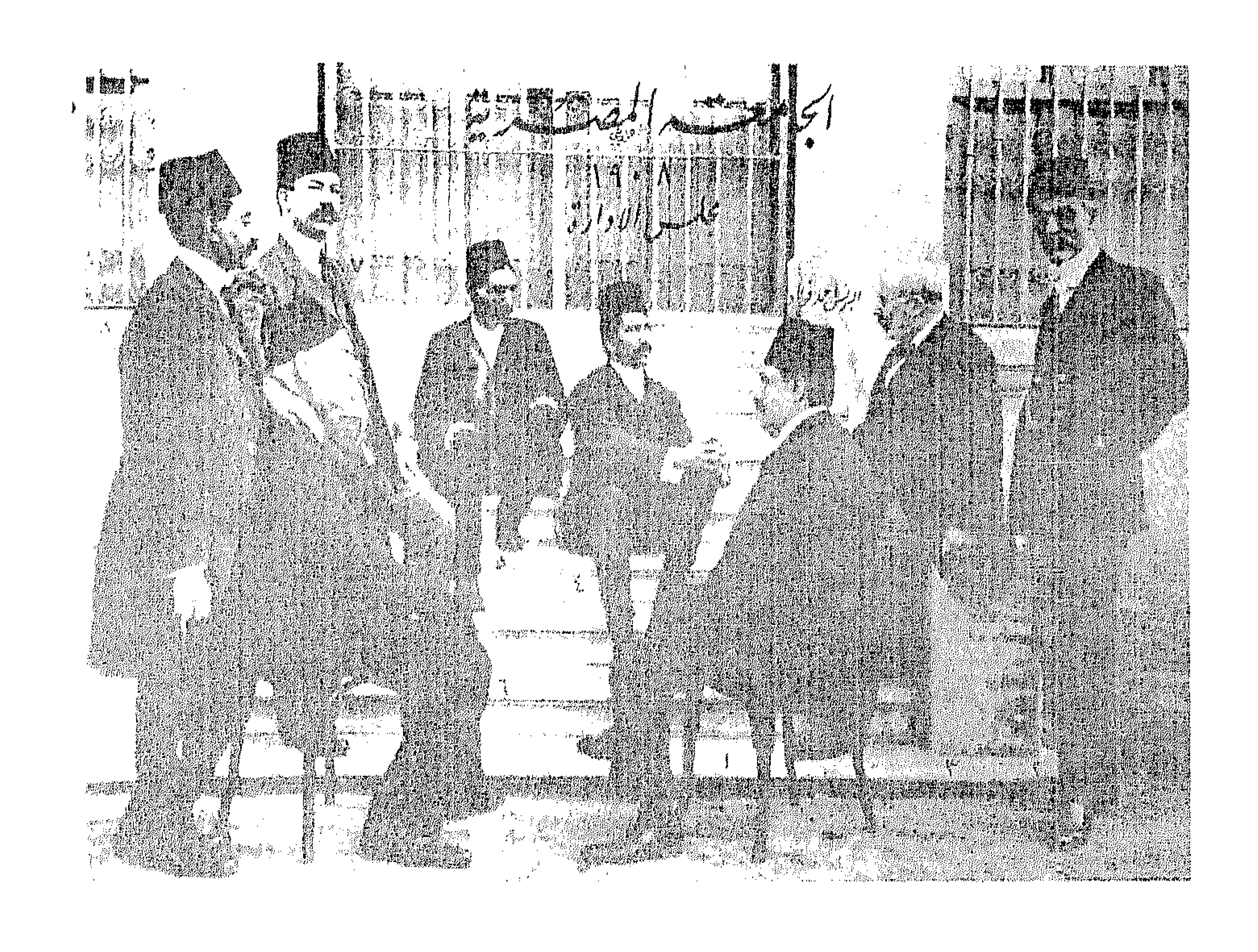
بوابة الجامعة المصرية



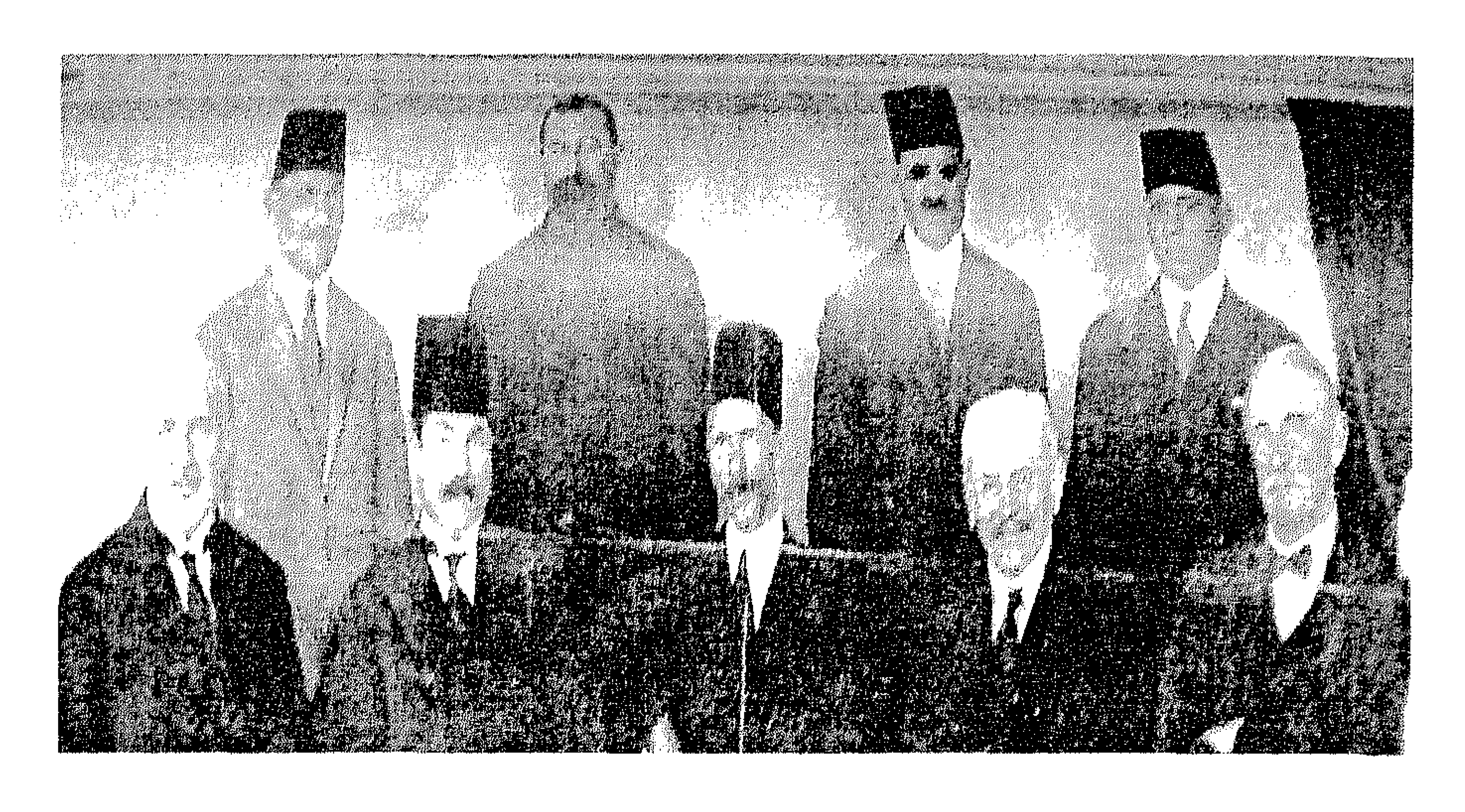
الأميرة فاطمة



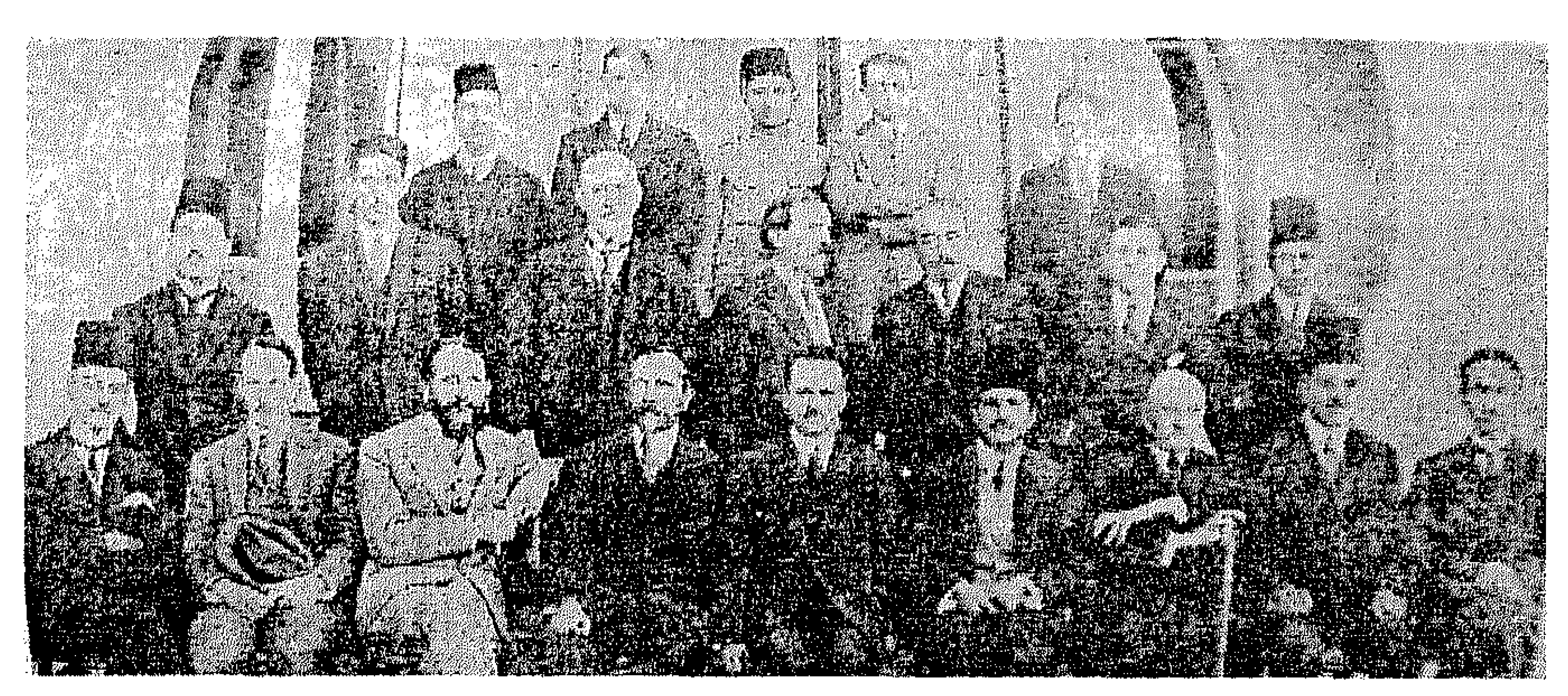
الآنسة أدولفين كوفرور بين أعضاء هيئة التَّدْرِيس، ونرى بينهم ألبرت بوفيليه وشارل سيسون وقوفًا، وكارلو ألفونسو نالليلنو أقصى اليسار جالسًا



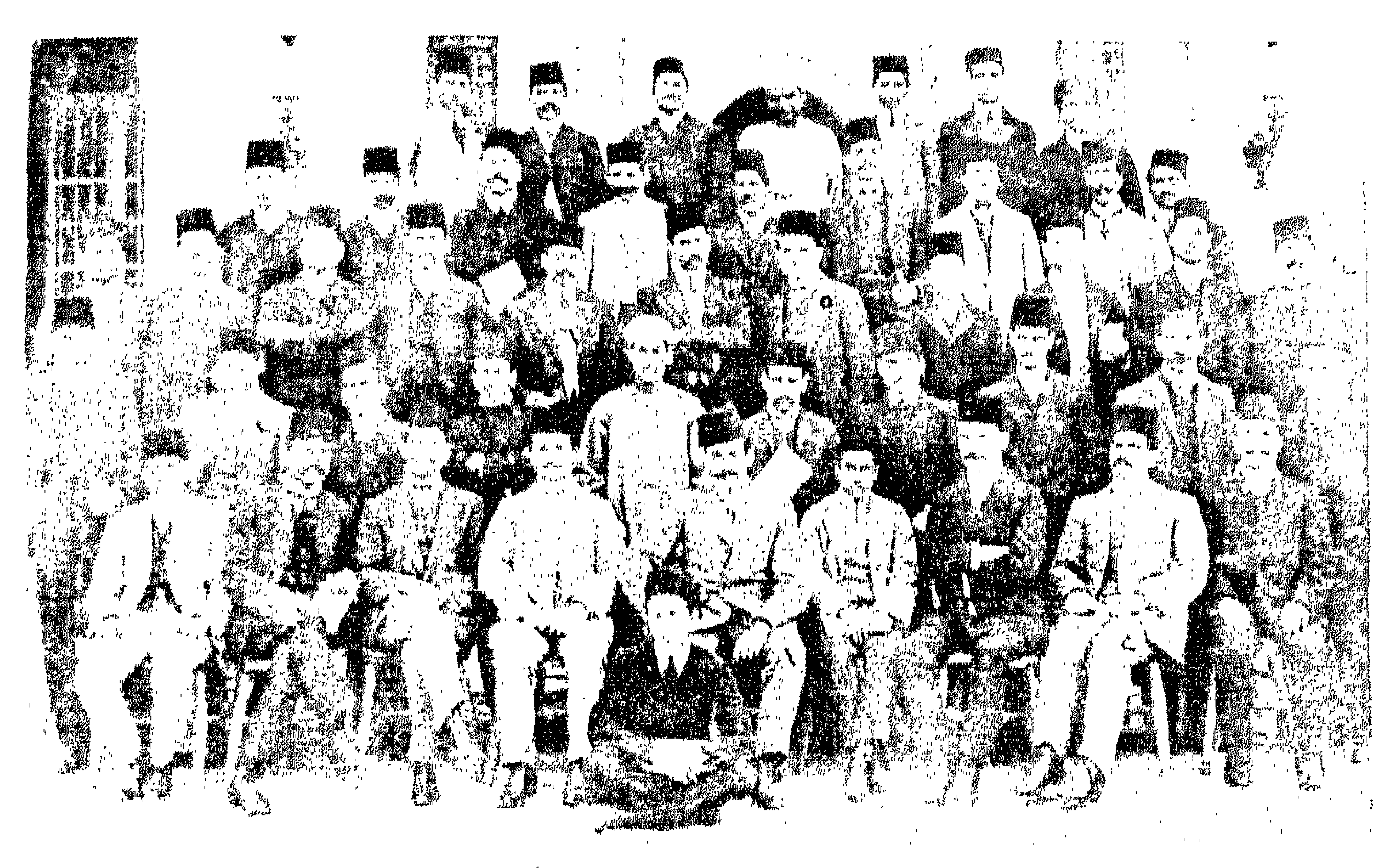
الأمير أحمد فؤاد يرأس أول مجلس للجامعة المصرية



صورة لأساتذة الجامعة المصرية يتوسطهم لطفى السيد، والجالسون من أقصى اليمين بريس وايت ولويس كليمان، وأقصى اليسار جولنيشف، والثالث من اليمين واقفًا الأب بول جيرارد



أساتذة كلية الآداب: شارل كوينتس وهنرى لوران وهنرى جريجوار وإيميل بريهيه وجورج بوستلييه وبول جراندور جالسين. ووالنموه وأوسكار جروجان وأندريه ليبرتون ونوتيه وكليرجيه ودوب واقفين.



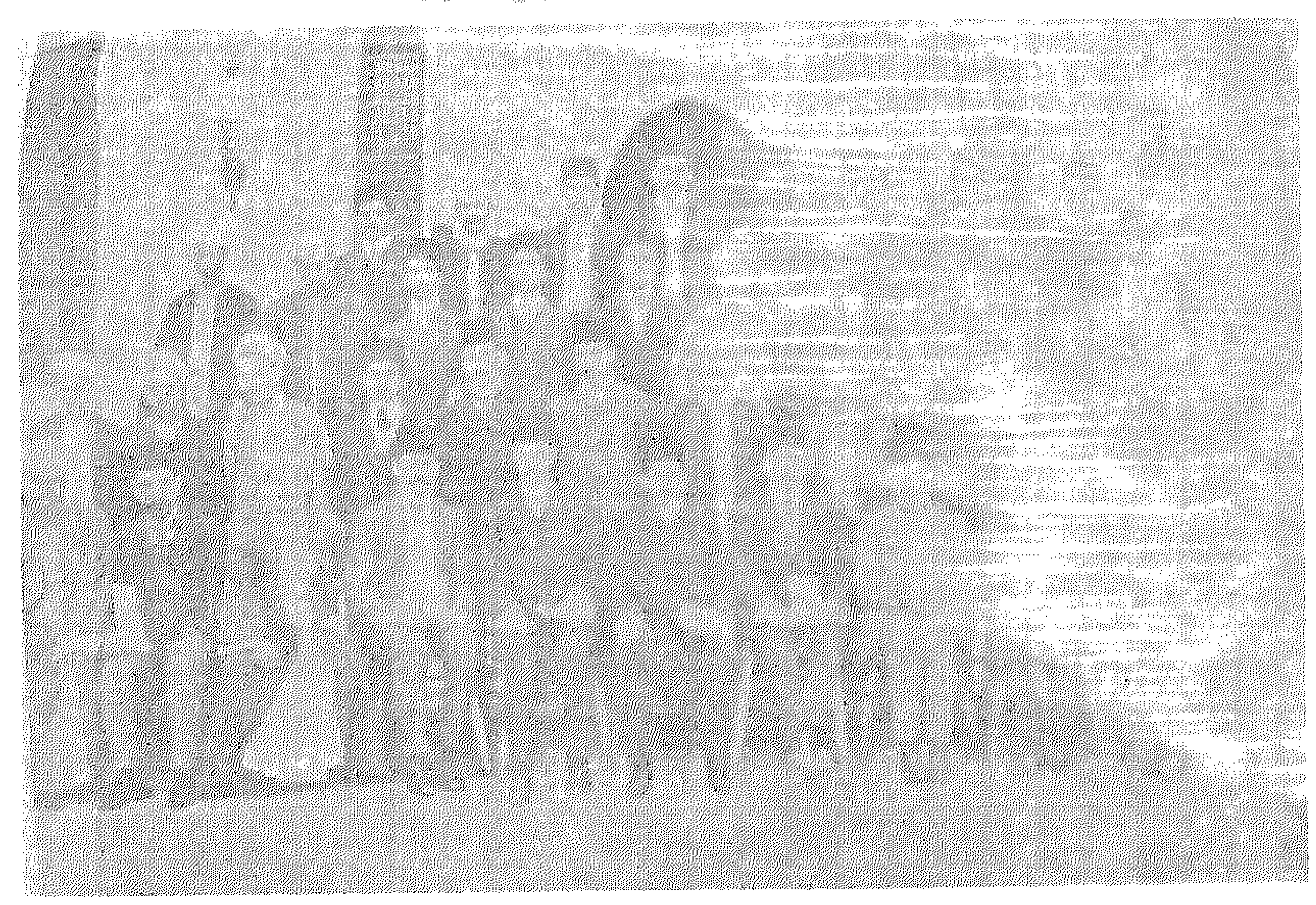
طلبة قسم اللغة الفرنسية يتوسطهم المسيو ألبرت بوفيليه سنة 1909



الأستاذة أدولفين كوفرور تتوسط أعضاء هيئة التدريس المصريين والأجانب



أولى بعثات الجامعة المصرية إلى أوروبا سنة 1908



طلبة قسم الآثار بالجامعة المصرية يتوسطهم أحمد كمال

Université Égyptienne

Section Féminine
année 1913-1914

Études de Psychologie et de morale féminines

Prof. Mlle Couvreur agrégée des lettres, professeur au Lycée Racine à Paris

I La sensibilité et les sentiments naturels des femmes (sentiments [illegible] sentiments [illegible] sentiments s'adressant à des objets plus généraux [illegible] l'humanité, la vérité, la science, la beauté)

II La vie intellectuelle chez les femmes ([illegible] intellectuelle, mémoire, imagination [illegible] femmes pour les sciences [illegible])

III Les femmes et la vie d'action ([illegible] des femmes, l'activité féminine)

IV Morale féminine et devoirs [illegible] ([illegible] famille, la patrie, etc.)

V La femme dans ses rapports avec les arts et la poésie (aptitudes et goûts artistiques chez les femmes)

صفحة من أوراق الآنسة كوفرور

UNIVERSITE EGYPTIENNE

CONFERENCES AUX DAMES EGYPTIENNES

Plan général, avec possibilité de modifications

Année scolaire 1909 — 1910

I — LA FEMME DANS L'ANTIQUITE — (Egypte [illegible] Rome) — Environ 10 conférences pour montrer: [illegible]; quelques types de femmes dans les poèmes [illegible] et les tragiques grecs, par exemple; les femmes [illegible] et à Sparte ; le costume ; — la femme romaine; [illegible], le mariage; quelques personnages de femmes [illegible].

II — LA FEMME DEPUIS LE CHRISTIANISME JUSQU'AU XIX ème SIECLE — Environ 10 conférences [illegible]: les nouvelles idées occidentales sur la [illegible] à partir du Christianisme; le Moyen - Age et la [illegible]; la Renaissance; la vie des cours, le luxe, le [illegible], la vie intellectuelle. — Le XVII ème siècle français: [illegible], les salons, quelques personnages de femmes ; les [illegible] d'après le théâtre d'alors, les héroïnes de Corneille, [illegible], les femmes dans Molière. — Le XVIII ème siècle [illegible], le goût, le costume, l'ameublement; quelques [illegible] de femmes. — La Révolution : les nouvelles lois [illegible], sur l'héritage ; mœurs, costume à l'époque [illegible] et impériale, quelques personnages de [illegible] cette époque.

III — LA FEMME MODERNE DEPUIS LE XIX ème SIECLE. — Environ 20 conférences sur :

La femme dans la famille française au XIX ème siècle; les idées bourgeoises, et les idées d'émancipation; le Romantisme; la passion dans le roman et au théâtre; V. Hugo, George Sand.

La jeune fille au XIX ème et XX ème siècle, dans la famille, dans le monde. Le mariage, la femme mariée, la maîtresse de maison, la mère de famille, le rôle de la femme auprès de son mari et de ses enfants. La vie sociale. Les peintures de la vie française et des femmes dans le roman et le théâtre; caractère factice et exceptionnel (faux souvent) de ces représentations.

L'esprit féminin; les aptitudes féminines; les sentiments féminins.

La femme vue par les poètes : V. Hugo, Lamartine, Vigny.

Le travail féminin; les professions féminines; les ouvrières; les professions libérales, en particulier l'enseignement.

L'éducation et l'instruction des filles.

Les oeuvres féminines (charité, assistance de tous genres.)

Le féminisme.

Horaire

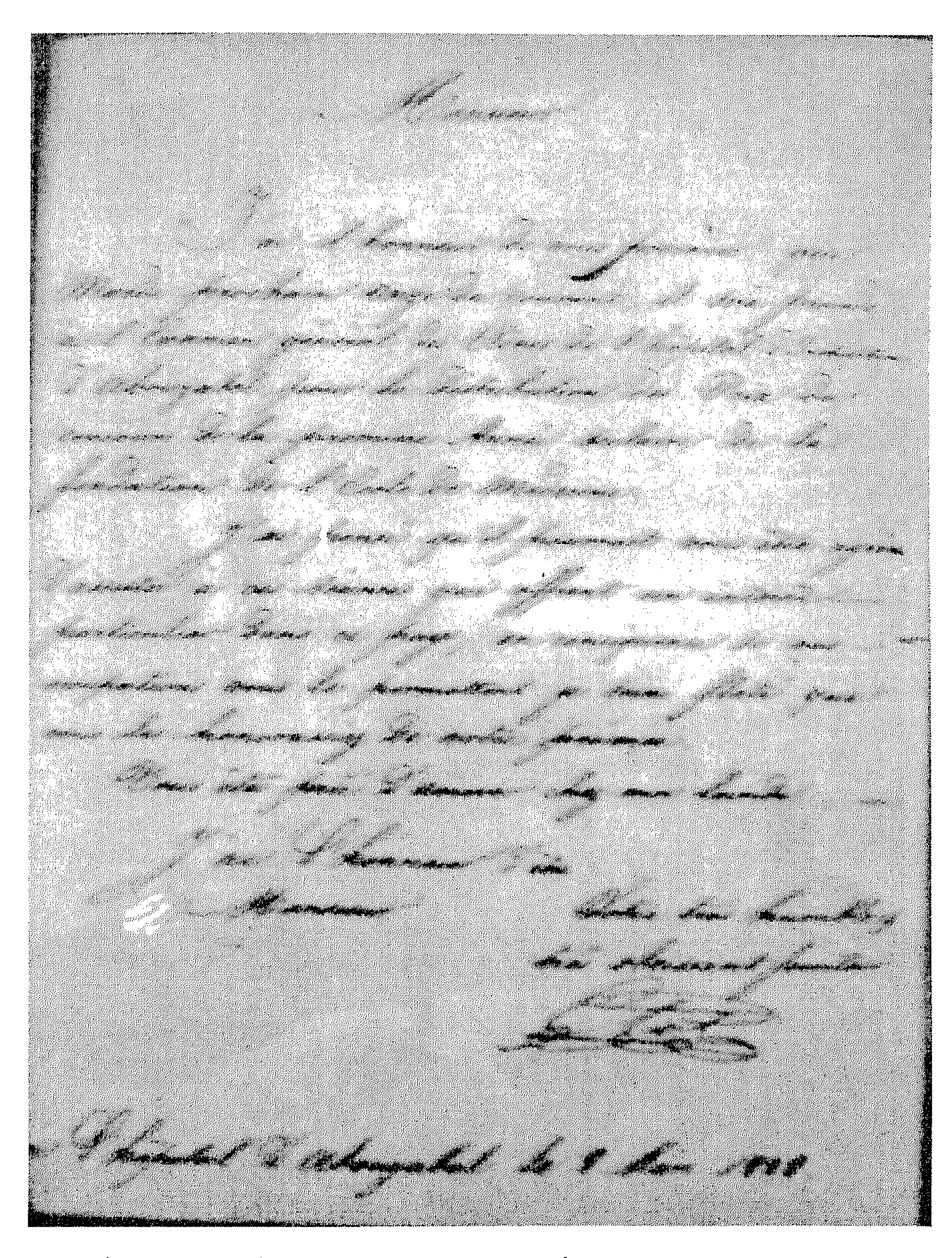
[illegible]

Droits universitaires

P. T. 10 pour la série des 10 conférences

P. T. [illegible] pour une seule conférence

جدول مواعيد محاضرات الجامعة المصرية فى العام المكتبى 1910/1909



مخطوط بخط يد كلوت بك لحضور أول احتفال بتوزيع الجوائز بمدرسة الدب بأبى زعبل

فى 11 مارس 1828

Mustapha bey, Emir hadj au Général en chef

Un certain Ismael Chenevani a été nommé dans la dernière sédition pour un des premiers auteurs des désordres et comme il sentait bien qu'il n'y aurait point de grâce pour lui, il s'est dérobé par la fuite au châtiment qu'il méritait.

Les troupes en allant dans sa maison pour le saisir, y ont trouvé des femmes qui sont à la forteresse. Cependant celle qui passe pour être la femme de Chenevani, avoir été répudiée depuis quelque temps et les autres femmes qui ont été arrêtées avec elle, sont des femmes étrangères à la maison et à la famille de Chenevani.

Mustapha bey supplie le général en chef de vouloir bien ordonner leur élargissement.

Au Caire le 10 brumaire, l'an 7.

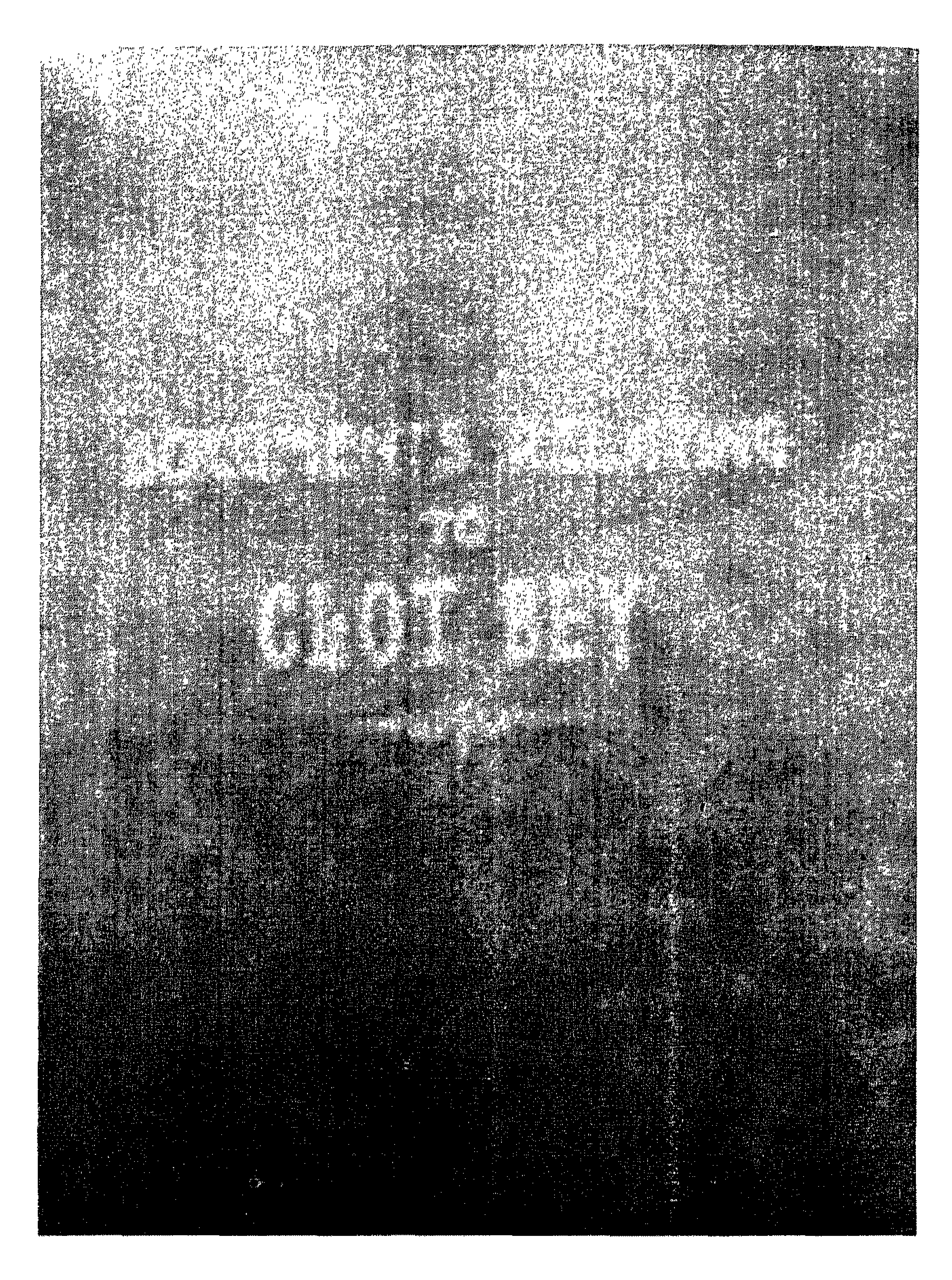
Accordé ainsi bien que la femme de Chenevani sera retournée chez lui

Bonaparte

إحدى وثائق الحملة الفرنسية على مصر، بتوقيع بونابرت



شارل كوينتز وطه حسين



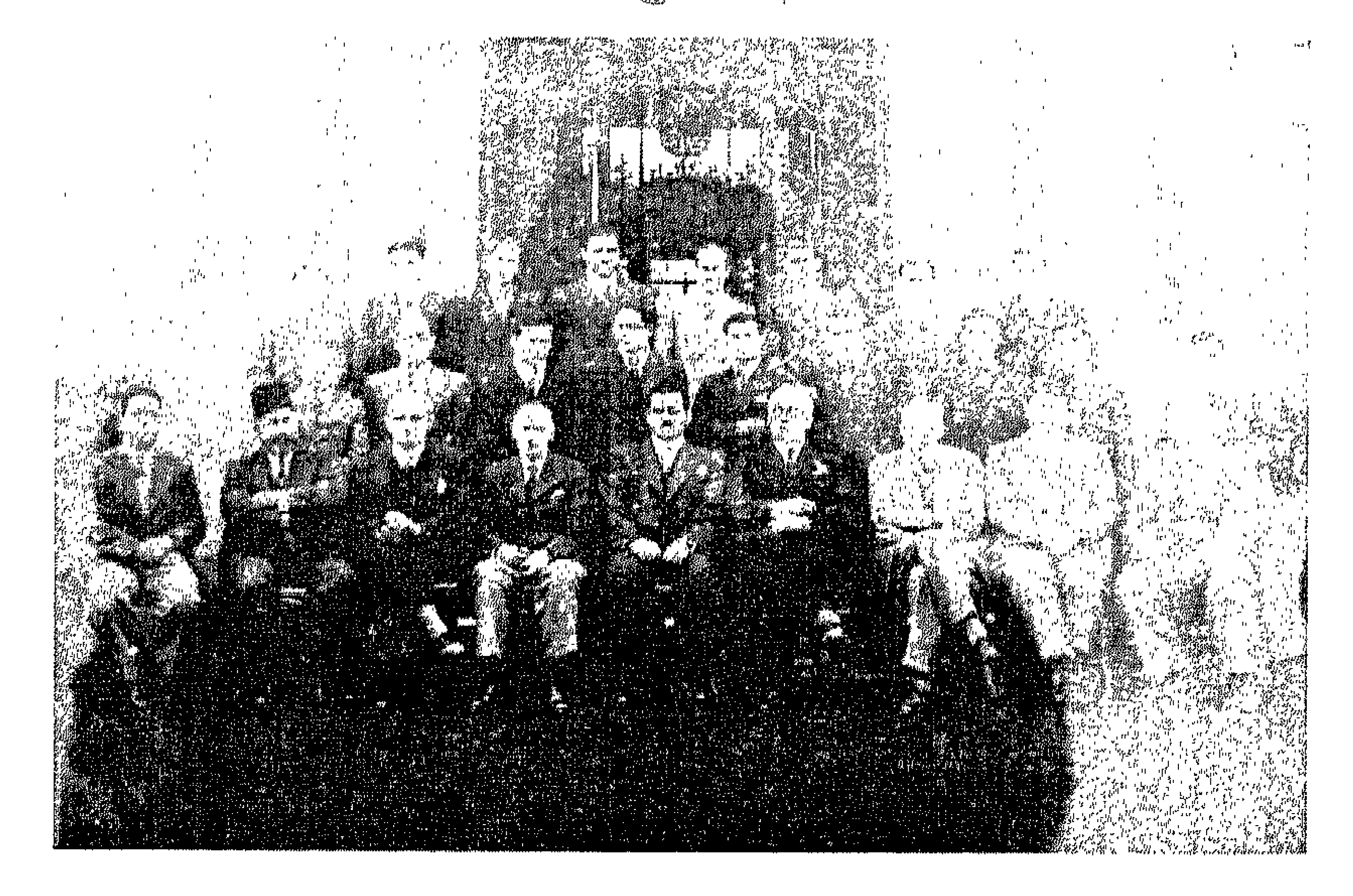
غلاف كتاب كلوت بك



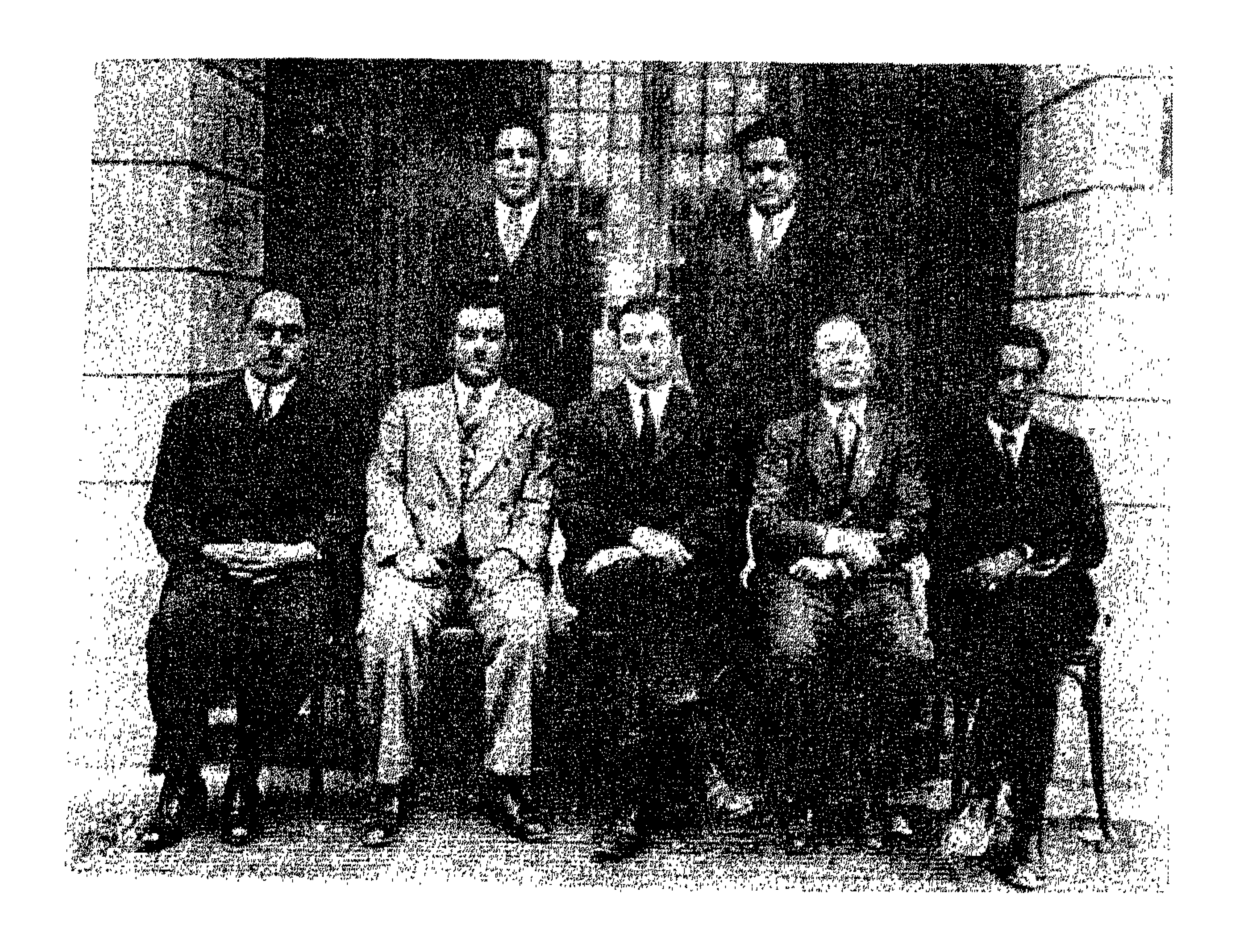
كلوت بك فى الزى العسكرى المصرى فى عهد محمد على



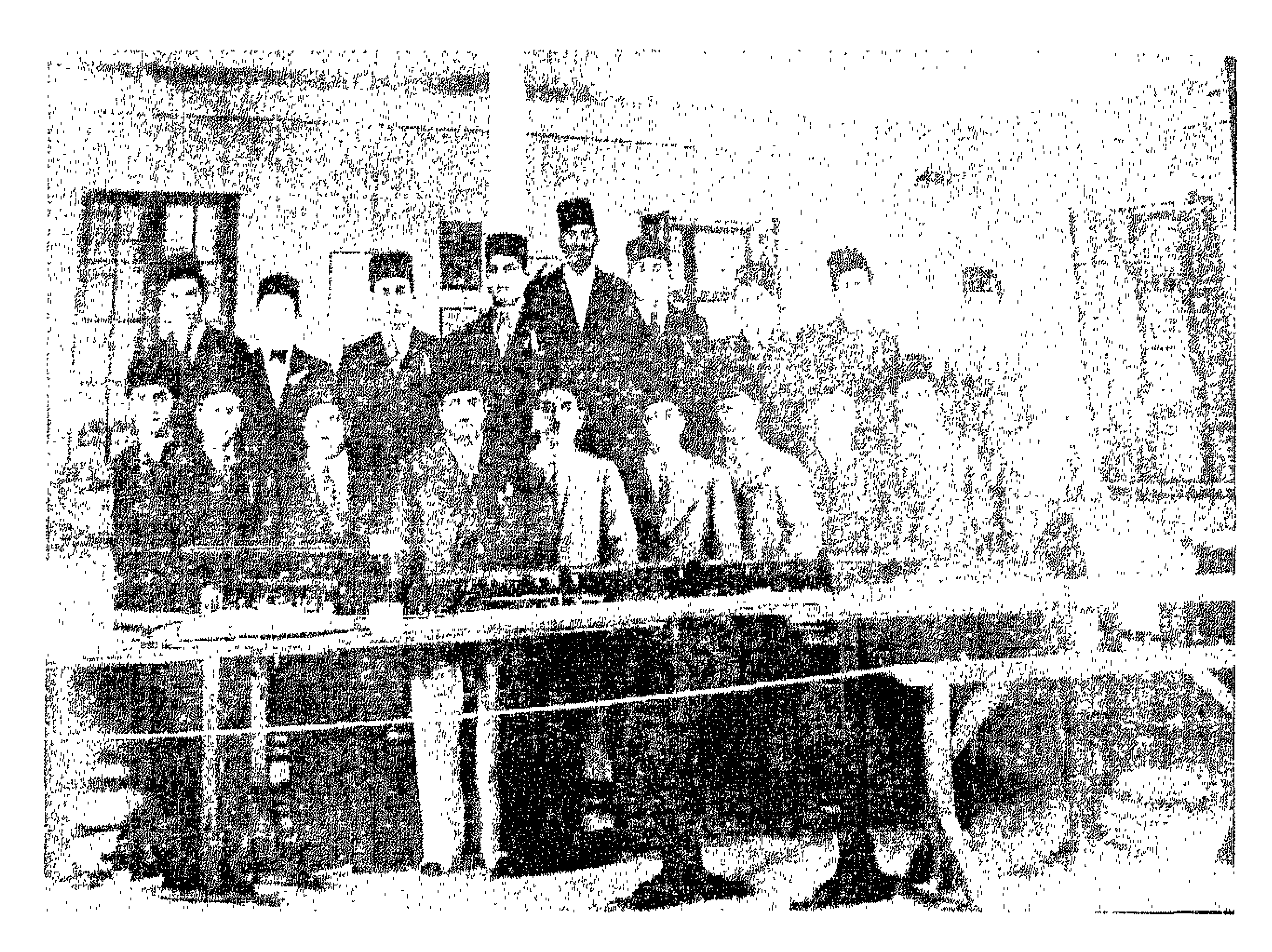
كلوت بك يقوم بشرح أحد دروسه العملية



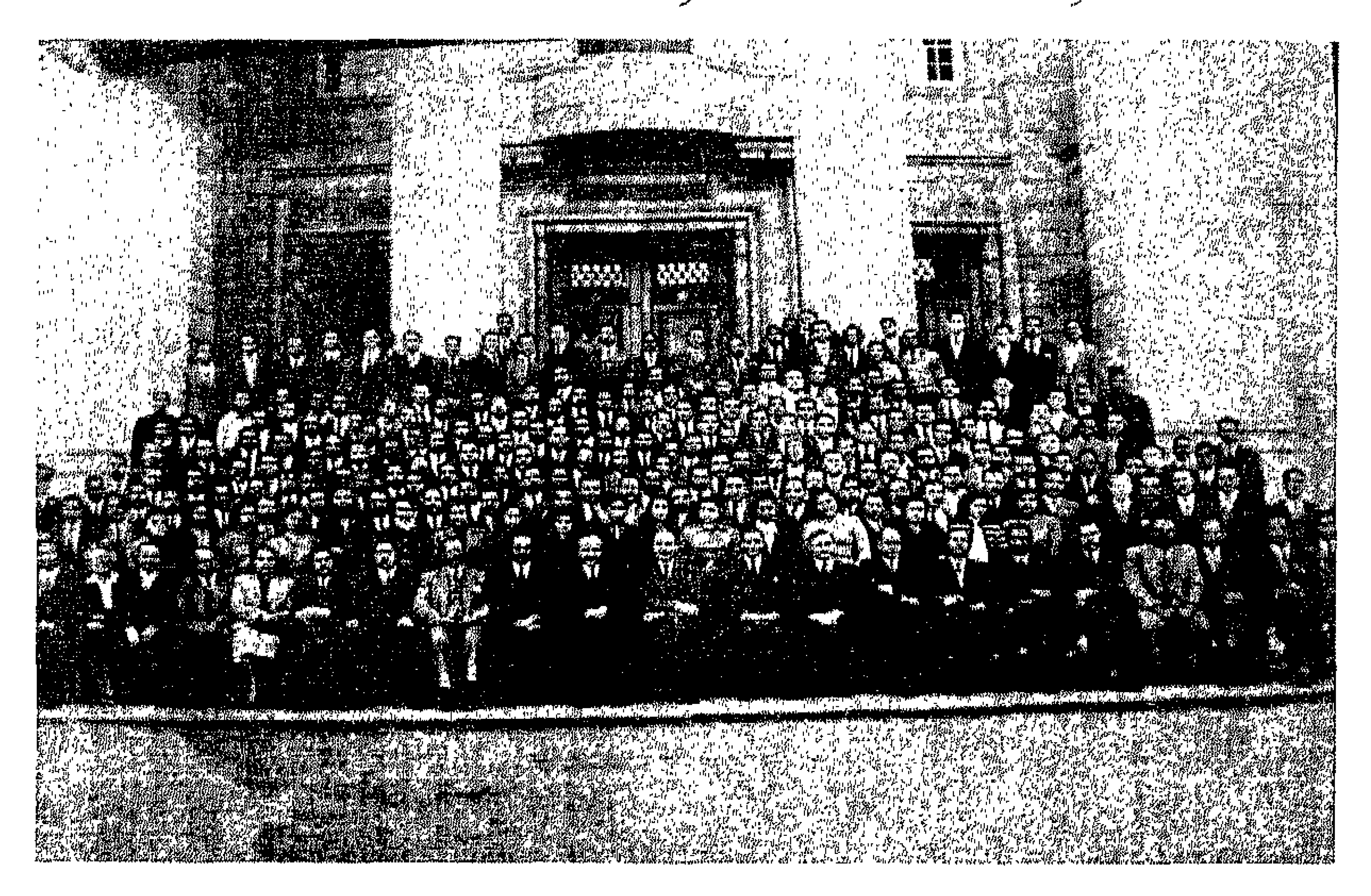
صورة لأساتذة كلية العلوم المصريين والأجانب يتوسطهم على مشرفة سنة 1922، وكان أستاذًا بالكلية، وعن يساره هوجيوم، ويُرَى فى الصورة بانجام، ومحمد ولىّ وتشابمان



على مصطفى مشرفة مع سيدفى تشابمان ومحمد مرسى أحمد
وكامل منصور فى قسم الرياضة بكلية العلوم



صورة لأَسَاتِذَة كلِّـــيَّة العُلُوم فِي أول معمل للفيزياء سنة 1929



صورة لدفعة كلية العلوم لسنة 1943

N° 87.

16

LIBERTÉ ÉGALITÉ

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au Quartier-général du Caire le [illegible] an 7.

BONAPARTE, Général en Chef,

[illegible]

إحدى وثائق الحملة الفَرَنسيَّة على مِصْر بتوقيع بونابرت

الاسم	الصفة
[illegible]	مدير المستخدمين بالمعارف
[illegible]	مدير حسابات المعارف
عبد الحميد [illegible]	مفتش بوزارة المعارف
ابراهيم [illegible]	وكيل وزارة الاشغال
عبد الخالق ثروت	رئيس مجلس الوزراء
[illegible]	[illegible]
[illegible]	رئيس [illegible]
[illegible]	Lecturer in Latin
علي مصطفى مشرفة	استاذ الرياضة التطبيقية بالجامعة
G. Michaud	Doyen de la Faculté des Lettres
الدكتور محمد صادق فهمي بك	استاذ القانون المدني بكلية الحقوق
[illegible]	[illegible]
[illegible]	وكيل كلية الحقوق
[illegible]	امين [illegible] الجامعة المصرية
عبد الحميد علي ابراهيم	بوزارة المعارف العمومية

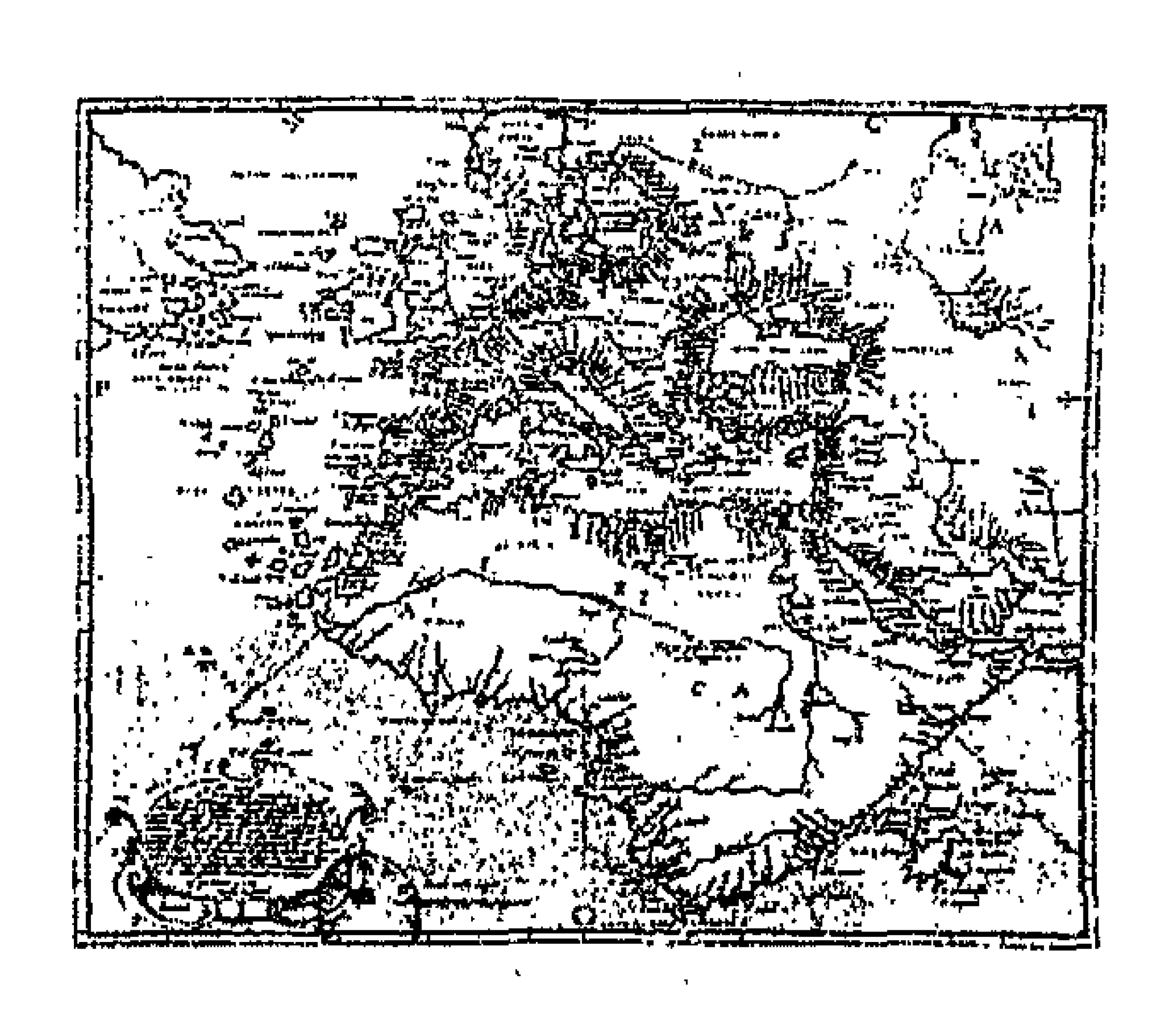
توقيعات الأساتذة والسفراء فى كتاب وضع حجر الأساس سنة 1928

MONUMENTA CARTOGRAPHICA

AFRICAE
ET
AEGYPTI

PAR

YOUSSOUF KAMAL



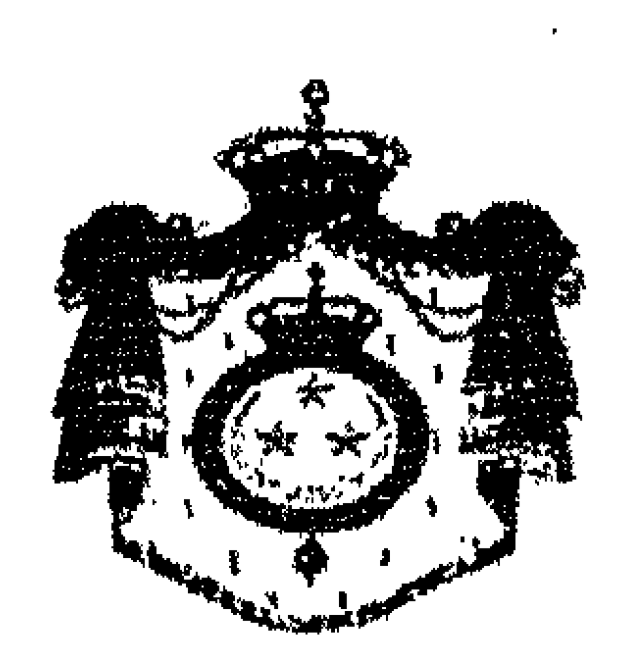
TOME PREMIER

(ÉPOQUE AVANT PTOLÉMÉE)

1926

غلاف الجزء الأول من جتاب الجغرافيا للأمير يوسف كمال

EGYPTIAN GOVERNMENT.



METEOROLOGICAL ATLAS OF EGYPT.

PREPARED BY THE
PHYSICAL DEPARTMENT,
MINISTRY OF PUBLIC WORKS.

PRESENTED TO THE INTERNATIONAL GEOGRAPHICAL CONGRESS AT PARIS 1931
BY COMMAND OF HIS MAJESTY KING FOUAD I.

SURVEY OF EGYPT,
GIZA,
MCMXXXI.

أطلس جغرافية مصر وحدودها عام 1931

EGYPTIAN UNIVERSITY LIBRARY

CATALOGUE

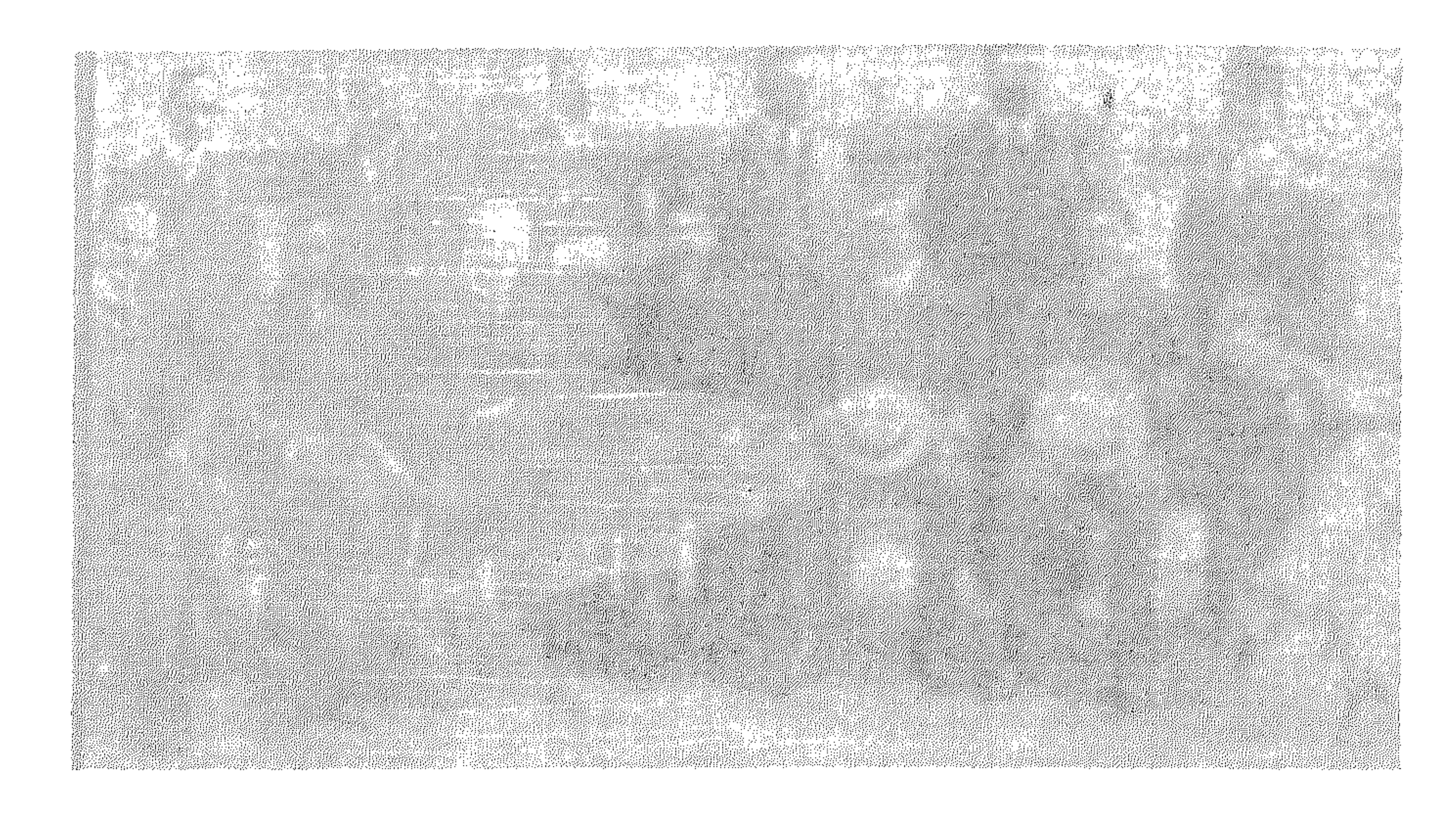
OF THE COLLECTION OF H.H. THE LATE

PRINCE IBRAHIM HILMY

(European Section).

CAIRO
PRINTING OFFICE PAUL BARBEY
1936

غلاف كتالوج مكتبة الأمير إبراهيم حلمى (القسم الأوروبى)



الأساتذة الأجانب بمستشفى ومدرسة قصر العينى: جلوسًا: شميت وويلسون وساندوث وكيتنج ومادل وسيمرز. ووقوفًا: إليوت سميث ولوس وتريب ونولان، بجانب اثنين مصريَّين: إبراهيم حسن واقفًا وشكرى باشا جالسًا



صورة جماعية للفرقة الدراسية التي تخرَّج فيها علي باشا إبراهيم عام ١٩٠١، وهو أول عميد مصري لكلية الطب



جنازة تيودور بلهارس أستاذ الأمراض الباطنية بمدرسة طب قصر العينى

قائمة المراجع

أولاً: الصحف والمجلات.

صحيفة الأهرام.

صحيفة الجَامعَة المِصْرِيَّة.

مجلة الجَمْعِيَّة التَّارِيخية.

ثانيًا: المراجع العَرَبِيَّة والمعربة:

- أبو الإِسعاد- 1983 =

محمَّد أبو الإِسعاد- سِيَاسَة التَعْلِيم فِي مِصْر تحت الاحتلال البِرِيطَانِيّ- 1882- 1922- الْقَاهِرَة.

- إِسماعيل على- 1995=

سعيد إِسماعيل على- دور التَعْلِيم المِصْرِيّ فِي النضال الوطني- الْقَاهِرَة.

- أرتين- 1894=

يعقوب أرتين- القول التام فِي التَعْلِيم العام- مترجم بالْقَاهِرَة.

- الأيوبي - 1996=

الياس الأيوبي- تَارِيخ مِصْر فِي عهد الخديوى إِسماعيل باشا من سَنَة 1863 إِلَى سَنَة 1879- الْقَاهِرَة.

- الجميعى- 2001=

عبد المنعم إبراهيم الجميعى- المَرْأة المِصْرِيَّة والتَعْلِيم الجَامِعِيّ- مؤتمر مائة عامَّة على تحرير المَرْأة- الجزء الأول- الْقَاهِرَة- ص563- 575.

- الخضيرى- 1983=

زينب الخضيرى- لويس ماسينيون- مُحَاضَرَات فِى تَارِيخ الاصطلاحات الفَلْسَفِيَّة العَرَبِيَّة- المعهد العلميّ الفَرَنْسِيّ للآثار الشَرْقِيَّة.

- الرافعى- 1998=

عبد الرحمن الرافعى- تَارِيخ الحركة القَوْمِيَّة وتطور نِظَام الحكم- الْقَاهِرَة.

- المناوى- 1979=

مَحْمُود فوزى المناوى- قصر العينى مَدْرَسَة وتَارِيخ- الْقَاهِرَة.

المناوى- 1999=

مَحْمُود فوزى المناوى- حكماء القصر العينى- الْقَاهِرَة.

- المناوى ونويصر 2000=

مَحْمُود فوزى المناوى وحسنى نويصر- تَارِيخ النهضة الطِّبِّيَّة المِصْرِيَّة- متحف قصر العينى- الْقَاهِرَة.

- النجار- 1965=

حسين فوزى النجار- أحمد لطفى السَّيِّد أُسْتَاذ الجيل- الْقَاهِرَة.

- أمين - 1899=

قاسم أمين- تحرير المَرْأَة.

- أمين - 1900=

قاسم أمين- المَرْأَة الجَدِيدَة.

- بارون- 1999=

بث بارون- النهضة النِّسَائِيَّة- مترجم بالْقَاهِرَة.

- بدير- 1950=
أحمد عبد الفتاح بدير- الأمير أحمد فُؤَاد ونشأة الجَامِعَة المِصْرِيَّة- الْقَاهِرَة.
- بيسو- 2001=
عبد الرحمن بيسو- فكر قاسم أمين فِي مرآة اتفاقية، القضاء على جميع أشكال التمييز ضدّ المَرْأَة، مسودة أولى، تشرين الأول (أكتوبر) 1990 مؤتمر مائة عام على تحرير المَرْأَة- الجزء الأول- ص59- 89.
- تيزيني- 2001=
طيب تيزيني- مشروع قاسم أمين لتحرير المَرْأَة- مؤتمر مائة عام على تحرير المَرْأَة- الجزء الأول- الْقَاهِرَة- ص 51- 89.
- حسن إبراهيم- 1985=
سامية حسن إبراهيم- الجَامِعَة الأَهْلِيَّة بين النشأة والتطور- الْقَاهِرَة.
- رزق- 2006=
يونان لبيب رزق- فُؤَاد الأول، المعلوم والمجهول- الْقَاهِرَة.
- ريد- 2007=
دونالد مالكولم ريد- دور جَامِعَة الْقَاهِرَة فِي بناء مِصْر الحَدِيثَة- مترجم بالْقَاهِرَة.
- سالم- 2001=
لطيفة سالم- المَرْأَة والتَعْلِيم 1919- 1945- مؤتمر مائة عام على تحرير المَرْأَة- الجزء الأول- الْقَاهِرَة- ص591- 614
- سوليه- 2003=

روبير سوليه- مِصْر ولع فَرَنْسِيّ- مترجم بالْقَاهِرَة.
- شفيق باشا- 1994=
أحمد شفيق باشا- مذكراتي فِي نصف قرن- ج1- الْقَاهِرَة.
- شفيق باشا 1995=
أحمد شفيق باشا- مذكراتي فِي نصف قرن- ج2- الْقَاهِرَة.
- صالح- 2001=
أحمد عباس صالح- قراءة فِي قاسم أمين- مؤتمر مائة عام على تحرير المَرْأَة- الجزء الأول- الْقَاهِرَة- ص33- 41.
- عباس حلمي الثّانِي 2006=
عباس حلمي الثّانِي- عهدي- مذكرات- مترجم بالْقَاهِرَة.
- عباس- 1989=
رؤوف عباس- جَامِعَة الْقَاهِرَة، ماضيها وحاضرها.
- عبد الكريم- 1938=
أحمد عزت عبد الكريم- تَارِيخ التَعْلِيم فِي عصر مُحَمَّد عَلِيّ- الْقَاهِرَة.
- عبد الكريم- 1938=
أحمد عزت عبد الكريم- تَارِيخ التَعْلِيم فِي مِصْر- ج3- الْقَاهِرَة.
- عزب وعابد- 2007=
خالد عزب وسوزان عابد- على باشا إِبراهيم رائد النهضة الطِّبِّيَّة الحَدِيثَة- مكتبة الإِسكندرية.
- عيسوي- 2007=

عصام أحمد عيسوى- وثائق الجَامعَة المِصْرِيَّة، دِرَاسَة تَارِيخية أرشيفية وثائقية- جَامعَة القَاهِرَة.

- فليتو- 2001=

إيزابيلا كاميرا دا فليتو- لماذا بقى قاسم أمين مجهولاً فِى الغرب- فِي مؤتمر مائة عام على تحرير المَرْأة- الجزء الأول- ص43-49

- لورنس- 1997=

هنرى لورنس- المملكة المستحيلة، فَرَنْسَا وتكوين العالم العَرَبىّ الحديث- مترجم بالْقَاهِرَة.

- محمودى - 2003=

عبد الرشيد الصادق محمودى- طه حسين من الأزهر إِلَى السوربون- مترجم بالْقَاهِرَة.

ثانيا: قائمة الاختصارات

- **BIFAO: Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale.**
- **IFAO: l'Institut Français d'Archéologie Orientale.**
- **JEA: Journal of Egyptian Archaeology**

ثالثًا: المراجع الأَجْنَبِيَّة

Abbas 2002 = R Abbas, French impact on the Egyptian Educational system under Muhammad Aly and Islmail. P.91-9.

Carré 1932= J-M Carré, voyageurs et écrivains français enEgypte, le Caire

Charles- Roux 1910 = F. Charles- Roux, les Origines de l' Expédition de l' Egypte, Paris.t
Charles- Roux 1925 = F. Charles - Roux, Anglettere et l' Expédition française en Egypte, 2 Tomes, Paris.
Combe 1965 = E. Combe, l' oeuvre de K. A.C. Creswell, In Studies in Islamic Art and Architecture in honors of prof. K.A. Creswell, Cairo p. 1-7.
David 1999 = E. David, Gaston Marpero 1849- 1916, Paris
Dawson 1972 = W. R Dawson, who was who in Egyptology, London.
Ezran 1994 = M. Ezran, la France en Egypte. Histoire et Culture, Paris.
Geddes 1965 = C.L. Geddes, K.C.A. Creswell, In Studies in Islamic Art and Architecture in honors of prof. K.A Creswell, Cairo p. xi- xiv.
Lacouture 1988 = J. Lacouture, Champollion, une Vie de lumiere, Paris.
Laissus 2005 = Y. Laissus, Jomard, Le dernier égyptięn, Paris.
Lambert 1997 = G. Lambert, Auguste Mariette ou l' Egypte sauvée des sables, Paris.
Langton 1950 = N, Langton, peey Newbessy CDE 25, p 86.
Lecuyote 1998 = G. Lecuyote, les conférences des dames de Mlle A, Couvreur, Bulletin de la socitè des amis de l' Ecole Normale Supérieure de sévre 209. p. 56-63.
Louca 1970 = A. Louca, Voyageurs et écrivains égyptiens en France au xix siécle, paris.
Louca 2002 = A. Louca, la mediation de tahtawi 1801-19-873,daus D. panzac et A Raymond, la France et l' Egypte a l' Epoque des vices-rois, le Cairep. 59-69.

Marsot 2002 = A.L-A Marsot, what price Reforme? Dous p.3-11.
Martin 1911= G.Martin, l' Université égyptien, Revue du monde Musulman xiii, p. 1-29.
Moulin 1989 = A.M Moulin, Révolution médicales et poletique en Egypte 1865-1917, Romm, 1989/2.p99-110.
Panzac 1989= D.panzac, Médecine Révolutionnaire et Révolution de la médecine dans l'Egypte de Muhammed Ali; le Dr Clot- Bey, Revue de l' Occident musulman et de la Méditerranée 2,p. 95- 110.
Popadopoulo 1960 =R. Popadopoulo, VladimiR Vikentiev La Revue du caire 233, p. 306- 13.
Sonbol 1991 = A.El- Azhary sonboal, the creation of a medicalprofession in Egypt 1800- 1922, New- York.
Sonbol 2002 = A. Sonbol, Doctors and midwives; women and médicine at the turn of the centry, p. 135-48.
Tulard 1989 = J. Tulard, Dictiomaine Napoleon, Paris.
Tulard 1995 = J.Tulard, Dictionnaire du seconde Empire, paris.

الْمُرَاجَعَةُ اللُّغَوِيَّةُ: مَحْمُود عَبْدِ الرَّازِقِ جُمْعَة

الإِشْـرَافُ الْفَنِّـيُّ: رَائِـدَة عَبْدِ الْكَرِيـم



لقد كان ميلاد الجامعة المصرية مفرق طريق فى تاريخ مصر. كان حدثًا كبيرًا شارك فى صنعه المصريون وفى مقدمتهم الأمير أحمد فؤاد الذى نشط ليهيّئ للجامعة الوليدة أسباب النجاح.

وهو مصرى قضى طفولته بمصر ثم تلقّى ثقافته فى أوروبا وتعلّم لغاتها ولمس تطورها، فجاءت الجامعة صدًى لتركيبة رئيسها الأمير، همزة وصل بين الشرق والغرب، بين جنوب البحر وشماله. وكما كان الأمير نفسه مزيج ثقافتين، كانت الجامعة المصرية بوتقةً تلاقت فيها الثقافات وتعددت فيها مصادر المعرفة.

ومن ثم كان للأساتذة الأجانب دور كبير فى تثبيت دعائم الجامعة المصرية وتكوين الجيل الأول من الأساتذة المصريين الذين حملوا الراية وساروا فى الطريق يحافظون على نهج الجامعة "نقطةً تتلاقى فيها الثقافات".

